

عَلَيْكَ امْرًا مِّنْ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

نظم

زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى
السيد ابو القاسم الموسوى الخوئي

قدم له

آية الله العظمى السيد علي الحسيني البهشتى

شرح

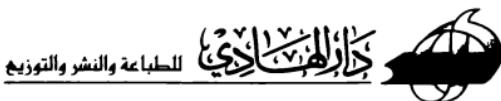
السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوى الخرسان

الجزء الثاني

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مُحَفَّوظَةٌ

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ - ١٤٩٤



هاتف: ٠١/٤٨٧٠٥٥٠ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٤٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦ - غبیری - بیروت - لبنان
Tel.: 03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199 - P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: <http://www.daralhadi.com>

عَلَيْكَ الْبَرَّ

نظم

زعيم الحوزة العالمية آية الله العظمى

السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي

قدس سره الشريف

قدم له

آية الله العظمى السيد علي الحسيني البهشتى

دام ظله الوارف

شرح

السيد محمد مهدي السيد حسن

الموسوي الخرسان

عفی عنہ

الجزء الثاني

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برز الإيمان كله إلى الشرك كله

٩٨- قدْ بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الْكُفُرِ جَمِيعًا قَالَهُ هَادِي الْمُلْلَنْ

وأشار سيدنا الناظم دام ظله إلى الحديث النبوى الشريف، الذى قاله في غزوة الخندق: بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الْشَّرْكِ كُلَّهُ.

ولابد لنا من وقفة لتتعرف فيها على زمان ومكان ودواعي صدور الحديث الشريف، لتسليط الأضواء على أجواء ذلك الموقف المكثف بأنواع المخاطر والمخاوف يومئذ.

فالرمان: شوال من السنة الخامسة للهجرة كما في جملة من كتب التاريخ والسير والحديث.

والمكان: هو خارج المدينة من جانب جبل سلع.

والدواعي: هي الأحداث المتلاحقة من تحالف يهود بنى النضير مع

بشركي قريش على استعمال المسلمين بقتل النبي ﷺ وجميع من معه، وأخيراً نقض يهود بنى قريظة ما كان بينهم وبين النبي من العهود وانضمامهم إلى الأحزاب، ولما بلغ النبي ﷺ ذلك اتخذ الاحتياطات الالزمة بعد مشاورة الصحابة، فحصّن النساء والذرية ومعهم بعض ضعاف النفوس كحسان بن ثابت في الآطام، وخرج المسلمين خارج المدينة، وأمر بحفر الخندق - بشورة سلمان عليه في ذلك - وشارك هو ﷺ بنفسه في ذلك، وظهرت له في ذلك آيات وكرامات.

ولما أقبلت جموع الأحزاب، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، حاصروا المسلمين من كل جانب، حتى مسّهم الضرب، واستولى عليهم الخوف، وزادهم غمّاً على غمّ ما يعانون من الجوع والبرد.

وكان النبي ﷺ يشدّ من عزائمهم، ويعدهم بالنصر والغثائم، وما سوف يفتح الله عليهم، إلا أن المنافقين الذين كانوا بين صفوف المسلمين أشاعوا الذعر بينهم حتى استحوذ الخوف عليهم، فلقي النبي ﷺ من جراء ذلك العنت والعناء، إذ أحسّ في المسلمين الضعف والخوف والخور قبل أن يلاقوا الأرباء، ففزع إلى ربه يضرع بالدعاء، فصعد جبل سلع، ووقف حيث مسجده القائم مكانه حتى يومنا الحاضر ويُعرف بمسجد الفتح ومسجد الأحزاب، قائلاً: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم.

وكان يقول: لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده. وقام ﷺ في الناس فقال: يا أيها الناس

لا تمنوا لقاء العدو، واسألو الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا،
واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف.

ودعا الله بقوله: يا صريح المكروبين، يا مجيب المضطربين، اكشف
همي وغمي وكريبي، فإنك ترى ما نزل بي وباصحابي.

وقال له المسلمون: هل من شيء تقوله فقد بلغت القلوب الخاجر؟
قال: نعم، قولوا: اللهم استر عورتنا، وآمن روعتنا.

إلى غير ذلك مما روي عنه الله من الدعاء.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى حال المسلمين والشركين والمنافقين
واليهود في تلك الواقعة، وما فيها من الأحداث الجسمانية ومشاهد الخوف،
أبلغ وصف، ففي صدر سورة الأحزاب - وسميت بذلك لاشتمالها على
ذكرهم من الآية التاسعة وحتى الآية السابعة والعشرين - ومنها قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ
جِنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّلُونَ * هُنَالِكَ
ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرَزَّلُوا زِلَّاً شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غَرُورًا»^(١).

ولم تكن آيات سورة الأحزاب هي وحدها التي تحدث فيها القرآن

عن تلك الواقعة، بل مئة آيات أخرى:

ففي سورة البقرة الآية ٢١٤.

وفي سورة آل عمران الآيات ٢٦-٢٧.

وفي سورة النساء الآية ٥١.

وفي سورة الأنفال الآيات ٥٦-٥٧.

وفي سورة النور الآية ٦٢.

إلى غير ذلك من آيات الكتاب المجيد، التي ذكر المفسرون أنها كانت في وصف أحوال الناس في تلك الواقعة.

ويكفينا ما قرأناه في سورة الأحزاب من وصف رائع ومرير لحالة المسلمين، وهو تصوير خطورة المشاهد عند المسلمين والكفار والمنافقين، ويزداد لنا التصوير وضوحاً إذا رجعنا إلى كتب التفسير والسيرة والتاريخ، نستعرضها فنرى فيها تفصيل ما أجمله القرآن، وتأويل ما أنزله، ونقرأ فيها باتفاق الرواة عن مشهد من مشاهد تلك الواقعة:

إن النبي ﷺ لما أحاط به المشركون وضيقوا الحصار على المسلمين ورأى خور أصحابه، اشتدت ضراعته إلى الله تعالى وأتاه الوحي بوعد النصر، فكان يخبر المسلمين بذلك ليشدّ من عزّهم ويهدّي من روعهم، ولكنهم كلما اشتد عليهم الحصار ومستهم الضراء تخاذلوا، هذا حالهم ولم يكن بينهم وبين عدوهم بعد قتال، ولم تمسّهم البأس، وازداد هلعهم لما اقتحم فوارس المشركين مكاناً ضيقاً من الخندق فعبروه، وجالت بهم

خيتهم في السبحة بين الخندق وسلع، فعند ذلك خرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيлем، وأقبلت الفرسان تعنق بهم خيлем، وهم عمرو بن عبد ود وابنه حسل، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب - أخو عمر بن الخطاب - كما في موضع في السيرة الخلبية، وفي مصادر أخرى أنه الفهري^(١).

وجاء في تاريخ الخميس وغيره أن أبو سفيان وخلال بن الوليد وفوجاً من رؤساء قريش وكنانة وغطفان كانوا مصطفين على الخندق، فقال عمرو بن عبد ود لأبي سفيان: ما لكم لا تعبرون؟ قال أبو سفيان: إن احتج إلى عبورنا نعبر أيضاً.

وكان عمرو بن عبد ود من مشاهير الأبطال وشجعان العرب، وكانوا يعدلونه بألف رجل، كما قال الديبار بكري في تاريخ الخميس^(٢)، ووصفه الصفدي بقوله: وكان جباراً عنيداً غليظاً عتلّاً من الرجال^(٣).

وكان عمرو بن عبد ود ثالث قريش فيما وصفوه، قد قاتل يوم بدر حتى أثبته الجراح ولم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليُرى مشهده ومكانه وهو ابن تسعين سنة، فلما وقف هو وخيله صاح: من ييارز؟

(١) السيرة الخلبية ٣٢١/٣.

(٢) تاريخ الخميس ٤٨٦/١.

(٣) الغيث المسمى ١٩٥/٢ ط بيروت.

فآخرس الخوف لسان المسلمين، فندبهم النبي ﷺ إليه ورَبَّهم، فقام علي فقال: أنا له يا رسول الله. وأخرس الخوف لسان الباقيين، فقال الرسول ﷺ: إنه عمرو، اجلس.

ونادى عمرو ثانية: ألا رجل؟ وجعل يسخر منهم ورَبَّهم ويقول: أين جَّتُّكم التي تزعمون أن من قُتل منكم دخلها، أفلأ تُبَرِّزُونَ إِلَى رِجْلِهِ؟ وندبهم النبي ﷺ ثانية فتهيَّأوا عَمْرًا، وما أجا به غير علي، قال: أنا له يا رسول الله. فقال: اجلس. فنادى عمرو الثالثة وجعل يقول:

وَلَقَدْ بُحِثْتُ مِنَ النَّدَاءِ بِجَمِيعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ
وَوَقَتْتُ إِذْ جَنَّ الشَّجَعَ مَوْقِفَ الْقَرْنِ الْمَاجِزِ
وَكَذَّاكَ إِنِّي لَمْ أَرْلِ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

وأبلس المسلمين، هذا والرسول يدعوهم وهم محجمون، فقام علي وقال: جَعَلْتُ فَدَاكَ أَنَا لَهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(١). فقال: إنه عمرو. فقال: وإن كان عمرو. فأذن له، وأدناه وقبَّله وأعطيه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعممه بعمامته السحاب، ودعاه، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق

(١) قال القلقشendi في صبح الأعشى ٤٣٢/١، ط دار الكتب: وقيل: أول من قال: (جعلت فداك يا رسول الله) علي بن أبي طالب حين دعا عمرو بن عبد العماري إلى المبارزة، فقال علي: (جعلت فداك يا رسول الله أنا ذن لي)، ثم استعملها الكتاب بعد ذلك في مكتاباتهم.

حاله، المتظر لما يكون منه، ثم لم يزل يدعوه رافعاً يديه إلى السماء ضارعاً يقول: اللهم أعنِه عليه. ثم رفع عمامته إلى السماء وقال: إلهي أخذت مني عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وهذا على أخي وابن عمّي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين^(١).

وفي هذا الحال قال عليه السلام: برب الإيمان كله إلى الشرك كله. وسيأتي ما يتعلّق بفحوى هذا الحديث مع ذكر مصادره.

ولما قصد عليّ عمراً أنشأ يقول:

لَا تَعْجَلْنَّ فَقَدْ أَتَاكُمْ مُجِيبٌ صَوْتُكُمْ غَيْرَ عَاجِزٌ
ذُو نَيَّةٍ وَبِصِيرَةٍ وَالصَّدْقُ مُنْجِي كُلَّ فَائِرٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِيمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرْبِي نَجْلَاءَ يَقْنِي ذَكْرُهَا عَنْدَ الْمَهَاجِرِ

فقال له عمرو: من أنت؟ وكان عليّ مقنعاً بالحديد فلم يعرفه، قال: أنا عليّ. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب.

فقال عمرو: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أحسن منك. وكان سنه يومئذ دون الثلاثين - فإني أكره أن أهريق دمك، فإن أباك كان لي صديقاً، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك.

قال ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الحسن مصدق بن شبيب النحوي يقول - إذا مررت في القراءة عليه بهذا الموضع - والله ما أمره بالرجوع إيقاماً

(١) السيرة الخليلية ٣١٩/٣. سيرة زيني دحلان بهامشها ١١١/٣.

عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه بيدر واحد، وعلم أنه إن ناهضه قتلته، فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرقاء، وإنه لكافر فيهما^(١).

قالوا: فقال له علي: لكنني أحب أن أقتلوك. فقال: يا ابن أخي إني لا كره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خير لك. فقال علي عليه السلام: إنَّ قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا أجبت إلى واحدة منها. قال: أجل.

قال علي عليه السلام: إني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتسليم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخي آخر هذه عنني.

قال: وأخرى ترجع بمن معك إلى بلادك، فإن يك محمدًا صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كفتك ذوبان العرب ذلك.

قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً، أن غلاماً خدعني، كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت. (وذلك أنه لما أفلتَ من بدر نذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمدًا).

قال: ففي الثالثة ما هي؟

قال: فإبني أدعوك إلى البراز. فضحك عمرو وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يردها مني ويروّعني بها.

قال: كيف أقاتلوك وأنت على فرسك؟ انزل.

(١) شرح نهج البلاغة لأبي الحبيب ٦٤/١٩ ط محققة.

فغضب وحمي واقتحم عن فرسه فعقر فرسه، وقيل: ضرب وجهه فقر، وأقبل بسيفه كأنه شعلة نار. كما يصفه أصحاب السيرة. فتزاولا وتجاؤلا.

قال الواقدي وابن إسحاق كما في شرح النهج لابن أبي الحميد: وجاءت عظام الأحزاب فوقت من وراء الخندق ومدّت أعناقها تنظر. واستقبله علي بدرقه، فضربه عمر فقدّها وأثبت السيف فيها، وأصاب رأس علي فشّجه، وضربه علي على نجل العاتق فسقط.

قال الواقدي وابن إسحاق: فثارت لهما غيرة وارتهموا عن العيون، إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغيرة، فلعلوا أن علياً قتله، وانجلت الغيرة عنهم، وعلى راكب صدره يحيّ رأسه.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: ثم انجلت عنهم وعلى يمسح سيفه بثوب عمرو وهو قتيل^(١).

ولما قتل علي عمروأ حمل عليه من أصحاب عمرو الذين كانوا معه قد اقتحموا الخندق، وهم ضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وحسل بن عمرو، فأقبل عليهم علي، فولى ضرار هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب، وكرّ علي على حسل بن عمرو فقتله كما في الفصول المهمة^(٢)، وفرّ الباقيون منهزمين، فعكرمة بن أبي جهل ألقى

(١) الأحكام السلطانية، ص ٣٧.

(٢) الفصول المهمة، ص ٤٣. نور الأ بصار، ص ٧٩.

رحمه . كما قال ابن هشام وغيره . وفَرَّ منهِزَمًا ، وأما نوفل بن عبد الله ففرَّ منهِزَمًا ، فقصَرَ بِهِ فرسَهُ عَنْ عَبورِ الخندقِ فَوَقَعَ فِيهِ ، فَرَمَاهُ الْمُسْلِمُونَ بِالْحَجَارَةِ ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِ النَّاسِ قَتْلَةُ أَكْرَمِ مَنْ هَذِهِ . فَنَزَلَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ فَقُتِلَهُ^(١) .

وَيَكَادُ أَنْ يَجْمِعَ الْمُؤْرِخُونَ وَأَصْحَابَ السِّيرَ أَنَّ عَلَيْهِ لَمَا قُتِلَ عُمْرًا اِنْهَزَمَ أَصْحَابُ عُمَرٍو ، وَانْفَقُوا عَلَى قُولِهِمْ: وَخَرَجَتْ خِيلُهُمْ مِنْهِزَمَةً حَتَّى اِقْتَحَمَتْ الْخَنْدَقَ هَارِبَةً .

وَرَجَعَ عَلَيْهِ مَتَهَلِّلًا ، وَدَمَهُ يَسِيلُ مِنْ رَأْسِهِ وَيَدِهِ رَأْسُ عُمَرٍو ، فَقَالَ لَهُ^(٢) أَبْشِرْ يَا عَلَيْيَ فَلَوْزُنَ عَمْلَكَ بِعَمَلِ أَمَّةِ مُحَمَّدٍ لِرَجْحِ عَمْلِكَ بِعَمْلِهِمْ ، وَذَلِكَ لَمْ يَقِنْ مِنْ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ عَزَّ بَقْتَلِ عُمَرَو^(٣) .

وَوَرَدَ فِي جَمْلَةِ مِنَ السِّيرَ وَالْتَّارِيخِ أَنَّ عَلَيْهِ لَمَا قُتِلَ عُمَرُوا قَالَ^(٤) لَضَرْبَةِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ - خَيْرٌ - أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ .

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: لَمَارَزَةُ عَلَيْيَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِعُمَرِ بْنِ عَبْدِ وَدِ يَوْمِ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلٍ - أَعْمَالٍ - أَمْتَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

كَمَا وَرَدَ أَيْضًا فِي جَمْلَةِ مِنْ مَصَادِرِ التَّارِيخِ وَالسِّيرَةِ أَنَّ عَلَيْهِ لَمَا قُتِلَ عُمْرًا وَأَقْبَلَ وَهُوَ مَتَهَلِّلٌ قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَابَ: هَلَا سَلَبْتَهُ دَرْعَهُ ، فَإِنَّهُ

(١) شرح نهج البلاغة ٦٤/١٩ ط محققة.

(٢) شواهد التزيل للحاكم الحسكتاني ٧٧.

ليس في العرب درع خير منها.

قال: إنني حين ضربته استقبلني بسوأته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه.

أقول: ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل ذلك، لأنه على حد قول الشاعر:

تلکم أسود الغاب همتها عند اللقاء هو المسلوب لا السلب
فتخطف الروح بالبئار تزهقها ما قيمة الدرع حتى لو هي الذهب

أليس علي هو القائل في ذلك اليوم:

أعلى تفتحم الفوارس هكذا عنى وعنهم سائلوا أصحابي
فالليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس بناب
أدى عمير حين أخلص حقله صافي الحديدية يستفيض ثواب
فغدوت التمس القراء بمرهف عصب مع البتاء في أقرب
قال ابن عبد حين شد إليه وحلفت فاستمعوا من الكذاب
الا يفر ولا يهمل فالتنقى أسدان يلتقيان كل ضرائب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركه متجلدا كالجذع بين دكاديك ورواب
وعفت عن أنوابه ولو ابني كنت المقطر بزني أنوابي
لا تحسن الله خاذل دينه ونبيه يا معاشر الأحزاب

أقول: لم أذكر ما ذكرت عن واقعة الأحزاب لأروي قصة يتلهي بها القارئ، لما فيها من مشاهد بطولية وأناشيد حماسية، فلست من القصّاصين.

ولم أذكر ما ذكرت عن واقعة الأحزاب لاستخلص العبرة للمؤمنين، فما أكثر العبر في هذه الحياة الدنيا وأقل المعتبرين.

ولم أذكر ما ذكرت عن واقعة الأحزاب لأشيد بذكر أمير المؤمنين وأرفع من مقامه السامي، فقد عُرف مقامه وشهودت أيامه، وهو فوق مدح المادحين.

لا، لا، ليس هذا ولا ذاك، وإنما ذكرت ما ذكرت لأؤكّد الحقيقة الثابتة التي احتقدها الأولون، واهتضمّها التالون، فاحتاطوها بنسائج التضليل وخدع الأباطيل، وغفلوا عن أنها الحقيقة، والحقيقة هي من الحق الذي لا يموت، ولا يلقيها نسيج العنكبوت، مهما طال عليها الزمان، وتعاظم صلف الإنسان، فهي لا تدخل في قاموس النسيان.

وما دروا أن القوة التي تُنادي بها لسان عمرو بن عبد ود متحدياً جموع المسلمين كانت تمثل قوة المشركين، والقوة التي يعتمر بها صدر ابن أبي طالب هي قوة الإيمان، فأين قول اللسان من إيمان الجنان؟

تلكم هي الحقيقة التي استحقت تكريم النبي ﷺ في تعريفه لعلي عليه السلام، بقوله ﷺ: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

ولقد أثار هذا التكريم له وما استتبعه من الثناء والإطراء عليه من

سيد الأنبياء ﷺ قوله: لَضَرِبَةٍ عَلَيْيِ لَعْمَرُو بْنُ عَبْدِ وَدَ تَعْدُلُ عِبَادَةَ
الثَّقَلَيْنَ.

وفي لفظ آخر: لَمْ يَأْرِزْ عَلَيْيِ يَوْمُ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلٍ -أَعْمَالٍ-
أَمْتَيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

كُلُّ ذَلِكَ أَثَارٌ حَفِيَظَةُ الْحَاقِدِينَ، فَلَمْ يَطِيقُوا سَمَاعُ هَكُذَا تَكْرِيمٍ لِعَلِيٍّ
بَطْلِ الإِيمَانِ الْعَظِيمِ، كَمَا لَمْ يَرْقُ لَهُمْ قَتْلُ عَلِيٍّ وَحْدَهُ لِعَمَرِ بْنِ عَبْدِ وَدِ،
وَأَخِيرًا لَمْ يَرْضُوا لَهُ حَتَّى تَكْرُمُهُ وَعَفْفُهُ عَنْ سَلْبِ عَمَرٍو دَرْعَهُ الَّتِي لَيْسَ
لِلْعَرَبِ خَيْرٌ مِنْهَا كَمَا قَالَ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

لَمْ يَهْضُمُوا ذَلِكَ كُلَّهُ بَلْ اهْتَضَمُوهُ، فَنَقَّتَ الصَّفَادُعُ فِي مُسْتَقْعَدٍ
الضَّغَائِنَ، وَطَنَّ الْذِبَابُ عَلَى بَنْجِرِ تَلْكَ الْأَفْوَاهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَجَبُوا
الْعُمَى عَلَى الْهَدَىِ.

فَقَالَ الْجَاحِظُ، وَقَالَ ابْنُ تَيْمَةَ، وَقَالَ الْذَّهَبِيُّ، وَعَلَى نَعْمَ أَوْتَارِهِمْ
رَقَصَتْ أَقْلَامُ الرَّعَانِفِ، وَسُوَّدَوَا الصَّحَافَاتِ.

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَلَمَّسَ الْأَسْبَابَ فِي تَلْكَ النُّفُوسِ الْمَرِبَضَةِ، فَلَا تَعْدُوا
أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِرُوا طَعْمَ الإِيمَانِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ
نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ».

وَإِلَّا فَمَا بِالْهُمْ يَغْيِظُهُمْ تَكْرِيمُ النَّبِيِّ لَعِلِيٍّ بِقَوْلِهِ: «بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى
الْشَّرْكِ كُلِّهِ»، وَ«لَضَرِبَةٍ عَلَيْيِ لَعْمَرُو بْنُ عَبْدِ وَدَ تَعْدُلُ عِبَادَةَ الْثَّقَلَيْنَ»،
فَشَكَّوْا فِي صَحَّةِ الْحَدِيثِ، وَنَاقَشُوا فِي دَلَالِهِ.

وما بالهم يغبطهم قتل علي بعفرده لعمرو، فلزوا به غيره من ليس
هناك في موكب ولا منكب؟

وما بالهم يغبطهم عفة علي عن درع عمرو، فقالوا فيها ما قالوا كما
سيأتي بيانه؟

وما بالهم يغبطهم حتى أن يكون علي أول من قال للنبي: (جعلت
فداك، أنا له يا رسول الله)، فذكروا ذلك بصيغة التمريض فقالوا: وقيل:
إن علياً... الخ.

نعم إنما يغبطهم ذلك كله لأن كلها أمور كانت تدور في فلك واحد،
و حول شخص واحد، وتنطلق من مبدأ واحد، وهو الإيمان الذي كان علي
يجلسه، حيث تجلّت شخصيته به وفيه على حقيقتها في كل نواياها
وسجياتها في ذلك اليوم.

فالنقطات الثلاث الأولى حلقات متماشة متراقبة لا يشد بعضها عن
بعض، ينظمها سلك الإيمان، فهي تدور في فلكه، وما الرابعة بدونها، فعلي
هو الإيمان كله كما يقول الرسول ﷺ.

وعلى أول من يدعوا عمراً إلى الإيمان فيأباه فيقتله.
وعلى لا يسلب عمره لأنه استحيا حين استقبله عمرو بسواته،
والحياء من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ومن لا حياء له لا إيمان له.
وعلى يفتدي النبي بنفسه، لأن ذلك من محض الإيمان.
إذن فالإيمان هو على قلباً و قالباً، والإيمان هو على علماءً و عملاً،

والإيمان هو على حين نصبه رسول الله ﷺ ميزاناً للمعادلة بين المؤمنين والمنافقين، فقال: يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

وقال: حب علي من الإيمان، وبغضه من الكفر - من النفاق -

ولنرجع الآن إلى الثلاث الأول لنراها ماذا كانت تعني؟ وما حقيقة تأثيرها سلباً وإيجاباً؟

١- تكريم النبي ﷺ لم يكن اعتباطاً وإعجاباً ولا محاباة لابن عمه، وإنما قاله - وهو الصادق الأمين - تقديرأً للحقيقة التي تحدّها عمرو بن عبد ود حين اقتحم بفوارسه الخندق وجال هو ومن معه مستعرضاً عضلاته - كما يقولون - ومستهيناً بال المسلمين حين تحدّاهم بطلب مبارزة رجل منهم مدللاً بشجاعته، وهم محجمون وجلون، وزاد الأمر محنة دعوة النبي لهم محضاً، مرغباً ومرهباً وهم عنه معرضون، فلم يستجب لدعوته غير علي الذي كان يقول للنبي ﷺ في كل مرة: أنا له يا رسول الله. والنبي يجلسه ويقول له: إنه عمرو. وعلي يقول له: جعلت فداك يا رسول الله أتاذن لي؟ فكان أول من أجاب، كما كان أول من قال كلمته: جعلت فداك يا رسول الله.

وما يعني النبي ﷺ بذلك قوله وعملاً؟

هل هو مجرد الشفقة على ابن عمه خشية أن يخبطه عمرو بسيفه، وقد كان عمرو - كما يقول الصفدي: جباراً عنيداً غليظاً عتلماً من الرجال؟ كيف يكون ذلك، والنبي ﷺ سبق له أن قذفه في لهوات الحروب،

فكان معه في حربه ومجازيه، فآخر جهه يوم بدر مع حمزة وعبيدة لقتال عتبة وشيبة والوليد، فقتل حمزة شيبة، وقتل علي الوليد، ثم مالا على عتبة فقتلاه.

وكان تلك أول مبارزة وقعت في الإسلام، كما أن بدرًا كانت أول وقعة اصطدام بين المسلمين والشركين، فكانت أول اختبار عملي لقوه الطرفين، فقتل فيها من الشركين سبعون، وأسر سبعون.

ويكاد يجمع المؤرخون على أن قتلى علي في هذا العدد اثنان وعشرون قتيلاً، قتلهم أو شارك في قتلهم، بينما يقول ابن أبي الحديد: قُتل فيها - بدر - سبعون من الشركين، قتل علي عليهما نصفهم، وقتل المسلمين والملائكة النصف الآخر. وإذا رجعت إلى مجازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك^(١). كما أنه قد خبره يوم أحد، وقد حمل لواءه وكان يتقدم به ويقول: أنا أبو القسم.

فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وكان حامل لواء الشركين: هل لك يا أبو القسم في البراز من حاجة؟ قال: نعم.

قال ابن هشام: فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين، فضرب به على فصرعه، ثم انصرف ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلأ جهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، وقال: نشدتك بالله والرحم. فعطفتني

(١) شرح نهج البلاغة، ص ١٤ ط مصر الأولى، ص ٧٧.

عليه الرحيم، وعرفت أن الله قد قتله.

وكذلك كان فقد مات من ضربة علي.

قال البيهقي في جمجم الزوائد: وكان علي بن أبي طالب يومئذ أشد الناس قتالاً بين يديه - أي النبي ﷺ - رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح^(١). وفي جامع ابن وهب مثله بتفاوت يسير.

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن سعيد بن المسيب، قال: لقد أصابت علي يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمها الأرض، فما كان يرفعه إلا جبرئيل عليه السلام^(٢).

وذكر ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء إلى قوله ست عشر ضربة، وحذف الباقي، فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

إذن فماذا يعني قول النبي ﷺ: (إنه عمرو) وهو لا يقول الهجر، فهل يعني ذلك اختبار المسلمين في إيمانهم، وإخبارهم بعظمة التضحيه التي سيذلها من كان يستجيب لله ورسوله إذا دعاهم لما يحبهم.

وهل يعني في ذلك في التكرار بأن مبارزة عمرو في ذلك الموقف الخامس لتفوق جهاد الآخرين فيسائر المواقف مهما عظمت الأقدار وجُلّ التضحيات، فهو ترغيب أقوى منه ترهيب، فلذلك ترك الباب

(١) جمجم الزوائد ١٨٠/٦.

(٢) أسد الغابة ٢٠/٤.

مفتواحاً أمام الراغبين في نيل الفضيلة، فيدعوهم ثلاثة، ويكتف علّيَّ عسى أن يستجيب لدعوته آخرُون وقد فسح أمامهم المجال، لكن أين وأيّ وقد أصابهم من الخوف الزلزال، فارتعدت فرائصهم قبل حلول النزال والقتال.

ولم يجد النبي ﷺ من أصحابه من ينبس بینت شفة فيجيب دعوته غير عليٍّ، فما عسى تراه أن يصنع غير أن يدعو من استجاب له وعرف صدقه ومقاداته منذ بدء دعوته فآمن به، فكان أول مؤمن ذاق طعم الإيمان، فاستمرأه حتى خالط لحمه ودمه^(١)، وبقي على ذلك الإيمان النقي، لم يشبه بشائبة كبّية المسلمين على مالهم في الإيمان من الدرجات، فهو يزيد وينقص.

ولو لم يستجب عليٍّ في ذلك اليوم الذي بلغت فيه القلوب الخنجر، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزاً شديداً، كيف يكون حال المسلمين؟ وما هو مصير عيالاتهم وذرارتهم المحصرين في آطام المدينة؟

أليس هو انقضاض عمرو ومن معه يتبعهم بقية المشركين، فيضعون السيف في رقاب أولئك الخائفين، فيفترونهم عن آخرهم، ثم يستبيحون المدينة، فيذبحون الأبناء، ويستحيون النساء، وبالتالي فقد يستأصلون شافة المسلمين، ولا يبقى للإسلام ذكر تسمع به الدنيا إلا من خلال ما يتغنى به المشركون في أسمارهم وأشعارهم عن انتصارتهم مثل أحاديث أيامهم في

(١) مضمون حديث نبوي أخرجه الموفق بن أحمد في المناقب، ص ٧٧ ط حجرية سنة ١٣١٣هـ مسندأً جاء فيه: والإيمان خالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي.

الجاهلية الأولى؟

لذلك كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الموقف البطولي هو وحده ببارزته قد مثّل الإسلام وجسده، كما كان عمرو بن عبد و ديمسّد الشرك حين تجرأ وحده مع كبر سنه، فكان أول من اقتحم الخندق، وأول من دعا إلى المبارزة، وأول من أسمع المسلمين سخريته وتوبيخه، وزرع الخوف في النفوس حتى خارت العزائم وماتت الهمم.

إذن فعلي هو الإيمان كله، وبحق استحق تكريّم الصادق الأمين عليه السلام، فكرّمه بقوله: بُرْزَ الإِيمَانِ كُلِّهِ إِلَى الشَّرَكِ كُلِّهِ.

وهذا ما ذكرته المصادر التالية:

فقد رواه الكراجي في كنز الفوائد^(١)، وابن المجاور في تاريخ المستبصري^(٢)، والخوارزمي في المناقب^(٣)، وأبو جعفر الإسکافي في تقضى العثمانية^(٤)، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة^(٥)، وابن أبي الحميد في شرح نهج البلاغة^(٦)، وأقرّ بصحته الفضل بن روزبهان في كتابه إبطال

(١) كنز الفوائد، ص ١٣٦ - ١٣٧ ط حجرية.

(٢) تاريخ المستبصري، ص ١٧٦ ط ليدن سنة ١٩٥١م.

(٣) المناقب، ص ٦٤ ط حجرية سنة ١٣١٣هـ

(٤) تقضى العثمانية، ص ٦٠ (مجموعة رسائل الجاحظ) جمع السندي، ط الأولى سنة ١٣٥٢هـ، ص ٣٢٤ بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط مصر سنة ١٣٧٤هـ

(٥) ينابيع المودة، ص ٩٤ ط إسلامبول سنة ١٣٠٢هـ

(٦) شرح نهج البلاغة ٤/٣٤٤ ط مصر الأولى.

الباطل^(١).

وجاء في كتاب (علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة) لعبد الكريم الخطيب بلفظ: (الآن بُرِزَ الإسلام كله للشرك كله)، والمعنى واحد.

٢- وأما قتل علي لعمرو بن عبد ود، فقد مرّنا بـ ما ي قوله الرواة من أنه دعاه أول ما دعاه إلى الإيمان بـ الله وبرسوله لكنه أبي، فدعاه إلى الرجوع بـ جموعه، والكف عن محاربة النبي صلوات الله عليه، فأبى ذلك أيضاً، وأصرّ على عناده وغَيْهِ، فلم يكن أمام علي من خيار غير المبارزة، وهذا ما حدث حتى قتله، فانظروا إلى أن دعوته الأولى كانت الدعوة إلى الإيمان، وانظروا إلى دعوته الثانية، وجوهرها - لو قبل عمرو بها - هي أيضاً نصرة الإيمان، وأما في خياره الثالث فقد نصر الإيمان نصراً مبيناً، فدحر الشرك وجموعه، إذ قتل عمرهم فانهزم جموعهم.

قال ابن إسحاق، وابن هشام، والبيهقي في الدلائل، والطبرى في تاريخه، وابن كثير في السيرة، والسهيلي في الروض الأنف، والخلبي في سيرته، وزيني دحلان في سيرته، وابن الصباغ المالكى في الفصول المهمة، والبغوى في معالم التزيل، والخازن في التفسير، وغيرهم، واللفظ للأول قال بعد ذكر مبارزة علي لعمرو: قتله علي، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة.

وقد مرّنا بـ قتله حسل بن عمرو، وقتلته نوافل في وسط الخندق، كما

مرئنا أسماء الذين انهزوا، وهم هبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب، وعكرمة بن أبي جهل، ومرئنا: هذا يلقى درعه، وهذا يلقى رمحه، فهل يعني ذلك أنهم استأنموا على أرواحهم، لأن من ألقى سلاحه فهو آمن، وقد رأوا قتلهم عمراً وابنه حسلاً ونوفلاً، فيكتفي بذلك في انهزامهم؟

والذي رواه أهل السيرة والتاريخ باتفاق أن هزيمتهم ما كانت لتكون لولا قتل علي لعمرو ومن تبعه، وإذا كان قتل عمرو أورث أولئك الشخصوص المميزين من المشركين ذلك الرعب حتى انهزوا، فيا ترى كيف يكون أثره في نفوس بقية المشركين من وراء الخندق، وقد رأوا فرسانهم قد أقبلوا عليهم هاربين، وتركوا عمراً ومن قتل بعده بين دقادك وروابي؟
 هذا أثر مقتل عمرو في المشركين، ولتنظر أثر ذلك في المسلمين، فهل شد ذلك من عزائمهم أم بقوا تحت وطأة الخوف وهاجس الهزيمة؟
 ولترك الحديث لخديفة بن اليمان، فإنه من شهود الواقعه، وقد عاين فحدث.

روى الحاكم في المستدرك، وابن كثير في السيرة، ومسلم في صحيحه واللفظ له، رواه بسنده من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة فقال له رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قاتلت معه وأبليت. فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ليلة الأحزاب

في ليلة ذات ريح شديدة وقر، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيمة. فلم يجيء منه أحد، ثم الثانية ثم الثالثة مثله، ثم قال: قم يا حذيفة فأتنى بخبر القوم. فلم أجد بدأً أن دعاني باسمي أن أقوم، فقال: اتنى بخبر القوم، ولا تذع لهم على... الخ^(١).

وفي رواية أخرى للحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل، قال حذيفة: فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: (إن بيوتنا عورة) وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون. وفي لفظ آخر للحاكم، و الذهبي في تلخيص المستدرك من حديث بلال الحبشي عن حذيفة: إن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، فلم يقع معه إلا اثنا عشر رجلاً... الخ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

هذا ما قاله حذيفة، وهل يعني ذلك اختلاف حال المسلمين عن حال المشركين في مدى الرعب الذي دب في نفوسهم واستولى عليهم، حتى إنهم تسللوا بمحنة وبغير حجة، وتركوا رسول الله ﷺ في اثنى عشر رجلاً، فأين بقية الثلاثة آلاف الذين خرج بهم؟ وما مبلغ الإيمان في

(١) صحيح مسلم ١٤١٤/٣. المستدرك ٣١/٣. صحيح ابن حبان ٦٧/٦.

نفوسهم؟

نعم هناك فرق واحد، هو أن المشركين إنما زرع الخوف في نفوسهم قتل علي لعمرو، وهزيمة فرسانهم الذين كانوا معه، ولكن المسلمين ازدادوا رعباً حينما بلغهم تواعد المشركين معبني قريظة أن يحملوا عليهم مرة واحدة.

ولا عجب من المشركين إذا أصابهم الذعر والخوف من سيف الإسلام، لأن الذي حمله هو علي المؤمن بصحة دعوته وعدالة قضيته، ولكن ما بال المسلمين الذين خرجوا مع النبي ﷺ ثم صاروا يتسلّلون بمحجة وبغير حجة كما يقول حذيفة؟

أين هو الإيمان في قلوبهم من إيمان علي؟ كلما قال له النبي ﷺ: «إنه عمرو»، قال: « وإن كان عمرو».

فهكذا إيمان يحمل صاحبه على تلك التضحيّة والمفادة دون النبي ﷺ وال المسلمين، فيضرب ضربة القاضية، يردي بها بطل المشركين حتى ولّ عنّه من كان معه منهزاً لا يلوّي على شيء، تاركاً هذا رحمة، والآخر درعه، وألحق حسل بن عمرو بآلية، وقتل نوافلأ في الخندق وقد سقط فيه.

له أي ضربة تلك؟ يستكثّر عليها أن يقول عنها الرسول الكريم ﷺ: لضربة علي يوم الخندق تعذر عبادة الثقلين؟

أو يقول حذيفة: لو قسمت فضيلة علي بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين أجمعهم لوسعتهم.

وروي القوشجي في شرح التجريد عن حذيفة قال: والذى نفس حذيفة بيده لعمله في ذلك اليوم أعظم أجرأً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيمة، وكان الفتح في ذلك اليوم على يد علي. اهـ.

وكانت مبارزة علي لعمرو هي الوحيدة التي دعا إليها المشركون، فلم يدعوا بعدها إلى مبارزة قط، ولم يكن بينهم وبين المسلمين قتال شامل، سوى مناوشات في الرمي، ولذلك كان ابن مسعود يقرأ في مصحفه: (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب) كما روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر في ترجمة الإمام^(١)، والحاكم الحسكتاني في شواهد التنزيل^(٢)، والكتنجي الشافعى في كفاية الطالب^(٣)، والسيوطى في الدر المنشور^(٤)، والألوysi في روح المعانى^(٥)، قالوا: كان ابن مسعود يقرأ هذا الحرف (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب).

وفي جملة من المصادر السابقة أن ابن عباس كان يقول أيضاً ذلك تأويلاً، وفي مجمع البيان: هو المروي عن أبي عبد الله - يعني في التأويل.

وأخيراً قال الحاكم: سمعت الأصم قال: سمعت العطاردي قال: سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول: ما شبّهت قتل علي عمرأً إلا بقوله

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٤٢٠/٢.

(٢) شواهد التنزيل ١/٣ - ٥.

(٣) كفاية الطالب، ص ٢٣٤.

(٤) الدر المنشور ٥/١٩٢.

(٥) روح المعانى ٢١/١٥٦.

تعالى ﴿فَهَزَمُوهُمْ يَادُنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدْ جَالُوتَ﴾^(١).

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: والله ما شبّهت يوم الأحزاب قتل علياً عمرأً، وتخاذل المشركين بعده، إلا بما قصّه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله ﴿فَهَزَمُوهُمْ يَادُنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدْ جَالُوتَ﴾^(٢).

٣- وأما عفْته عن سلب عمر وفقد روى الحاكم، والطبرى، والبيهقى، وابن إسحاق، وابن هشام، وابن كثير وغيرهم، قالوا: إن علّيَاً لما أقبل متھلاً فقال له عمر بن الخطاب: هلا استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها. فقال: ضربته فاستقبلنى بسوأته، فاستحبّت ابن عمى أن أسلبه.

لله أنت يا ابن أبي طالب، ما أعلا شأنك وأقوى إيمانك، تعيش المثل العليا ملء إهابك فلا تفارق كيانك، ففي تلك الحالة التي أنت عليها من النصر، فبدلاً من أن يستبد بك زهو أو فخر، أو يحدوك طمع أو رغبة، فتسلبه درعه التي ليس للعرب درع خير منها، ولو استلبتها لكان من حشك، فقد كان رسول الله ﷺ ينفل المسلم إذا قتل المشرك سلبه، ولو استلبتها وجئت بها لكان لك شارة النصر ما دامت الدرع باقية.

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٣٤/٣. السيرة الدخلانية بهامش الخلية ٣/١١٢.

مناقب الخوارزمي ، ص ١٠٢ ط حجرية.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤/٣٤٤ ط الأولى بمصر.

ولو استقبلت بها جموع المسلمين لأقررت عيون أناس، وأساختت عيون آخرين، لكنك تأبى تكرّماً حين يغلبك الحياة، وإن الحياة من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولشن تركت من الحياة درعه فلم تستلبها فلقد حزت من الثناء حتى من أعدائك ما يفوق حديث الدرع في تقييمه المادي.

ولنستمع ما تقوله أخت عمرو وقد بلغتها أن علياً قتله ولم يسلبه: **لو كَانَ قَاتِلُ عَمْرُو غَيْرَ قاتِلِهِ بَكِيَتْ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِي لَكِنْ قاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَضْنَةَ الْبَلْدِ**^(١)

أي ثناء هذا، من ثاكلة ثني على قاتل أخيها، وهذا ثناء لم تكن العرب تقول مثله فضلاً عن أن يكون خيراً منه.

ما قيمة الدرع في سوق الحامد، ولأن استحييت أن تستلبها، فلقد أفضت من الحياة ما افترضت به الثناء، فامتدحك على ذلك حتى الأعداء.

(١) مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٣٢/٣. شرح النهج للمعتزلي ٧/١. الأضداد لابن الأنباري، ص ٧٧ ط الكويت. الأضداد في كلام العرب لابن الطيب الحلبي ١/٥٦ ط دمشق. لسان العرب (بيض). أمالى المرتضى ٢/٨. شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٧٧، ٢٩٨. وذكرهما بتفاوت يسir الحصري القيروانى في زهر الأداب ١/٤٧، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ٤٤ ط النجف وزاداً بعدهما:

من هاشم في ذرها وهي صاعدة إلى السماء تُبَيِّنُ النَّاسَ بِالْحَسَدِ
قوم أبى الله إلا أن يكون لهم مكارمُ الْدِينِ وَالْدُّنْيَا بِلَا أَمْدِ
بِأَمْ كُلُّ شَوْمٍ بَكَيْهِ وَلَا تَدْعُهِ بُكَاءً مُعْوَلَةً حَرَقَى عَلَى وَلَدِ

قال الحصري: أم كلثوم بنت عمرو بنت عبد ود.

فهذا مسافع بن عبد مناف بن زهرة يبكي عمرو بن عبد ود في أبيات يختتمها بقوله:

فاذهبْ على ما ظفرتْ بِمُثِلِّها فَخْرًا ولو لاقتَ مِثْلَ المَعْصِلِ^(١)
وهذا هبيرة بن أبي وهب المخزومي يعتذر عن فراره من علي وتركه
عمرًا:

لَعْنُوكَ مَا وَلَيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا
ولِكَنَّنِي قُلْبِتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ
وَقْتٌ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مَقْدِمًا
فَمَا عَطْفُهُ مِنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ
وأصحابه جبناً ولا خيبة القتل
لسيفي غناء إن وقفت، ولا نبلي
صدقت كضرغام هزير إلى شبِلِ
 مجالاً وكان الحزمُ والرأيُ من فعلِي

إلى أن يقول:

كُفْتُكَ عَلَيَّ لَنْ تَرَى مِثْلَ مَوْقِفِي
فَمَا ظفرتْ كُفَّاكَ يَوْمًا بِمُثِلِّها

وهذه أخت عمرو وقد نعي إليها أخوها عمرو قالت: قالت من
اجترأ عليه، فقالوا: علي بن أبي طالب، قالت: كفو كريم. وأشدت
تقول:

أَسَدَانِ فِي ضيقِ الْمَكَرِ تَصَاوِلُ وَكَلَاهِمَا كُفُوْ كَرِيمٌ بِاسِلُ

(١) الأمر المتأهي في الشدة.

(٢) رسالة نقض العثمانية، ص ٦٢ (مجموعة رسائل الجاحظ) جمع السنديني.

فتخالسا مجَّ النفوس كلامها
و سُطَ المجال مجالٌ ومقاتلٌ
وكلامها حضرا القراءَ حفيظةَ
لم يُثِّنه عن ذاك شغلٌ شاغلٌ
فاذهَبْ علىٌّ ما ظفرتَ بهٌّ
قولٌ سديدٌ ليسَ فيه تحاملٌ^(١)

يا أبا الحسن:

فليطأطئ لَكَ المُسْلِمُونَ رُؤُسَهُمْ إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا، وَيُسْلِمُوا لَكَ
بِالْفَضْلِ تَسْلِيمًا، فَقَدْ شَهَدَ لَكَ الْأَعْدَاءُ بِطَيْبِ النَّاءِ، وَالْفَضْلِ مَا شَهَدَتْ بِهِ
الْأَعْدَاءُ.

ولَئِنْ أَبِيتَ إِلَّا تَكْرُمًا فَلِمْ تُسلِّبْ عَمْرًا درعاً وَاحِدَةً، فَلَقَدْ وَهَبَتْ
أَعْدَاءُكَ تَفْضِلًا دروعًا حَصِينَةً، فَعَرَفُتُهُمْ بِسُجَابِكَ الْكَرِيمَةِ، وَعَلِمْتُهُمْ كَيْفَ
يَتَّقُونَ ذَابِلَ سِيفَكَ عَنْدَ الْلِقَاءِ، فَكَانُوا يَشْغُرُونَ بِأَرْجُلِهِمْ وَيَدُونَ عُورَاتِهِمْ،
لَتَغْضِيَ عَنْهُمْ حَيَاً، وَتَكْفُ عنْهُمْ تَكْرُمًا.

وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ وَدَ بِأَوَّلِ الْمَكْرَمَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ لَكَ
حَسْنَ الصَّنْعِ فِي يَوْمِ أَحَدٍ حِينَ أَتَى طَلْحَةَ بْنَ طَلْحَةَ حَامِلًا لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ
نَفْسَ الْفَعْلِ الشَّنِيعِ، وَقَدْ يَكُونُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ وَدَ تَعْلِمُ الدِّرْسَ مِنْ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَسَمِعَ بِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سِيرَتِهِ بَعْدَ أَنْ ذُكِرَ ضَرِبَتِكَ لِأَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ
الْعَبْدَرِيِّ يَوْمَ أَحَدٍ، وَكَانَ حَامِلًا لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ: فَقَالَ لَهُ - لَعْنِي - بَعْضُ
أَصْحَابِهِ: أَفَلَا أَجْهَزْتَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ أَسْتَقْبَلَنِي بِعُورَتِهِ، فَعَطَفْتُنِي عَلَيْهِ

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٤٤ ط النجف.

الرحم، وعرفت أن الله قد قتله.

ثم قال ابن كثير: وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبي أرطاة... وقال أيضاً: وكذلك فعل مع عمرو بن العاص... وفي ذلك يقول الحارث بن النضر:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارسٌ غَيْرُ مَتَّهٍ
وَعُورَتُهُ وَسْطَ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٌ
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلَيْهِ سَنَاهٌ
وَيَضْحَكُ مِنْهَا فِي الْخَلَاءِ مَعَاوِيَةُ^(١)

ولئن ذكر الحارث في شعره عمرو بن العاص وبسر بن أبي أرطاة، إذ كان معاوية يسخر منهما، ولم يذكر من سبقهما، فقد قال الآخر وهو علوي يذكر الأربعة جمعاً:

أَرْبَعُ سُوءَاتٍ نَجَا أَصْحَابُهَا
فَالْعَبْدَرِيُّ وَابْنُ وَدَ بَعْدَهُ
لَئِنْ عَفَا حِيدَرٌ عَنْ قَتْلِهِمْ
لَكِنَّمَا الْعَارُ الَّذِي أَلْزَمَهُمْ
سِيفُ عَلَيْهِ كَفَّ عَنْهُمْ وَانْصَرَفَ
ثُمَّ ابْنُ عَاصٍ ثُمَّ بُشَّرْ بَصْلَفَ
أَوْ سَلِّهِمْ فَذَاكَ مِنْهُ مُؤْتَلِفٌ
فَسَبَّةَ تُلْحَقُهُمْ وَمَنْ خَلَفَ

نعم سيقى سيف على منار فخر واعتزاز لأولئك، ونقطة على أعدائه، فأوردتهم النار كما أورثهم العار، ويقى على نسخة فريدة في سلوكه مع أعدائه، وصوته يرن في مسمع الأجيال: (إني استحييت)، ولا يعلوه طنين الذباب في مستنقع الأحقاد على أفواه المعاندين.

وليقل بعض الخوارج: لم يكن علي وحده قاتل عمرو، بل شركه محمد بن مسلمة، وأخذ بعض السلب.

ولنقرأ ما كتبه الحاكم المستدرك عن ذلك، قال: فقد ذكرت في مقتل عمرو من الأحاديث المستندة عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق ما بلغني، ليتقرّر عند المنصف من أهل العلم أن عمرو بن عبد ود لم يقتله ولم يشرك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: إن محمد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.

ووالله ما بلغنا هذا عن أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وكيف يجوز هذا، وعلى رضي الله عنه يقول ما بلغنا: (إني ترُفت من سلب ابن عمي فتركته)، وهذا هو جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضوره رسول الله ﷺ^(١).

وإذا كان بعض الخوارج قال ما قال ورثة الحاكم كما مرّ فإن له في التواصص أشباهاً وأشباهاً.

فالباحث الجاحد يقول في رسالته العثمانية: والحجّة العظمى للقائلين بتفضيل علي قتله الأقران وخطوبه الخروب، وليس له في ذلك كبير فضيلة، لأنّ كثرة القتلى والمشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقىد، لوجب أن يكون للزبير، وأبي

دجاته، و محمد بن مسلمة، و ابن عفرا، و البراء بن مالك، من الفضل ما ليس لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، لأنه لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً، ولم يحضر الحرب يوم بدر، ولا خالط الصنوف، وإنما كان معتزاً بهم في العريش ومعه أبو بكر.

وقال أيضاً: ثم قصد الناصرون لعلي والقائلون بفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم، وليسوا هناك!! فمنهم عمرو بن ود، وذكروا أنه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتبة بن الحارث، ويسطام بن قيس، وقد سمعنا بأحاديث الفجار، وما كان بين قريش ودوس، وحلف الفضول، فما سمعنا لعمرو بن ود ذكرأ في ذلك^(١).

إلى غير ذلك من أغاليطه وأباطيله، وقد تولى الرد عليه معاصره أبو جعفر الإسکافي، وهو معتزلي مثله، إلا أن الجاحظ بصري، ومن ثم غلت عليه العثمانية، والإسکافي ببغدادي، وبين معتزلة البلدين فوارق ذكروها لسننا بصدقها، كما ردّ عليه جماعة من متكلمي الشيعة.

وقد مرّ بنا ما يفتد مزاعم الجاحظ جملة وتفصيلاً، ولا يهمنا الوقوف عنده كثيراً، وقد عرفناه ناصبياً عنيداً، ويكتفينا في تعريفه ما قاله فيه المؤرخ المسعودي في مروج الذهب.

قال: وقد صنف كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه، وأيده

(١) الرسالة العثمانية ، ص ١٠ - ١١ (رسائل الجاحظ) جمع حسن السندي ط القاهرة

بالبراهين، وعَضَّدَهُ بالأدلة فيما تصوره عن عقله، وترجمه بكتاب العثمانية، يحمل فيه عند نفسه فضائل علي عليه السلام، ومناقبه، ويحتاج فيه لغيره، طلباً لإمامات الحق، ومضادة لأهله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامية المروانية وأقوال شيعتهم، ورأيته مترجمًا بكتاب إمامية أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، في الانتصار له من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته...

ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية، يذكر فيه ما فاته ذكره ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين علي ومناقبه...^(١)

أقول: ويكتفي القارئ دليلاً على كذب الجاحظ في زعمه عن النبي عليه السلام: (لم يحضر الحرب يوم بدر، ولا خالط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش مع أبي بكر)، قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه [والله] وسلم، وهو أقربنا إلى العدو^(٢).

ويكتفي أيضاً في ردّ فريته على شيعة علي أنهم مغالون في إطراء أعدائهم و منهم عمرو بن عبد ود، ولو لم يكن له شأن يذكر فما بال المسلمين استحوذ عليهم الخوف منه لما اقتحم عليهم الخندق في خمسة

(١) مروج الذهب ٢٥٣/٣ محمد عي الدين عبد الحميد، ط مصر سنة ١٣٧٧ هـ

(٢) ذكر ذلك الصفدي في الغيث المسجم ٢٧٣/١ ط بيروت، وأحمد في مستذه ٨٦/١

فرسان هو سادسهم، والمسلمون ثلاثة آلاف، وكأنهم كلما دعاهم إلى المبارزة كلما زادهم رعباً، فجبنوا كلهم ونكلو؟

قال الإسکافي في هذا المقام: فإذاً أن يكون هذا أشجع الناس كما قد قبل عنه، أو يكون المسلمين كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم! اهـ.

هذا ولئن أطلنا الوقوف مع الجاحظ الجاحد، لأنه مغالط ومعاند، وكم له من شبيه ونظير في سوء النية وخبث الطوية كالذهبی وابن تیمیة، ولهم أنماط في وحل الأسقاط، يحدوهم العناد، لتوريث الأحقاد.

ذكر الخلبي في سيرته عند ذكر قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قتل علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عبادة الثقلين).

قال الإمام أبو العباس ابن تیمیة: وهذا من الأحادیث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ومنهم الأنبياء، قال: بل إن عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة. اهـ.

أقولـ والقاتل هو الخلبيـ: ويرد قولهـ: (إن عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة) قول الأصیل ويعني سیرة ابن هشامـ. وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر... ويردهـ أيضاً ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل حمداًـ.

واستدلاله بقولهـ: (وكيف يكون...) إلى آخره فيه نظرـ لأن قتل هذا

كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين^(١).

أقول: وما حكاه الخلبي عن ابن تيمية هو الموجود في كتابه منهاج السنة، ورد الخلبي عليه كما ترى مع إغفاله الرد على ما قاله ابن تيمية في الحديث وأنه من الأحاديث الموضعية الخ ، فنقول لابن تيمية وأشياعه: لقد ورد الحديث في الكتب التالية مسندًا هكذا:

١- ففي مستدرك الصحاحين للحاكم النسابوري قال الحاكم بعد ذكر قتل علي لعمرو... الخ:

(وله شاهد عجيب) حدثنا لؤلؤ بن عبد الله المقדרي في قصر الخليفة ببغداد، ثنا أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب المصري بدمشق، ثنا أحمد بن عيسى الخشاب بتنيس، ثنا عمرو بن أبي سلمة، ثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيمة». ولم يعقب عليه بشيء^(٢).

٢- وفي تلخيص المستدرك للذهبي بهامشه: قال الذهبي: (وشاهده) عمرو بن أبي سلمة، ثنا الثوري إلى آخر السند والحديث كما سبق. وعقب عليه الذهبي بقوله: قبح الله رافضياً افتراء!... يا لله ما ذنب الروافض إذا كان الحق ينطق مبغضاً وعنيداً؟

(١) السيرة الخلبية ٣٢٠/٣.

(٢) مستدرك الحاكم ٣٢/٣.

ولزيادة الإطلاع فإن لدى مراجعة السند الذي ذكره الذهبي في تلخيصه، لم أجد رافضياً واحداً بين رجال إسناده، وإلى القارئ ما قاله الذهبي نفسه عنهم في كتابه: تذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال والمغنى، وما حكاه فيهم من توثيق، ومن فيه ندينه.

(١) عمرو بن أبي سلمة: قال في الميزان: صدوق مشهور، أثني عليه غير واحد^(١).

(٢) سفيان الثوري: ترجمه في تذكرة الحفاظ وأطالب، إلى أن قال: قلت: مناقب هذا الإمام في مجلد لابن الجوزي، وقد اختصرته وسقت جملة حسنة من ذلك في تاريخي^(٢).

(٣) بهز بن حكيم: عن أبيه عن جده: ذكره في كتابه الميزان والمغنى، ووضع أمام اسمه علامة تخریج الأربعه لحديثه في كتابهم، وهم أبو داود والترمذی والنسائی وابن ماجة، وقال: صدوق فيه لین، وحديثه حسن، وثقة ابن المديني وابن معین والنسائی، وقال أبو داود: أحادیثه صحاح. وزاد في الميزان: وقال الحاکم: ثقة، إنما أسقط من الصحيح لأن روایته عن أبيه عن جده شاذة لا متابع له عليها. وقال أبو داود: هو حجة عندي. وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً، ولم أر أحداً من الثقات يختلف في الروایة عنه، فاما احمد واسحاق فاحتاجاً

(١) الميزان ٢٦٢/٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ - ٢٠٧.

به، وتركه جماعة من أئمتنا. قلت: ما تركه عالم قط، إنما توقفوا في الاحتجاج به^(١).

وختم الذهبي الترجمة بثلاثة أحاديث عن بهز عن أبيه عن جده.
الأَسْأَلَيْنَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ: مَنْ هُوَ الرَّافِضُ مِنْ هُوَلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ
فِي سَنْدِ الْحَدِيثِ حَتَّى قُلْتَ: (قَبْحُ اللَّهِ رَافِضِيَاً افْتَرَاهُ).
الْأَقْبَحُ اللَّهُ نَاصِبِيَاً كَذَبَ بِهِ وَامْتَرَاهُ.

٣ - وفي فرائد السمعطين للحافظ الحموي، قال: أَبْنَانِي شِيخُنَا أَبُو
عُمَرُ عُثْمَانَ بْنَ الْمُوقِرِ رَحْمَهُ اللَّهُ، عَنِ الْمُؤْيِدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَقْرَئِ إِذْنًا، عَنِ
عَبْدِ الْجَبَارِ بْنِ مُحَمَّدِ الْخَوَارِزَمِيِّ، قَالَ: أَبْنَانِي أَبُو الْحَسْنِ عَلِيُّ بْنِ حَمْدَانِ
الْنِيْسَابُورِيِّ الْمَفْسُّرِ رَحْمَهُ اللَّهُ، قَالَ: أَبْنَانِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمْدَانِ
السَّعْدِيِّ، حَدَّثَنَا لَوْلُوُ الْقِبْرِسِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ
خَضْرِ الصَّوْفِ بِالْمُوْصَلِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسِينِ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ شَدَّادِ،
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ الْخَنْظَلِيِّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ الْقَرْشَيِّ عَنِ
بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ،
قَالَ: لِمَبَارِزَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْمُصَدَّقَةُ لِعُمَرِ بْنِ عَبْدِ وَدِ يَوْمِ الْخَنْدَقِ
أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَمْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢).

٤ - وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي قال: أَخْبَرْنَا الطَّاهِرِيِّ،

(١) ميزان الاعتدال ٣٥٣/١. المغني ١١٦/١.

(٢) فرائد السمعطين ٢٥٥/١.

حدثنا لولو بن عبد الله القيصري... إلى آخر ما تقدم سندًا ومتنا^(١).

٥ - وفي مقتل الحسين لأخطب خوارزم، قال الخوارزمي: أخبرنا الإمام الحافظ أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد الجوني، قال: قرأت على أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان السعدي... إلى آخر ما مرّ عن الفرائد سندًا ومتنا^(٢).

٦ - وفي مناقب الإمام علي بن أبي طالب للموفق بن أحمد أخطب خوارزم عين ما تقدم في كتابه مقتل الحسين^(٣).

٧ - وفي تاريخ دمشق لابن عساكر في ترجمة لولو القيصري قال: أخبرنا أبو الحسن بن قيس، حدثنا أبو منصور بن خيرون، أئبنا أبو بكر الخطيب، أئبنا الطاهري... إلى آخر ما مرّ عن الخطيب البغدادي في تاريخه.

٨ - وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكناني، قال: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله، أخبرنا أبو سعد السعدي قراءة عليه غير مرة، أخبرنا لولو القيصري ب بغداد سنة سبع وستين إلى آخر ما مرّ سندًا ومتنا^(٤).

فهذه ثمانية كتب ورد فيها الحديث مستندًا، ذكرتها مع أسانيدها، فهل

(١) تاريخ بغداد ١٨/١٣ - ١٩.

(٢) مقتل الحسين ٤٥/١ ط النجف.

(٣) مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ص ٦٣ ط حجرية.

(٤) شواهد التنزيل ٨/٢

هذه الكتب كلها لا يعتمد عليها؟ وهل كل أسانيدها لا تنهض في منهاج ابن تيمية إلى درجة الضعف فضلاً عن أن تكون حسنة أو قوية؟ ولنختتم الكلام بما قاله الكاتب القدير المصري الشهير أحمد خيري في كتابه الإمام الكوثري: إن ابن تيمية كان من اللاعبيين بدين الله، وإنه في جل فتاواه كان يتبع هواه...^(١)

ولإفاده القارئ نذكر له بعض المصادر التي ذكرت قول النبي ﷺ مرسلاً: لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

وباللطف آخر: لم يازرة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من عمل - أعمال - أمتى إلى يوم القيمة.

- ١ - فردوس للأخبار للديلمي ٤/٥٠٤، ط بيروت.
- ٢ - بنايع المودة، ص ٥٩، إسلامبول سنة ١٣٠٢هـ.
- ٣ - المواقف للعصفد الإيجي، ص ٦١٧، ط الأستانة.
- ٤ - مناقب الخوارزمي، ص ٦٤، ط حجرية ١٣١٣هـ.
- ٥ - شرح المقاصد للتفتازاني ٢/٢٣٠، ط الأستانة.
- ٦ - تفسير الفخر الرازي ٨/٦٣١، ط الأستانة.
- ٧ - شرح التجريد للقوشجي، ص ٤١٠، ط حجرية سنة ١٣٠١هـ.
- ٨ - الأوائل لأبي هلال العسكري.

(١) الإمام الكوثري، ص ٢٣.

٩- الأربعين في أصول الدين للرازي، ص ٤٧٥ ، ط حيدر آباد.

١٠- شرح نهج البلاغة ٤/١٠٥ ، ط مصر الأولى.

١١- أرجح المطالب للأمرتسري، ص ١٨٤.

١٢- ينابيع المودة، ص ٩٤. وفيها:

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لعلي لما قتل عمراً: أبشر يا علي،
فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم.

هذه بعض المصادر التي وقفت عليها، وما لم أقف عليه فالله به علیم، أهل يصح الرزعم بأنها من الكتب غير المعتمد عليها كما يقول ابن تيمية وأشباعه؟ ولماذا هي غير معتمدة؟

والجواب: إنما هي غير معتمدة عند ابن تيمية وأشباعه لأنها تذكر لعلي كرامة، فضلاً عن إثبات الإمامة، وما جاء فيها من أحاديث المدح يحکم عليه بالوضع وعلى راويه بالجرح كما صنع الألباني بالنسبة إلى هذا الحديث، حيث أدرجه في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وكذبها^(١)، وما ذلك إلا أنه في فضل علي عليه السلام.

وبالتالي ليتجنّنَ الناولون كما فعل الأولون، وليس ذلك بضائع، فعلي يبقى هو الإيمان كله وقد بُرِزَ إلى الشرك كله، برغم كل جاحد ومعاند، ويبقى هو الخالد بموقفه يوم الخندق كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي: فاما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤/٨١ ط الشام.

أجلَّ من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو البديل وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله علي أم أبي بكر؟ فقال: يا ابن أخي، والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعذر أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربى عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل هو أبلغ منه، روى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن ربيعة بن مالك السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل بصيرة: إنكم لتفرون في تقيير هذا الرجل. فهل أنت محدثي بمحدث عنده ذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة، وما الذي تسألني عن علي؟! وما الذي أحدثك عنه؟! والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمَّةٍ محمدَ عليه السلام في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها.

فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إنني لأنظنه إسراها يا أبا عبد الله!

فقال حذيفة: يا لكت وكيف لا يحمل؟ وأين كان المسلمين يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملأوكهم البلح والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه، حتى بز إليه علي فقتله، والذي نفس حذيفة بيده

لعمله ذلك اليوم أعظم أجرًا من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم والى أن تقوم القيمة.

وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضربَ عليُّ بن أبي طالب عَلَيْهِمَا سُبُّهُ ضربةً ما كان في الإسلام أيمن منها، ضربته عمراً يوم الخندق. ولقد ضرب علي ضربةً ما كان في الإسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنة الله^(١).

وأخرج الموفق بن أحمد في المناقب بسنده قال: جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ما ترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع فقال له: ما ترى في طلاق الأمة؟ فقال: (اثنتان) بيده. فالتفت إليهما عمر فقال: اثنتان. فقال له أحدهما: جتناك وأنت الخليفة فسألناك عن طلاق الأمة، فجئت إلى رجل فسألته، فو الله ما كلّمك. فقال له عمر: وبذلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أن السماوات والأرض وضعت في كفة ميزان وزن إيمان علي لرجح إيمان علي على السماوات والأرض^(٢).

وأخرجه بسند آخر فيه: أشهد على رسول الله ﷺ يقول... إلى آخر الحديث.

(١) شرح النهج للمعتزلي ٦١-٦٠/١٩ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مصر.

(٢) المناقب، ص ٧٨ ط حجرية سنة ١٣١٣هـ. وقارن كنفية الطالب، ص ١٢٩ ط النجف (الأولى). الرياض النصرة ٢٢٦/٢. ذخائر العقبى، ص ١٠٠. مناقب ابن المازلي، وغيرها.

سد الأبواب إلا باب علي

٩٩- ومذ أتى الوحي من المولى العلي بسد أبواب سوى باب علي
١٠٠- وسدت الأبواب إلا بابه فأظهر السخط لذا أصحابه
١٠١- قام النبي خاطباً ومعلماً ما كان أمرني إنه أمر السماء
أشار سيدنا الناظم دام ظله إلى الحديث المعروف بحديث سد
الأبواب إلا باب علي.

قال الحافظ الحموي في فرائد السبطين: وحديث سد الأبواب رواه
نحو من ثلاثة رجال من الصحابة، أغربها حديث ابن عباس^(١).
أقول: لم يبين وجه الغرابة في ذلك، وما ذكره من حديث ابن
عباس لم يظهر منه ما أشار إليه، وسيأتي بيان ذلك.

أما الصحابة الذين روي عنهم الحديث وما في معناه فهم فيما وقفت

(١) فرائد السبطين ٢٠٨/١.

على أسمائهم زهاء عشرين، منهم سبعة عشر رجلاً، وهم:

١— أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: وأخرج حديثه البزار في مسنده كما في مجمع الزوائد للهيثمي^(١)، والسيوطى في كتبه: الحاوي والثلاثى وجمع الجوامع وغيرها.

٢— عبد الله بن عباس: وحديثه في سنن الترمذى، وخصائص النسائى^(٢)، ومعجم الطبرانى الكبير، وفتح البارى، والإصابة، والقول المسدّد، كلها لابن حجر وغيرها.

٣— عمر بن الخطاب: وحديثه في تاريخ ابن كثير، ومجمع الزوائد، ومناقب الخوارزمى، ومستدرك الحاكم، وتلخيص الذهبي، وصواعق ابن حجر، وغيرها^(٣).

٤— عبد الله بن عمر: وحديثه في صحيح البخارى وشروحه فتح البارى، وإرشاد السارى، وعمدة القارى، وفي خصائص النسائى، ومجمع الزوائد، ولسان الميزان، وغيرها.

٥— سعد بن أبي وقاص: وحديثه في مسنند أحمد، وخصائص النسائى^(٤)، وقوى إسناده، وشروح البخارى الثلاثة الآنفة الذكر، وتاريخ

(١) مجمع الزوائد ١١٥/٩.

(٢) سنن الترمذى ٢١٤/٢ وصححه. خصائص النسائى، ص ١٢-١٣.

(٣) البداية والنهاية ٣٤١/٧ . مجمع الزوائد ١٢٠/٩ . المناقب للخوارزمى، ص ٢٦١ . المستدرك للحاكم ١٢٥/٣ . تلخيص الذهبي بهامشة . الصواعق المحرقة، ص ٧٦ .

(٤) خصائص النسائى، ص ١٣ . تاريخ ابن كثير ٣٤٢/٧ .

- ابن كثير^(١)، وابن عساكر، وغيرها.
- ٦ — زيد بن أرقم: وحديثه في مسند أحمد ومناقبه، وخصائص السائي، ومستدرك الحاكم، وجمع الزوائد، وصواعق ابن حجر، والرياض النبرة، وذخائر العقبى، وغيرها.
- ٧ — أنس بن مالك: وحديثه في الثنالى المصنوعة^(٢) نقلًا عن العقيلي^(٣).
- ٨ — أبو ذر الغفارى: وحديثه في مناقب الخوارزمى، وبنایع المودة، وغيرهاما.
- ٩ — حذيفة بن أسىد الغفارى: وحديثه في مناقب ابن المغازلى المالكى، وهو أوفى حديث في الباب وسنذكره.
- ١٠ — البراء بن عازب الأنصارى: وحديثه في مناقب ابن المغازلى، وتاريخ ابن كثير^(٤)، وسيرة الخلبي^(٥)، وغيرها.
- ١١ — بريدة الأسلمى: وحديثه في فضائل الصحابة لأبي نعيم، وفرائد السمعطين^(٦).

(١) البداية والنهاية ٣٤٢/٧.

(٢) الثنالى المصنوعة ١٨١/١.

(٣) راجع الضغفاء ٣٤٦/٤ ترجمة هلال بن سويد.

(٤) البداية والنهاية ٣٤٢/٧.

(٥) السيرة الخلبية ٣٧٣/٣.

(٦) فرائد السمعطين ٢٠٥/١.

١٢ — جابر بن سمرة السواني: وحديه في معجم الطبراني الكبير^(١)، وجمع الزوائد^(٢)، والقول المسدد لابن حجر^(٣)، وفتح الباري، وارشاد القسطلاني، وسيرة الحلبى، وغيرها.

١٣ — جابر بن عبد الله الأنصاري: وحديه في تاريخ الخطيب^(٤)، وتاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام)، وكفاية الطالب، وكتنز العمال وغيرها.

١٤ — أبو سعيد الخدري: وحديه في مجمع الزوائد^(٥)، وقال: رواه أحمد بسنده حسن، والطبراني في الأوسط. وفي مستدرك الحاكم^(٦)، وأخبار القضاة لوكيع^(٧)، وغيرها.

١٥ — أبو الحمراء: وحديه في الإصابة في ترجمة حبة العرني الآتى^(٨)، وفي الدر المثور للسيوطى في سورة النجم في قوله تعالى «وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهَوَى»^(٩).

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٧٤/٢.

(٢) مجمع الزوائد ١١٥/٩.

(٣) القول المسدد، ص ١٨.

(٤) تاريخ بغداد ٢٠٥/٧.

(٥) مجمع الزوائد ١١٤/٩.

(٦) المستدرك ١١٧/٣.

(٧) أخبار القضاة ١٤٩/٣.

(٨) الإصابة ٣٧٣/١.

(٩) الدر المثور ١٢٢/٦.

١٦ — حبة العربي: وحديه في ترجمته في الإصابة^(١).

١٧ — عبد الله بن مسعود: وحديه في فرائد السمعتين، واللثالي المصنوعة^(٢).

ولا شك في أنه قد فاتني غيرهم بعد ما قرأتنا قول الحمويني: ورواه نحو من ثلاثين رجلاً من الصحابة.

أما من رواه من النساء فقد ذكروا ذلك عن اثنتين من أمهات المؤمنين وكفى، هما السيدتان:

١ — عائشة: وأخرج حديثها الحافظ عبد الغني بن سعيد في كتابه إيضاح الإشكال، وعنه السيوطي في اللثالي المصنوعة^(٣)، بالسند إليها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ووجهه بيوات أصحابه شارعة في المسجد: وجّهوا هذه الأبواب عن المسجد. فدخل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم المسجد ولم يصنع القوم شيئاً، رجاء أن ينزل عليهم في ذلك رخصة، فخرج عليهم فقال: وجّهوا هذه الأبواب عن المسجد، فإبني لا أحل المسجد لخائض ولا جنب إلا لحمد. والله أعلم.

هذا ما ذكره السيوطي عن الحافظ عبد الغني بن سعيد، ولم يرد فيه ذكر علي ولا آل محمد، وقد يظن أنه أجنبي عن المقام، ولكن إذا رجعنا إلى

(١) الإصابة/٣٧٣/١.

(٢) اللثالي المصنوعة/١٨١/١.

(٣) اللثالي المصنوعة/١٨٣/١.

تاریخ البخاری الكبير^(١)، والى سنن البیهقی كما في تزییه الشریعه لابن عراق^(٢)، نجد عن عائشة حديثها، قالت: قال رسول الله صلی الله علیه وآلہ وسلم لعلی: لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

٢ — أم سلمة: وحديثها في سنن البیهقی^(٣)، وفرائد السمعطین، وسیرة الخلبی، ومناقب الخوارزمی، وقد مرّ في آیة التطهیر ما يتعلّق بالمقام في حديثها، فراجع.

أما من أرسله إرسال المسلمين من سادات التابعين فهم:

١- أبو حازم الأشجعی: في الخصائص الكبرى للسيوطی^(٤).

٢- المطلب بن عبد الله بن حنطب: وحديثه في فتح الباری، والکشاف، وأحكام القرآن للجصاص، واللثالی للسيوطی^(٥).

٣- عبد الله بن مسلم الضبی الملائی: وحديثه في وفاء الوفاء^(٦).

٤- عدی بن ثابت: وحديثه في مناقب ابن المغازلی^(٧).

٥- ناصح بن عبد الله: وحديثه عن ابن عساکر.

(١) التاریخ الكبير ١٠٨/١.

(٢) تزییه الشریعه ٣٨٥/١.

(٣) السنن الكبرى للبیهقی ٦٥/٧.

(٤) الخصائص الكبرى ٢٩٤/٣ ط مصر بتحقيق هراس وغيره.

(٥) اللثالی المصنوعة ١٨١/١.

(٦) وفاء الوفاء ٣٣٨/١.

(٧) المناقب لابن المغازلی، ص ٢٥٢.

ونظراً لعدد صور الحديث فإننا نختار أوفى صورة وصلت إلينا، وقد نشير إلى غيرها عند الحاجة، وتلك الصورة هي ما رواه حذيفة بن أسد الغفاري، وقد أخرج حديثه ابن المغازلي المالكي في مناقبه^(١) بسنده إلى حذيفة، قال:

لما قدم أصحاب النبي ﷺ المدينة لم يكن لهم بيوت يبيتون فيها، فكان يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي ﷺ: لا تبيتوا في المسجد فتحتلوا.

ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإن النبي ﷺ بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر، فقال: إن رسول الله يأمرك أن تخرج من المسجد. فقال: سمعاً وطاعة. فسدَ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى عمر فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه. فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أني أرغب إلى الله في خوخة في المسجد. فأبلغه معاذ ما قاله عمر. ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية، فقال: سمعاً وطاعة. فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى حمزة فسدَ بابه، وقال: سمعاً وطاعة لله ورسوله.

وعلى على ذلك يتزدّد ولا يدري أهـو فيمن يقيم أو فيمن يخرج، وكان النبي ﷺ قد بـنـى له بـيـتاً في المسـجـد بـيـنـ أـيـاتـهـ، فـقـالـ لـهـ النـبـيـ ﷺ:

(١) المناقب لابن المغازلي، ص ٢٥٤.

اسكن طاهراً مطهراً. بلغ حمزة قول النبي عليه لعلي، فقال: يا محمد تخربنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟ فقال له النبي الله: لا، لو كان الأمر لي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إلا الله، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر. فبشره النبي عليه فقتل يوم أحد.

ونفس ذلك رجال على علي فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب النبي عليه، بلغ ذلك النبي عليه فقام خطياً فقال:

إن رجالاً يجدون في أنفسهم في إني أسكنت علياً في المسجد، والله ما (أنا) أخرجتهم ولا أسكنته، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه «أنْ تَبُوءَ لِقَوْمٍ كَمَا بِمِصْرَ يَبُوئُوا وَاجْعَلُوا بَيْوَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»، وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينکح فيه ولا يدخله إلا هارون وذراته... وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحل مسجدي لأحد ينکح فيه النساء إلا علي وذراته، فمن ساعه فهنا. وأواماً بيده نحو الشام.

ولما كانت صور الحديث كثيرة تبعاً لكترة رواتها في حياثاتها وزمانها ومكانها، لذلك قد تجد في بعضها ما ليس في بعضها الآخر، ولكنها متحدة المضمون، وذلك أن النبي عليه سدّ أبواب المسجد غير باب علي، كما هو لفظ حديث ابن عباس في ذيل حديث طويل ذكر فيه عشر فضائل للإمام عليه لم يشاركه غيره فيها، وقد أخرجه عنه أحمد في

مسنده^(١)، وفي فضائله، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة^(٢). وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصححته، والنسائي في الخصائص، وأبو نعيم في الحلبة، وابن كثير في تاريخه، والخوارزمي في مناقبه، وابن المغازلي في مناقبه، والبيشمي في جمجم الزوائد، والطبراني في الكبير والأوسط باختصار، وغيرهم وغيرهم، منهم الحموياني في الفرائد، وقال: وحديث سد الأبواب رواه نحو من ثلاثين رجلاً من الصحابة، أغربها حديث عبد الله ابن عباس^(٣).

ثم ذكر الحديث عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلم: سدوا الأبواب كلها إلا باب علي عليه السلام.

أقول: وهذا الحديث كسابقه، ولم يبين لنا وجه الغرابة فيه، ولعله أراد بالغرابة رواية ابن عباس له بتخيل فقده عنصر المشاهدة في تلك الحادثة، حيث لم يكن يومئذ بالمدينة، بل كان بمكة، ولم يهاجر إلا مع أبيه العباس في السنة الثامنة.

ولكتنا إذا انتبهنا إلى أن ما رواه ابن عباس في هذا المقام لم يكن إلا جزءاً من حديث طويل أجاب به تسعه رهط جاؤوا يسألونه، فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء. فقال ابن عباس: بل أقوم

(١) مسنده أحمد ٣٣١/١.

(٢) مستدرك الحاكم ١٣٢/٣.

(٣) فرائد السمعطين ٢٠٨/١.

معكم. فقام وهو يومئذ صحيح قبل لن يعمى، فانتدوا فتحديثوا لا يُدرى ما قالوا، فجاء ينفض ثوبه ويقول: أَفَ وَتَفَّ، وَقَعُوا فِي رَجُلٍ لَهُ بَضْعُ عَشْرَةِ فَضَائِلٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْفَضَائِلَ الْأَتِيَّةَ:

- ١- إِعْطَاوَهُ الرَايَةَ يَوْمَ فَتحَ خَيْرٍ.
- ٢- إِرْسَالُهُ لِتَبْلِيغِ سُورَةِ بِرَاءَةٍ.
- ٣- حَدِيثُ بَدْءِ الدُّعَوَةِ فِي إِنْذَارِ الْعَشِيرَةِ وَمَقَامِهِ فِي ذَلِكَ.
- ٤- إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ.
- ٥- نَزُولُ آيَةِ التَّطْهِيرِ فِيهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ.
- ٦- مَبْيَتِهِ عَلَى فَرَاشِ النَّبِيِّ عليه السلام لِيَلِةَ الْهِجْرَةِ.
- ٧- حَدِيثُ الْمَنْزَلَةِ.
- ٨- حَدِيثُ سَدِ الْأَبْوَابِ.
- ٩- حَدِيثُ الْغَدِيرِ وَالْمَوَالَةِ.
- ١٠- شَهُودُهُ بَدْرٌ وَمَوْقِفُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فَذَكَرَهُ لِهَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي مِنْهَا مَا تَوَفَّ لَهُ فِيهَا عَنْصُرُ الْمَشَاهِدَةِ، وَمِنْهُ مَا كَانَتْ بِالسَّمَاعِ، لَيْسَ فِيهِ أَيْةٌ غَرَابَةٌ.

نعم إنَّ هَذَا الْحَدِيثُ - حَدِيثُ سَدِ الْأَبْوَابِ - كَفِيرٌ مِنْ أَحَادِيثِ فَضَائِلِ الْإِمَامِ عليه السلام، لَمْ يَسْلُمْ مِنْ التَّضْبِيبِ وَالْتَّعْتِيمِ، وَقَدْ مَرَّتِ الإِشَارَةُ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الرَايَةِ، وَحَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ، وَحَدِيثِ تَبْلِيغِ

سورة براءة، وحديث بدء الدعوة، وحديث المزلة، وغيرها.

فما كان نصيب هذا الحديث من تعنيف، لقصیر مدى الرؤية وبالتألی إلى انعدامها، ذکر العباس في بعض صور الحديث كما في حديث رواه أحمد في مسنده^(١)، والنسائي في خصائصه^(٢)، والبيشمي في مجمع الزوائد^(٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني. ثم قال: وإسناد أحمد حسن.

كلهم ذکروا الحديث عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: إن النبي ﷺ أمر بسد الأبواب فسدَتْ، وترك باب علي، فأتاه العباس، فقال: يا رسول الله سدت أبوابنا وتركت باب علي؟ قال: ما أنا فتحتها ولا أنا سدتها. ومعلوم أن العباس لم يكن يومئذ في المدينة حين سُدَّت الأبواب، بل كان بعد بكرة ولم يهاجر إلا في السنة الثامنة، وزمان سد الأبواب كان في السنة الأولى من الهجرة، فيبينهما سبع سنين، فذكر العباس إما أن يكون سهواً من الرواة حين سمعوا من النبي ﷺ سدَّ الأبواب، فقال له عمه، فظنوه العباس، وليس هو، وإنما المراد به الحمزة كما مرَّ في حديث حذيفة. وإنما أن يكون حشر اسم العباس عن قصد وعمد ليفتح بذلك باب التشكيك في صحة الحديث، وبالتالي إلى إنكاره والحكم عليه بالوضع، ولا

(١) مسنـد أـحمد ١٧٥/١.

(٢) خـصائـص النـسائـي، ص ١٣.

(٣) مـجمـع الزـوـاـيد ١٤٩/١١٤.

تعجب إن قلت إلى إنكاره، فثمة من بلغت به القحة والنصب فزعم أن الحديث باطل وموضع، ولم يكن زعمهم ذلك من جهة ذكر العباس أو غيره، وإنما لدعواهم معارضته لما ورد في الصحيحين - يعني صحيح مسلم والبخاري - من حديث الخوixa: (سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر)^(١). فتسلىوا من وراء الخوixa وعموا عن الباب، شأن كل مختار مرتاب من النصاب، كابن الجوزي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، والذهبى^(٤)، وابن

(١) الخوixa كما في الصاحح للجوهرى: كُوَّةٌ في الجدار تؤدي الضوء.

(٢) قال التووى: وقد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلدين، أعني أبو الفرج ابن الجوزي، فذكر كثيراً مما لا دليل عليه.

وقال السيوطي: ذكر في كتابه كثيراً مما لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف، بل وفيه الحسن والصحيح، وأغرب من ذلك أن فيه حديثاً من صحيح مسلم (تدريب الراوى ٢٣٥/١).

وقال ابن عراق في تزييه الشريعة ٣/١: وللإمام الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي فيها الموضوعات. كتاب جامع، إلا أن عليه مواخذات ومناقشات.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٧هـ من تاريخه: وفي هذه السنة... توفي أبو الفرج... وكان كثیر الواقعة في الناس، لا سيما في العلماء المخالفين لمنهبه.

وقال اليافعي في حوادث سنة ٥٩٥هـ من مرآة الجنان: وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط، وتلقاه الناس، ويبقى في المطحورة خمس سنين، كذا ذكره الذهبى.

(٣) وهذا كان على شاكلة سابقه، بل زاد عليه حتى أفتى أصحاب المذاهب ضدّه، وأصدروا فتاواهم بفيه، بعد مجاجاتهم له، وأمر السلطان بمنشور يتلى على المنابر في ذلك، وحبس حتى مات في سجن القلعة.

(٤) وهذا هو تلميذ ابن تيمية وعلى رأيه في هواه وفي عناده، ولقي من جراء ذلك الأذى =

كثير^(١) ومن شاييعهم، ولم يقف بهم مبلغ علمهم عند حد المعارضة والحكم بالوضع على حديث الأبواب، بل تحدّثوا على الشيعة فبهتوم بما ليس لهم في ذلك من ذنب، فقالوا: (وضعه الرافضة)، فاقرأ ما قاله ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وهو يذكر باب في فضائل علي عليه السلام:

الحديث الرابع عشر في سد الأبواب غير بابه، فيه عن سعد، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وجابر. ثم ذكر أحاديثهم وأعلّها بشرح بعض رجال إسنادهم، ثم قال: فهذه الأحاديث كلها من وضع الرافضة، قابلوا بها - الحديث المتفق على صحته في (سد الأبواب إلا باب أبي بكر)، ثم ذكر ذلك الحديث بسنده إلى أبي سعيد، قال:

خطب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الناس فقال: إن من أمن الناس في صحبته وما له أبا بكر، ولو كنت متخدناً خليلاً غير ربي عزّ وجل لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر. أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين، وأخرج البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: (سدوا عنى كل خوّة في المسجد غير خوّة أبي بكر)، وقد روى بعض المحدثين في حديث أبي بكر زيادة ولا تصح ...

ثم ذكر تلك الزيادة من رواية أنس بن مالك، قال: إن رسول الله

= والعلّت لهذه العلاقة بابن تيمية كما يقول محقق كتابه العبر في المقدمة.

(١) وهذا تلميذ آخر لابن تيمية، وربما كان أكثر لصوقاً به، وقد حبس معه فترة، فلا حاجة إلى المزيد في تعرّيفه مع ما سيأتي ذكره في المتن.

خطب الناس، فقال: سدوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر. فقال الناس: سدوا [كذا] الأبواب كلها إلا باب خليله. فقال: إني رأيت على أبوابهم ظلمة، ورأيت على باب أبي بكر نوراً. فكانت الآخرة أعظم عليهم من الأولى^(١).

هذا مبلغ علم ابن الجوزي، ولم يخرج ابن تيمية عن حفيرته، بل سار على وثيرته، ونسج على منواله، ولم يزد على ما جاء في مقاله، فقد قال في كتاب منهاج السنة (منهاج الاعتدال) بعد ذكر حديث سد الأبواب: فإن هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة، فإن الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي بِنْهُ أنه قال في مرضه الذي مات فيه: إن من أمن الناس على في ماله وصحته أبو [كذا] بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاختذلت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يقين خوته إلا سدت إلا خوته أبي بكر. (ورواه ابن عباس أيضاً في الصحيحين)^(٢). فانظر إلى ابن تيمية في قوله هذا، هل جاءنا بشيء جديد؟ وإنما هو اجتار وتكرار لما قاله ابن الجوزي من قبل.

أما الذهبي فلم يزد في كتابه المتنقى على ما مر ذكره ابن تيمية، ولا غرابة في ذلك فكتابه متنقى من كتاب ابن تيمية السابق، حيث سماه (المتنقى من منهاج الاعتدال في تفضي كلام أهل الرفض والاعتزال)^(٣).

(١) الموضوعات ٣٦٣/١

(٢) منهاج السنة ٩/٣

(٣) المتنقى من منهاج الاعتدال، ص ٣١١

وأما ابن كثير فقد قال في تفسيره في تفسير قوله تعالى **﴿وَلَا جُنَاحَ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَعْتَسِلُوا﴾**^(١) بعد ذكر (سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر)، قال: ومن روى (إلا باب علي) كما في بعض السنن فهو خطأ، والصواب ما ثبت في الصحيح^(٢).

والآن وبعد مرورنا العابر على أقوال هؤلاء الناس أليس من حق القارئ أن يتساءل مع كل منهم: فيقول لابن الجوزي: كيف تحكم على الحديث بالبطلان والوضع وأنه من وضع الرافضة، والحديث رواه نحو من ثلاثة صحابيًّا كما مرَّ، وعن كل صحابيٍّ بعده طرق، وأخرجه الحفاظ من غير الشيعة، ومن جملتهم إمام المذهب الذي تمذهب به، أعني الإمام أحمد بن حنبل، فهل كل هؤلاء كانوا من الرافضة؟!

وقد ابرى إلى رده غير واحد من أعلام السنة فضلاً عن الشيعة، ولسنا بصدده ذكر ردودهم، ونكتفي بما قاله ابن حجر في كتاب (القول المسدَّد في الذب عن مسند أحمد)، حيث قال: قول ابن الجوزي في هذا الحديث: (إنه باطل وإنه موضوع) دعوى لم يستدل عليها إلا بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين، وهذا إقدام على رد الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم، ولا ينفي الإقدام على الحكم بالوضع إلا عند عدم إمكان الجمع...

(١) سورة النساء، الآية ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٠١/١.

إلى أن قال: وهذا الحديث من هذا الباب هو حديث مشهور له طرق متعددة، كل طريق فيها على انفراده لا تقصّر عنه رتبة الحسن، ومجموعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث، وأما كونه معارضًا لما في الصحيحين فغير مسلم، ليس بينهما معارضة...^(١)

إلى أن قال أيضًا: هذه الطرق المتضارفة بروايات الثقات تدل على أن الحديث صحيح دلالة قوية، وهذه غاية نظر المحدث...^(٢)

إلى أن قال: فكيف يدعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد هذا التوهم، ولو فتح الباب لرد الأحاديث لادعى في كثير من هذه الأحاديث الصحيحة البطلان، لكن يأبى الله ذلك والمؤمنون^(٣).

وقال ابن حجر في فتح الباري بعد ذكر ستة أحاديث في الباب:

هذه الأحاديث يقوّي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالحة للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وابن عمر، مقتضراً على بعض طرقه عنهم، وأعلمه ببعض من تكلم فيه من رواته، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلمه أيضاً بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً، فإنه سلك في ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه

(١) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد، ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.

المعارضة...^(١)

إلى آخر ما قاله ابن حجر في كتابه (القول المسد) و(فتح الباري)، وفيما ذكرناه عنه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد في رد ما قاله ابن تيمية أيضاً، الذي لم يأت من عنده بشيء جديد. كما مرّ. وإنما تبع ابن الجوزي في إعلاله واعتلاله، فلا يوبه بحاله.

لكن لا ينقض عجبي من الحافظ الذهبي، فهو يضلع مع ابن تيمية في كتابه (المتنقى) في طعن الحديث، بينما نقرأ قوله في كتابه تلخيص المستدرك للحاكم عند ذكر الحديث بأنه صحيح!!^(٢) فراجع لتعرف التناقض عند الرجل.

وحال ابن كثير لا يبعد في تناقضه عن الذهبي بكثير، فهو في تفسيره - كما مرّ - يطعن بالحديث، ويقول: ومن روى (الإ باب علي) كما وقع في بعض السنن فهو خطأ، والصواب ما ثبت في الصحيح.

بينما نجد هو في تارينه أخرج الحديث عن ابن عباس، وذكر قول عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثة خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إلى من حمر النعم. قيل: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، يحمل له ما يحمل له، والراية يوم

(١) فتح الباري ١٤/٨.

(٢) تلخيص المستدرك (بهاشم) ١٣٢/٣.

خير^(١).

وذكر أيضاً قول عبد الله بن عمر، وهو مثل قول أبيه في عد الخصال الثلاث^(٢). وذكر حديث سد الأبواب برواية زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص^(٣).

كما ذكر حديث أبي سعد الخدرى عنه صلى الله عليه [والله] وسلم أنه قال لعلي: يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك.

فهلم معى فاضحك. وشر البلية ما يضحك. فابن كثير في تفسيره يقول: (ما ورد في بعض السنن فهو خطأ، والصواب ما ثبت في الصحيح)، وهو نفسه يخرجه في تاريخه كما مرّ عليك، ولا يكتفى بتخرجه فقط، بل بمحاولة الجمع بين حديث سد الأبواب وحديث الخوخة، فيقول بعد ذكره الحديث برواية سعد بن أبي وقاص:

وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر الصديق، لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيته إلى بيت أبيها، فجعل هذا رفقاً بها، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة، فاحتياج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصل إلى الناس إذ كان

(١) البداية والنهاية ٣٣٨/٧.

(٢) المصدر السابق ٣٤١/٧.

(٣) المصدر السابق ٣٤٢/٧.

ال الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام، وفيه إشارة إلى خلافته. اهـ.

أو ليس معنى الجمع بين الحدثين هو ثبوتهما معاً عنده، ونحن لا نناقش في تعليمه العليل في حق باب علي لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيته إلى بيته، ولا نقول له: أين كان بيت فاطمة حين أمر النبي عليه السلام بسد الأبواب، ألم تكن هي بعد في بيت أبيها لم يتزوجها علي عليه السلام، فسد الأبواب كان في السنة الأولى بعد بناء المسجد، وزواجهها كان بعد بدر وهي في السنة الثانية على المشهور عند المؤرخين، وهو منهم، وقد ذكره في تاريخه^(١).

وعلى فرض صحة ما ذهب إليه، هل لنا أن نقول له: لماذا لم يشمل النبي عليه السلام بعطفه الأبوي وحناه النبي ابنته الأخرى رقية، التي كانت يومئذ عند عثمان؟ فلماذا أمر بسد بابه كما مر في حديث حذيفة؟ فراجع، ثم هل من حق القارئ أن يسأله: إذا كان حديث الخوخة صحيحاً، ولفظه: (سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر)، فكيف اتسعت الخوخة فصارت باباً ليخرج منها ابن كثير وأضرابه ويقول: (احتياج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصل إلى الناس، إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام، وفيه إشارة إلى خلافته)، من أين علم ذلك ابن كثير؟ وكيف هو فهم أن ما حدث كان إشارة إلى خلافته؟ ولماذا لم يفهم الصديق تلك الإشارة كما فهمها ابن كثير؟ ولبيه

فهمها ولم يترك بيته الذي فيه الخوخة إن كان له هناك بيت^(١)، فلا يذهب إلى بيته في السنح^(٢).

يا عباد الله كيف يعقل أو يتعقل أن يفهم تلك الإشارة ابن كثير وأضرابه ولا يفهمها الصديق إذا كان قد شرفه النبي صلوات الله عليه حديثاً بتلك الفضيلة، فسد كل خوخة إلا خوخته؟ لماذا لا يعتني بها وينذهب إلى العوالى إلى منزله بالسنح، ويبيق فيه مفارقاً خليله ونبيه وصاحبه في الغار والهجرة، حتى إذا مات النبي صلوات الله عليه ولم يكن حاضراً عنده، أقبل على فرس له، فرأى عمر يتهدد ويتوعد من يقول: مات النبي ... إلى آخر ما كان وما جرى ولسنا بصادره... هل يعقل ذلك؟

وهل كان يليق هذا من مرشح أشير إليه بالخلافة بفتح باب بيته دون غيره كما يقول ابن كثير، فلا يعرف ذلك، وينذهب إلى بيته بالسنح، حتى ولو افترضنا أنه لم يكن له بيت عند المسجد كما مرّ عن التوربشتى، أو

(١) قال التوربشتى: لم يصح عندها أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد، وإنما كان منزله بالسنح من أعلى المدينة. (إرشاد السارى ٨٤/٦ ط أفتست عن طبعة بولاق سنة ١٣٢٥هـ).

(٢) قال الفيروز آبادى في كتابه (المغامن المطابق في معالم الطابة)، ص ١٨٧ ط الأولى سنة ١٣٨٩هـ بتحقيق حمد الجاسر: سنح بضم أوله وسكون ثانه، محلة من محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تزوج ملكة وقيل حبيبة بنت خارجة (الخزرجية)، وهي في طرف من أطراف المدينة، وهي منازل بنى الحمرث بن الخزرج من الأنصار بعوالى المدينة، وبينها وبين منزل النبي صلوات الله عليه ميل.

كان ولكن بعدما سُدَّت بابه . كما في حديث سدَّ الأبواب إلا باب علي . انتقل إلى بيته بالسُّنْح .

ومن الطريق أن المحب الطبرى روى في الرياض النصرة أن النبي صلَّى الله عليه [وآله] وسلم لما قدم المدينة ومعه أبو بكر، نزل هو صلَّى الله عليه [وآله] وسلم على كلثوم بن هدم أخي عمر بن عوف، ويقال: نزل على سعد بن خثيم، لأنَّه كان عزيزاً لا أهل له، ونزل أبو بكر على حبيب بن أسف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح^(١) .

وذكر ابن كثير نفسه في تاريخه: قدم أهل أبي بكر عليه، وذكر عائشة وأمها أم رومان وشروع الجمل بهما وما قالته أم رومان وقالته عائشة... إلى أن قال: فقدمو فنزلوا بالسُّنْح منذ هجرته وربما قبل ذلك^(٢) .

إذن لا غرابة لو كان أبو بكر في السُّنْح عند مرض النبي ﷺ، فهو يألفه منذ هجرته، ففيه نزل ولم ينزل مع النبي ﷺ، وفيه قدم أهله، وفيه كان عند مرض النبي ﷺ، ينزل إلى المدينة ويعود إليه، ومنه أقبل على فرس له حين أخبر بموت النبي ﷺ، ولا غرابة في ذلك، إنما الغرابة كل الغرابة في استماتة ابن كثير وأضرابه ولهاشم في إثبات حديث الخوخة.

فإذا صَحَّ ذلك فلماذا هجر البيت الذي فيه الخوخة، مع أن بقاءها دون غيرها إشارة إلى خلافته كما يقول ابن كثير؟!

(١) الرياض النصرة ٨٠/١.

(٢) البداية والنهاية ٢٢١/٢.

ولو رجعنا إلى حديث الخوخة، فليس طريق إثباته أقوى من وروده في الصحيحين - البخاري ومسلم - ولذا عبروا عنه باتفاق عليه، وكان ما جاء فيما هو الوحي المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما أكثر المواخذات على ما فيهما.

ولسنا بصدد مناقشة الحديث المزعوم لا سندأ ولا دلالة، فلا حاجة لنا في ذلك، كما لا حاجة بنا إلى تقسيم الصحيحين على ضوء ما قالوا فيما^(١)، كما لا حاجة لنا لاستعراض وجوه الجمع التي ذكرها غير واحد بنوعاً وتسلیماً لحديث سد الأبواب إلا باب علي، وتنطعاً وترمیماً لحديث الخوخة، كما حکي ذلك عن القاضي إسماعيل في أحكامه، والكلاباذی في معانی الأخبار، والطحاوی في مشکل الآثار، وابن حجر^(٢)،

(١) أدعو القارئ لمراجعة ما ذكره السیوطی في كتابه الحاوی في ميدان جدلی، حيث ذکر مناقشة أصحاب المذاهب الأربعه وغيرهم، فأثبت أنهم جميعاً خالفوا عملاً في مسائل كثيرة ما ورد في الصحيحين أو في أحادیثها، وهو بحث منع ونافع وتحسين مراجعته.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباری ١٦/٨: وحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مررتين : ففي الأولى استثنى علي لما ذكر - يعني لأن بيته كان في المسجد، وفي الأخرى استثنى أبو بکر. ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما في قصة علي على الباب المفیقی، وما في قصة أبي بکر على الباب المجازي، والمراد به الخوخة، كما صرخ به في بعض طرقه. إلى أن قال: فهذه طریقة لا يأس بها في الجمع بين الحدیثین اهـ ونقل عن الطحاوی في مشکل الأخبار الجمع بهما!! وغیر نقول له: لا مجاز إلى باب المجاز مع افتتاح باب الحقيقة، ومنه المجاز وبولاية صاحبه أبي بکر الصدیق يكون =

والقسطلاني والعيني في شروحهم لصحيحة البخاري، وابن كثير وغيرهم أيضاً كثير.

كما لسنا بحاجة إلى ما قاله السمهودي في تاريخ المدينة المنورة المسمى (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) ^(١).

وأسنده ابن زبالة ويعتبر من طريقه عن عمرو بن سهل أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أمر بسد الأبواب الشوارع في المسجد، قال له رجل من أصحابه: يا رسول الله دع لي كوةً أنظر إليك منها حين تغدو أو حين تروح. فقال: لا والله ولا مثل ثقب الإبرة.

فعقب السمهودي بقوله: قلت: وقد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضاً، بل وما دونهما عند الأمر بسد الأبواب أولاً، فإن صح ذلك فيحمل الإذن بعده في اتخاذ الخوخ، ثم كانت قصة أبي بكر بعد ذلك. اهـ.

ونحن لا نناقشه في هذا الجمع التبرعي الذي لم يقم عليه شاهد ولا

= الجواز، ولابن حجر هذا جوابات مسائل حول أحاديث في مصاييف السنة للبغوي وصفت بالضعف، فأجاب عنها، وكان منها حديث: (يا علي لا يحمل يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك)، فقال: أخرجه الترمذ ... إلى أن قال: وقد ورد من طريق كثيرة صحيحة: أن النبي ﷺ لما أمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي، فشق ذلك على بعض الصحابة، فأجابهم بعذر في ذلك. وقد ورد ذلك في حديث طريل لابن عباس، أخرجه أحمد والطبراني بسنده جيد. فراجع أجوبة المسائل، وهي مطبوعة في آخر مشكاة المصاييف للخطيب التبريزي ط المكتب الإسلامي بتحقيق الألباني.

برهان، ولا نطاله ولا غيره بإثبات الإذن بفتح الخوخ بعد سد الأبواب، فمتى كان؟ وفي أي وقت وزمان؟

ولكنا نقول بعد الإغماض عن كل ما قبل ويقال فيه: إنه لو ثبت حديث الخوخ فهو تشريف عظيم لأبي بكر وامتياز، له وزنه بميزان الفضائل لو كان صدوره في غير الزمن الذي قالوا بصدوره فيه، وهو مرض النبي صلوات الله عليه وآله وسالم قبل موته بثلاثة أيام أو خمسة أيام كما في بعض المصادر على وجه التحديد.

فإن في تلك الفترة من المرض قد صدرت عدة أوامر أمر بها النبي صلوات الله عليه وآله وسالم فلم يمثل أمره فيها، فقد أمر بتجهيز جيش أسامة وشدّد على ذلك حتى لعن المخالف عنه، وأمر بحضار دواة وكف ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده. وأمر بأن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأمر أن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم به، وأمر باتباع أهل بيته والتمسك بهم، وأوصى بالأنصار خيراً...

إلى غير ذلك من الأوامر التي لم يمثل أمره فيها، وكان أعظمها وقعاً وأشدّها نكارة، هو حديث الكف والدواة، وكان أمره بحضارهما في يوم الخميس، وذلك قبل موته بخمسة أيام، فأسمعه بعض الحاضرين كلمة (معناها غلبه الوجع) كما في البخاري وغيره^(١)، فأغصي عليه صلوات الله عليه وآله وسالم لهول ما سمع، والله سبحانه يقول في نبيه صلوات الله عليه وآله وسالم «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ

(١) صحيح البخاري ٢٢/١، باب قول المريض: قوموا عنِي من كتاب المرضى، وموارد أخرى في كتاب العلم وغيرها.

إِلَّا وَخَيْرٌ يُوْحَىٰ»، فبعد تنزيه الله تعالى له يقابله من يقول فيه كلمة هو أولى بها «كَبَرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»، فوقع النزاع والخصام بين من حضر من الصحابة، فبعض ناصروا النبي ﷺ وطالبوا بإحضار الدواة والكتف، وبعض أبي و قال: القول ما قال عمر^(١)، فأفاق من غشيه فطردهم قائلاً: قوموا عنِّي، لا ينبعني عند نبي تنازع.

ويقى أثر تلك الكلمة الجارحة في نفوس المسلمين، حتى كان ابن عباس إذا ذكرها يبكي حتى يبل دمعه الحصى، ويقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وبين أن يكتب لهم كتاباً لن يتضروا بعده أبداً.

وحدثت الكتف والدواة حديث صحيح ثابت، أخرجه أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن والتفسير والتاريخ وحتى بعض كتب الأدب، وقد بلغت مصادره في إحصاء أولي زهاء المائة، وفيها من التشريق والتغريب، الشيء العجيب الغريب.

(١) قال أحمد أمين المصري صاحب كتاب فجر الإسلام وضحى الإسلام وفجر الإسلام في آخر كتابه (يوم الإسلام)، ص ٤١ ط سنة ١٩٥٨م: أراد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في مرضه الذي مات فيه أن يعين من يلي الأمر بعده، ففي الصحيحين - البخاري ومسلم - أن رسول الله لما احضره قال: (هلم أكتب لكم كتاباً لا يتضروا بعده)، وكان في البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوعج وعندكم القرآن، حسناً كتاب الله. فاختلف القوم واصتصموا... فمنهم من قال: قربوا إليه يكتب لكم كتاباً لن يتضروا بعده. ومنهم من قال القول ما قاله عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده (ص) قال لهم: قوموا. فقاموا.

ولما لم يمثل أمره عليه السلام في أمر الدواة والكتف بمحنة ما قبل، فليس لمن يحتج بمحدث الخوخة لنفس ما قاله من التعليل، لصدور الحديثين في زمان متقارب، إذ كان حديث الكتف والدواة قبل موته بخمسة أيام، وحديث الخوخة - فيما يُزعم - إما بثلاثة أيام أو خمسة أيام، فهما على حد سواء في مدى الاعتبار وعدمه، لاتخادهما في الزمان وبعض الحيثيات الأخرى، فمن لم يأبه بذلك لا ينبغي له أن يحتج بهذا، لوجود المانع الذي قبل، مما أحدث البلبلة والقيل والقال.

أما أن يكون الأمر في أحد الحديثين مردوداً لوجود المانع المشار إليه، وفي الآخر مقبولاً مع عدم ارتفاع ذلك المانع فتحكُم وتعُسُّف، لا يُقرُّه منطق، ولا يقبله عاقل منصف، مهما اختلفت الأشخاص والمعايير، واختلفت لهم الحجج والمعاذير.

قال الله سبحانه وتعالى **«فَكَيْفَ إِذَا جَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَنَّا بَكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيداً • يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوِّي بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُنُّونَ اللَّهَ حَدِيثاً»**^(١).

ولزيادة اطمئنان القارئ بأن حديث سد الأبواب إلا باب علي من الأحاديث الصحيحة الثابتة، وأنه من خصوصيات علي عليه السلام، دون غيره، نذكر له ما قاله أبو بكر الجصيّن الحنفي في أحكام القرآن، قال: وما ذكر من خصوصية علي رضي الله عنه فهو صحيح، وقول الراوي: (لأنه كان

بيته في المسجد ظن منه)، لأن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قد أمر في الحديث الأول بتوجيه البيوت الشارعة إلى غيره، ولم يبح لهم المرور لأجل كون بيوتهم في المسجد... وإنما كانت الخصوصية فيه لعلي رضي الله عنه دون غيره... كما خُصَّ جعفر بأن له جناحين في الجنة دون سائر الشهداء... وكما خُصَّ حنظلة بغسل الملائكة له حين قُتل جُنباً... وخُصَّ الزبير باباحة لبس الحرير لما شكا من أذى القمل. فثبت بذلك أن سائر الناس منوعون من دخول المسجد مجازين وغير مجازين... الخ^(١).

مضافاً إلى ما ذكرناه آنفًا من كلمات ابن حجر وغيره ومن أشرنا إليهم من أثبتت بصحته وحاول الجمع، نذكر ما قاله الشوكاني في الفوائد المجموعة.

قال: وبالجملة فالحديث ثابت لا يحمل لسلم أن يحكم ببطلانه، وله طرق كثيرة جداً، قد أوردها صاحب الثنائي، وقد صحَّ حديث زيد بن الأرقم في المستدرك، وكذلك الضبياء في المختار، وإعلاله بيمون غير صحيح، فقد وثقه غير واحد، وصحَّ له الترمذى.

وأما حديث ابن عمر، فقد رواه أحمد في المسند باستناد رجاله ثقات، وليس فيه هشام بن سعد، والكلام على ردّ ما قاله ابن الجوزي يطول، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى^(٢).

(١) أحكام القرآن ٢٠٤/٢ ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) الفوائد المجموعة، ص ٣٦٦.

ونحن أيضاً نقول: وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى.

وعلى ضوء جميع ما نقدم يكتننا تصديق ابن أبي الحديد في قوله في
شرح النهج: سد الأبواب كان لعلي عليه، فقلبه البكرية إلى أبي بكر^(١).
وإلى القارئ قائمة بالمصادر التي ذكرت الحديث وما يمت إليه،
وكلها مصادر غير شيعية:

- ١ - سنن الترمذى.
- ٢ - تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى ١٧٣/١٣ - ١٧٤، الصاوي
بمصر.
- ٣ - مسند أحمد ١٧٥/١، ٣٣١، ٣٦٩/٤، ٢٦/٢، ٢٦٩/٤، مصر الأولى.
- ٤ - مصابيح السنة للبغوى، ص ٢٠٢.
- ٥ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ٢٤٥/٣ - ٢٤٦.
- ٦ - فتح البارى لابن حجر ١٤/٨ - ١٦.
- ٧ - عمدة القارئ للعیني ٥٩٢/٧.
- ٨ - إرشاد السارى للقسطلاني ٤٨/٦ - ٨٥، أفسنت عن طبعة
بولاق سنة ١٣٢٥هـ.
- ٩ - كنز العمال ٠٠٢/١٢ - ١٢٠، ٢١٥، ٩٦/١٥، حيدر آباد ط الثانية.
- ١٠ - السنن الكبرى للبيهقي ٣٤٤/٢ - ٦٥/٧، حيدر آباد.

(١) شرح نهج البلاغة ١٧/٣ الطبعة المصرية الأولى.

- ١١- معجم الطبراني الكبير ٢٤٦/٢ ، ٧٨/١٢ ، ١١٤ ، ط الثانية
بالموصل.
- ١٢- المستدرك على الصحيحين ٢/٥٧٩ ، ١٢٥ ، ١٢٠ ، ١١٧/٣ ، ١٣٢ - ١٣٢.
- ١٣- تلخيص المستدرك للذهبي بهامشه.
- ١٤- مجمع الزوائد للهيثمي ٧/٢٩٧ ، ٥١١ - ١١٤/٩ ، ١٢٠ ، القدسي
بمصر.
- ١٥- منتخب كنز العمال بهامش مستند أحمد ٥/٢٩ ، ٥٥.
- ١٦- جامع الأصول ٤٧٤/٩ - ٤٧٥ ، السنة الحمدية بمصر.
- ١٧- الخصائص للنسائي ٨/١٢ - ١٣ - ١٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، التقدم
بمصر.
- ١٨- كنز الحقائق للمناوي، ص ٨٤ ، ١٩٨ ، بولاق.
- ١٩- فيض القدير ١/١٠٦ ، مصر.
- ٢٠- المعتصر من المختصر ٢/٣٣٢ - ٣٣٣ ، حيدر آباد.
- ٢١- جوامع الجامع للسيوطى، رقم ٤٣١٨ كما في موسوعة أطراف
الحديث النبوى.
- ٢٢- الضعفاء للعقىلى ١/٢١٢ ، ٤/١٨٥ ، ٢٢٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣ - ٣٧٩
قلاً عن الموسوعة.
- ٢٣- الموضوعات لابن الجوزى ١/٣٦٣ ، ٣٧٩ ، مصر.

- ٢٤ - تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق الكناني ٣٥٨/١، ٣٨٣، مصر.
- ٢٥ - حلية الأولياء لأبي نعيم ١٥٣/٤ السعادة.
- ٢٦ - المناقب لابن المغازلي، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ إيران.
- ٢٧ - المناقب للخوارزمي، ص ٢٤٨، ١٢٧، ٧٤، ١٢٩، ٢٥٣، ٢٦١ ط حجرية.
- ٢٨ - تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي، ص ٤٦ ط حجرية.
- ٢٩ - فرائد السمعطين ١/٢٠٥ - ٢٠٨ ط بيروت.
- ٣٠ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ٨٧، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٨٣ ط إستانبول.
- ٣١ - نظم درر السمعطين للزرندي، ص ١٠٣، ١٠٨ ط النجف.
- ٣٢ - ذخائر العقبى للمحب الطبرى، ص ٧٦ - ٧٧، ١٠٢ ط القدسى بمصر.
- ٣٣ - الرياض النضرة ١٩٢/٢ - ١٩٣، ٢٠٣ ط الخانجي بمصر.
- ٣٤ - فتح الملك العلي للسيد أحمد المغربي، ص ٢٧ ط مصر.
- ٣٥ - مقتل الحسين للخوارزمي ٦٣/١ ط النجف.
- ٣٦ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٤٥١/٢.
- ٣٧ - الإصابة لابن حجر ٥٠٢/٢ ط مصطفى محمد.

- ٣٨ - ذخائر المواريث ٢/٧، ١٩٦/٣ ط مصر.
- ٣٩ - السيرة الخالية ٣/٣٤٦ - ٣٤٧ ط مصر.
- ٤٠ - وفاء الوفا للسمهودي ١/٣٤٧ - ٣٤٠ ط مصر.
- ٤١ - الحاوي للفتاوى للسيوطى ٢/٥٥ - ٥٨ (ضمن رسالة شد الأنوار في سد الأبواب) ولا تخلو من الخطأ والخلط.
- ٤٢ - الصواعق المحرقة، ص ٧٤ - ٧٦ ط مصر.
- ٤٣ - الفتح الكبير للنبهاني ١/٢٥٥، ٣/٣٩٩ ط مصر.
- ٤٤ - طبقات ابن سعد ج ٢/٢٦ ط أوربا.
- ٤٥ - لسان العرب ٣/١٤ (خوخ) ط دار صادر.
- ٤٦ - تاريخ ابن كثير ٧/٧، ٣٣٨ - ٣٤١ ط مصر.
- ٤٧ - التاريخ الكبير للبخاري ١/٤٠٨، ٢/٦٨ ط حيدر آباد.
- ٤٨ - تاريخ بغداد ٧/٢٠٥ ط السعادة، مصر.
- ٤٩ - أخبار القضاة لوكيع ٣/١٤٩ ط مصر.
- ٥٠ - تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٣٨٧، وأشار إليه ٢/١٥٦ ط حيدر آباد.
- ٥١ - تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٦٦، ١١٦ ط مصر.
- ٥٢ - علل الحديث لابن أبي حاتم ١/٩٩ ط السلفية بمصر.
- ٥٣ - كفاية الطالب للكنجي الشافعى، ص ٢٠٠، ٢٤٣ ط الثانية،

- النجف.
- ٥٤ - لسان الميزان لابن حجر ٤/١٦٥ ط حيدر آباد.
- ٥٥ - الثنائي المصنوعة للسيوطى ١/١٨١ - ١٨٣ ط الأولى بمصر.
- ٥٦ - أنسى المطالب لابن دروיש الحوت، ص ١٢ ط مصر.
- ٥٧ - تفسير القرطبي ٥/٢٠٨ - ٢٠٧ ط مصر.
- ٥٨ - تفسير ابن كثير ١/٥٠١ ط مصر.
- ٥٩ - الخصائص الكبرى للسيوطى ٢/٢٤٣ ط حيدر آباد، ٣/٢٩٤ ط مصر بتحقيق هراس.
- ٦٠ - تفسير الكشاف ١/٣٩٨ ط مصطفى محمد، سنة ١٣٦٧هـ.
- ٦١ - أحكام القرآن للجصاص الحنفي ٢/٢٠٤ ط الأستانة.
- ٦٢ - تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١/١٨٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٣ - ٢٨٠ ط بيروت.
- ٦٣ - مسند أبي الحسن الكلابي (ملحق بمناقب ابن المازلي)، ص ٤٣٢.
- ٦٤ - القول المسدّد في الذب عن مسند الإمام أحمد لابن حجر، ص ٢٦ - ٢٦ ط مصر.
- ٦٥ - تذكرة الموضوعات للفتني، ص ٩٥.
- ٦٦ - الأمالي الخميسية لابن الشجري ١/٤٢.

- ٦٧ - تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/١٧، ١٤٠/٧.
- ٦٨ - شرح قصيدة الصاحب ابن عباد للقاضي البهلوi اليماني، ص ٨٦.
- ٦٩ - النهاية لابن الأثير (خوخ)، ط مصر.
- ٧٠ - سبط النجوم العوالى للعصامى المكى ٤٩١/٢ ط السلفية.
- ٧١ - إتحاف السادة المتquin للسيد مرتضى الزبيدي ١٩٢/٧، ٢٨٧/١٥ (هذا والثانى بعده نقاً عن موسوعة أطراف الحديث).
- ٧٢ - جامع مسانيد أبي حنيفة ٢١٩/٢.
- ٧٣ - كتاب السنة لابن أبي عاصم ٥٧٩/٢.
- ٧٤ - المتنقى للذهبي، ص ٣١١.
- ٧٥ - منهاج السنة لابن تيمية ٣/٩ ط الأولى بمصر.
- ٧٦ - جمع الفوائد للروذانى ٢/٣٣٠، ٣٣١ ط الأولى، نشر المكتبة الجامعية، مكة المكرمة.
- ٧٧ - رسالة في أجوبة ابن حجر عن أحاديث وقعت في مصايح السنة للبغوي وصفت بالوضع ط في آخر مشكاة المصايح ٣٠٠/٣ - ٣١٧ ط المكتب الإسلامي.
- ٧٨ - كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب للشنقيطي، ط الأولى، الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٥هـ.

- ٧٩ - **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ص) للشيخ منصور علي ناصف ٢٩٨/٣ ط عيسى البابي الحلبي**، الطبعة الثانية.
- ٨٠ - **جواهر المطالب للباعوني الشافعي** (نسخة مصورة)، الباب التاسع والعشرون.
- ٨١ - **تيسير المطالب في أمالى الإمام أبي طالب الهارونى**، ص ٦٨ ط بيروت.

علي مني وأنا من علي

- ١٠٢ - كَمْ مَرَّةً قَالَ النَّبِيُّ مُعلِّمًا مِنِّي عَلَيْهِ وَاعْلَمُوا مِنْهُ أَنَا
١٠٣ - هَذَا عَلَيْهِ هُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ فَلَا فَصْلٌ يَكُونُ بَيْنَنَا

أشار سيدنا الناظم دام ظله إلى ما صح عنه عليه عليه السلام من قوله: «أنت مني وأنا منك»، وقوله: «علي مني وأنا من علي»، و«لا يؤدّي عنِي إلا أنا وعلى»، وقوله: «هو مني وأنا منه»... إلى غير ذلك من ألفاظ مختلفة باختلاف الموارد التي قال فيها ذلك.

فبعد مراجعة مصادر تلك الأحاديث يجد الباحث أن الموارد مختلفة زماناً، متعددة رواة:

١ - فمنها يوم أحد، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر ابن عبد الله، قال: جاءه علي إلى النبي يوم أحد، فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: اذهب. فقال جبرائيل: هذه والله المواساة يا محمد. فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: يا

جبرئيل، إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما^(١).

وهذا الحديث فيه سقط بَيْنَ ، وأتمَ منه ما أخرجه عن أبي رافع قال: لما كان يوم أحد نظر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى جماعة من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم. فحمل عليهم، فقتل هاشم بن أمية المخزومي وفَرَقَ جماعتهم، ثم نظر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى نفر من قريش فقال لعلي: احمل عليهم. فحمل عليهم، ففَرَقَ جماعتهم، فقتل فلاناً الجمحى ، ثم نظر إلى نفر من قريش فقال لعلي: احمل عليهم. فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل أحد بنى عامر بن لؤي ، فقال له جبرئيل: إن هذه المواساة. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله^(٢).

وأخرج أحمد في مناقب الإمام علي عليه السلام، الحديث أبى رافع، ولفظه: لما قتل علي عليه السلام، أصحاب الأولوية يوم أحد قال جبرئيل: يا محمد إن هذه لسي المواساة. فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنه مني وأنا منه. قال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما يا رسول الله.

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير^(٣)، والحاوي في فرائد السمعطين، والطبرى في تاريخه في وقعة أحد^(٤).

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي) ١٤٨/١.

(٢) المصدر السابق ١٥٠/١.

(٣) المعجم الكبير ٣١٨/١.

(٤) تاريخ الطبرى ٥١٤/٢.

وفي آخر حديثه قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

٢- ومنها في حجة الوداع كما في حديث حبشي بن جنادة فيما أخرجه الحموي في فرائد السمعطين^(١)، والفسوي في المعرفة والتاريخ^(٢)، والنسائي في الخصائص ، والترمذي في سنته في مناقب علي، وابن ماجة، والبغوي، وابن أبي عاصم، والضياء في المختارة، والطبراني، والبيهقي في مجمع الزوائد وغيرهم، بأسانيدهم عن حبشي بن جنادة . وقد شهد حجة الوداع . قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول ذلك اليوم: علي مني وأنا منه، ولا يقضي ديني سواه.

٣- ومنها يوم أُهدي إليه ﷺ قتو موز، كما في حديث عبد خير عن علي عليهما السلام، قال: أُهدي النبي ﷺ قتو موز، فجعل يقشره ويجعله في فمي، وقال له قائل: يا رسول الله إنك تحب علياً! فقال: أو ما علمت أن علياً مني وأنا منه^(٣) .

٤- ومنها يوم صدروا من مكة بعد عمرة القضاء في قصة ابنة حمزة، وقد تقدم حديثها في ذكر حديث المنزلة، وقلنا: إن في جملة من المصادر ورد أنه ﷺ قال لعلي: «أنت مني وأنا منك» . وفي لفظ النسائي في

(١) فرائد السمعطين ١/٥٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/٦٢٥.

(٣) المناقب للخوارزمي، ص ٣٧ ط حجرية، سنة ١٤١٣هـ.

الخصائص قال: «أنت مني بمنزلة هارون وأنا منك»^(١)، فراجع.

٥ - ومنها يوم بعثه إلى اليمن كما عن بريدة، وعمران بن الحصين، والبراء بن عازب، وأبي هريرة وغيرهم، من حَرَضَهم خالد بن الوليد على أن يشكوا علياً عند النبي ﷺ.

أما حديث بريدة فقد حدث هو عن نفسه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعثين إلى اليمن، على الأول علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال: إذا اجتمعتما فعلي على الناس، وإذا افترقتما فكل واحد منكما على حده (جنده). قال: فلقينا بني زيد من اليمن فقاتلناهم، فظهر المسلمون على الكافرين، فقتلوا المقاتل وسبوا الذرية، واصطفى علي جارية من الفيء، فكتب معي خالد يقع في علي، وأمرني أن أنال منه، قال: فلما أتت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم رأيت الكراهة في وجهه، قلت: هذا مكان العائد بك يا رسول الله، بعثني مع رجل وأمرتني بطاعته، فبلغت ما أرسلني به. قال: يا بريدة لا تقع في علي، علي مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي.

أخرج الحديث ابن عساكر في تاريخه^(٢)، وأحمد في المسند^(٣)، وفي الفضائل أيضاً، والنسائي في الخصائص^(٤)، والذهبي في تاريخ

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي، ص ١٩ ط التقدم بمصر سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ١/٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣) مسنـدـ أـحـمـدـ ٥/٣٥٦.

(٤) خصائص أمير المؤمنين، ص ٩٨ ط النجف.

الإسلام^(١)، وابن المغازلي في المناقب^(٢)، والبيشمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد والبزار باختصار، وفيه الأجلح الكندي، وثقة ابن معين وغيره، وصعقه جماعة، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح^(٣).

وأما حديث البراء بن عازب فقد أخرجه ابن عساكر في تاريخه^(٤)، والترمذى في باب مناقب علي وغيرها، وفيه: إنه كان أيضاً يحمل كتاباً من خالد في ذلك، وأن النبي قرأ الكتاب فتغير لونه. كما في سنن الترمذى. ثم قال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟ قال: أعود بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسول.

وأما حديث عمران بن الحصين فقد أخرجه الترمذى في سنته، وابن أبي شيبة في المصنف^(٥)، والحاكم في مستدركه، والبيشمى في مجمعه، وابن عساكر في تاريخه بعدة طرق^(٦)، والحموينى في الفرائد، وابن المغازلى في مناقبه^(٧)، وأبو نعيم في الحلية^(٨)، وابن الأثير في جامع الأصول^(٩)، وابن

(١) تاريخ الإسلام ١٩٥/٢.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلى، ص ٢٢٥.

(٣) مجمع الزوائد ٢٨/٩.

(٤) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٣٧٨/١ - ٣٧٩.

(٥) المصنف ٨٠/١٢.

(٦) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٣٧٩/١ - ٣٨٤.

(٧) مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلى، ص ٢٢٩.

(٨) حلية الأولياء ٢٩٤/٦.

(٩) جامع الأصول ٤٧٠/٩.

حجر في الإصابة^(١)، وابن الأثير في أسد الغابة^(٢)، والخوارزمي في المناقب^(٣)، والنسائي في الخصائص، وابن أبي شيبة في المصنف^(٤) وغيرهم، وألفاظهم متقاربة، كلهم عن عمران بن حصين، قال: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعث علياً في جيش، فرأوا منه شيئاً فأنكروه، فاتفق نفر أربعة وتعاقدوا أن يخبروا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بما صنع علي، قال عمران: وكنا إذا قدمنا من سفر لم نأت أهلاًنا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وننظر إليه، فجاء النفر الأربعة، فقام أحدهم فقال: يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا. فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ذلك، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يُعرف الغضب في وجهه، فقال: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ مالهم ولعلني؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولني كل مؤمن بعدي.

وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه القندوزي الحنفي في بناية المودة قائلاً عن مناقب السبعين لعلي بن شهاب الهمданى، ولفظه: قال: الحديث الثالث عشر: عن أبي هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله]

(١) الإصابة ٥٠٣/٢

(٢) أسد الغابة ٤/٢٧

(٣) المناقب للخوارزمي، ص ٩٢

(٤) المصنف ١٢/٨٠

وسلم بعث بعثين، وبعث على أحدهما علياً وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا التقىتم فعليكم على الناس إمام، وإذا افترقتم فكل على جنده، فلقينا بنى زيد - زبير - فاقتلونا وظفرنا عليهم وسبيناهم، فاصطفى علي من السبي واحدة، فبعثني خالد إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم حتى أخبره بذلك، فلما أتيت وأخبرته قلت: يا رسول الله بلغت ما أرسلت به. فقال: لا تقعوا في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو ولبي ووصيي من بعدي. رواه الإمام أحمد في مسنده^(١).

أقول: من الغريب أن نجد الحديث يرويه أبو هريرة مع تأكيده الحضور بإظهار ذاتيته وأنانيته في ضمير (الأن) الذي استعمله في قوله: (لقينا)، (فاقتلونا وظفرنا)، (سبينا)، مما يؤكد وجوده مع بعث المسلمين في اليمن، وزاد في إثبات وتأكيد ذلك بقوله: (فبعثني خالد... فلما أتيت وأخبرته، قلت... بلغت ما أرسلت به).

ألا مسائل راوية الإسلام - كما يخلو لبعضهم تسميتها - أين كان هو يومئذ حتى دسَّ أفقه بين الرجال فزعم وزعم؟

ألم يكن يومئذ بالبحرين، بعثه النبي ﷺ مع العلاء بن الحضرمي مؤذناً له، ثم لم يأت إلى المدينة إلا في أيام عمر حين استدعاه للشهادة على قدامة بن مظعون حين شرب الخمر، وقال له حين شهد: لقد تنطعت في الشهادة. ثم أعاده والياً، ثم استدعاه للمحاسبة على ما اختانه من أموال،

(١) بنيام العودة، ص ٢٣٣ ط إسلامبول.

وصرّب ظهره بالدرّة حتى أدماه؟ قال له كما في طبقات ابن سعد: عدواً لله وللإسلام. وقد مر ذكره في حديث براءة، فراجع.

ولم يكن هذا الحديث وحده الذي زعم فيه أبو هريرة الحضور والمشاركة، بل سبق له في مواطن أخرى لم يكن فيها فادعى حضوره، كما مر في زعمه حضور خير، وحديث تبليغ براءة، وحديث الغدير، وغيرها مما مرت الإشارة إليه آنفًا، فراجع.

٦- ومن موارد الحديث أيضًا ما رواه عمر بن الخطاب كما في صحيح البخاري بسنده عن عمر أنه قال: توفي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو عنه - عن علي - راض، وقال له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أنت مني وأنا منك^(١).

٧- ومنها في حديث تبليغ براءة وقد مر آنفًا، وفي بعض ألفاظه كما في بعض مصادره اقتصر على لفظ: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدّي عنِي إلا أنا وعلي... فراجع.

والذي يلفت النظر أن هذا الحديث مثل سائر أحاديث الفضائل المختصة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسلم من كيد المفترين وهو سلوك الدسسين، فوضعوا حديث: إن العباس مني وأنا منه^(٢).

ولما نطّيل الوقوف عنده، لأنَّه من مخترعات العصر العباسى الذي

(١) صحيح البخاري ١٨/٤.

(٢) مصادره مذكورة في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٠٣/٣.

حفل بأمثال أبي البختري وهب بن وهب الكذّاب، الذي رأى المهدى العباسى وهو يسابق بالحمام، فزعم أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو ريش. فأكذبه المهدى حين رأى تزلفه بإضافة الريش إلى الثلاثة، وأمر بذبح الحمام، وأخرجه، وقال: أشهد أنه كاذب... وكم له من نظير.

وإن تكن رواية (إن العباس مني وأنا منه) من كذبة العصر العباسى، فما رأى القارئ في كذبة العصر الأموي حيث البلاية أن نجد من يروى كذباً على رسول الله ﷺ أنه قال لمعاوية: (أنت مني وأنا منك) كما أخرجه البخاري في تاريخه^(١)، وابن الجوزي في العلل المتاهية^(٢)، والفتني في تذكرة الموضوعات^(٣)، «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ»^(٤).

فهل يرضى مؤمن أن يسرف الرواة في الكذب على رسول الله ﷺ، حتى يقرأ مثل قوله - المزعوم - لمعاوية: أنت مني وأنا منك؟

أيكون رسول الله خاتم النبيين من معاوية ومعاوية منه؟!

وكيف يسع التصديق بذلك وهو يقرأ حديث عبد الرحمن بن عوف

(١) التاريخ الكبير ٢٢٢/٤.

(٢) العلل المتاهية ٢٧٨/١.

(٣) تذكرة الموضوعات، ص ١٠٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ٧٩.

وقد أخرجه الفسوسي في كتابه المعرفة والتاريخ، قال: لما افتح رسول الله صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم مكة انصرف إلى الطائف، فحاصرهم تسع عشرة ليلة أو ثمان عشرة فلم يفتحها، ثم أوغل غدوة أو روحـةـ، ثم نزل ثم هجر، فقال: أيها الناس إني لكم فـرـطـ، أوصـيـكمـ بـعـتـرـتـيـ خـيـرـاـ، فإنـ موـعـدـكمـ الـحـوـضـ، والـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ لـتـقـيـمـ الـصـلـاـةـ وـلـتـؤـتـنـ الـزـكـاـةـ، أوـ لـأـبـعـثـنـ إـلـيـكـمـ رـجـلـاـ مـنـيـ أوـ كـنـفـسـيـ، فـلـيـضـرـبـنـ أـعـنـاقـ مـقـاتـلـكـمـ، وـلـيـسـبـيـنـ ذـرـارـيـكـمـ. قال: فـرـأـيـ النـاسـ أـنـهـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ، فـأـخـذـ بـيـدـ عـلـيـ فـقـالـ: هـذـاـ^(١).

فيقصر عن مقام التشبيه أبو بكر وعمر، وهمما من هما فيما يرى الناس، ثم يطمع في التطاول إليه معاوية، لـهـ اللهـ إـنـ هوـ إـلـاـ بـهـتـانـ وـافـتـرـاءـ، تـنـهـدـ لـهـ الـأـرـضـ وـتـنـشـقـ السـمـاءـ، وـلـاـ يـقـبـلـهـ حـتـىـ أـغـبـىـ الـأـغـيـاءـ إـلـاـ يـكـوـنـ منـ أـبـنـاءـ الـطـلـقـاءـ الـأـدـعـيـاءـ.

بعض مصادر الحديث

- ١- إتحاف السادة المتquin للزبيدي ٥٦٦/٦ تصوير بيروت . كما في موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف.
- ٢- أحاديث القصاص لابن تيمية، ص ٤ ط المكتب الإسلامى . كما في موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف.
- ٣- الأذكار للنووى، ص ٢٤٦ ط عيسى البابى الحلبي . كما في

- موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف.
- ٤- أسد الغابة ٤/٢٧ (ترجمة الإمام).
- ٥- إسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأ بصار، ص ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩، ١٣١٢ هـ.
- ٦- أسنى المطالب لابن درويش الحوت، ص ١٣٧ ط مصطفى البابي الحلبي.
- ٧- الإصابة لابن حجر ٢/٥٠٣ ط مصطفى البابي الحلبي.
- ٨- الأمالى الخميسية لابن الشجري ١/١٣٤ ط عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة.
- ٩- البداية والنهاية = تاريخ ابن كثير ٤/٤، ٥/٢٣٥، ٥/٢١٣، ٧/٢٢٠ ط السعادة بمصر.
- ١٠- تاريخ الإسلام للذهبي ٢/١٩٥ - ١٩٦ ط القديسي بمصر.
- ١١- تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ١٦٩ ط السعادة بمصر.
- ١٢- تاريخ بغداد للخطيب ٤/٤١٤٠ ط السعادة بمصر.
- ١٣- تاريخ أصحابه لأبي نعيم ١/٢٥٣ أغسط.
- ١٤- تاريخ الشام لابن عساكر (ترجمة الإمام) ١/١٢٣، ١/١٤٨ ط بيروت ٢/٣٧٨.
- ١٥- تاريخ الطبرى ٢/٥١٤ ط الاستقامة، وفي (وقعة أحد) في بقية

- الطبعات.
- ١٦ - تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٨/٢ أغسط حيدر آباد.
 - ١٧ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٤٢ ط النجف.
 - ١٨ - تفسير ابن كثير ٦/٣٧٩، ٤١٨ ، ٣٤١/٧ ط بيروت.
 - ١٩ - تفسير القرطبي ١٣/٦٠ ، ١٥/٢١٥ .
 - ٢٠ - تلخيص المستدرك للذهبي بهامش المستدرك للحاكم ٣/٣، ١٠٠، ١١١، ١٢٠.
 - ٢١ - تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٤/٢١١ ، ٢٣٠ .
 - ٢٢ - التيسير في شرح الجامع الصغير للمناوي.
 - ٢٣ - تيسير الوصول لابن الدبيع الشيباني ٢/١٢٤ ط مصر.
 - ٢٤ - جامع الأصول لابن الأثير ٩/٤٧١ ط السنة الحمدية.
 - ٢٥ - الجامع الصغير للسيوطى ط بولاق.
 - ٢٦ - حلية الأولياء ٦/٢٩٤ ط السعادة بمصر.
 - ٢٧ - الخصائص للنسائي، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ط التقدم بمصر. ص ٣٥ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٦٦ ، ٩٢ ط دار الكتب العلمية بيروت.
 - ٢٨ - الدر المثور للسيوطى ٦/٧٥ ط أغسط إسلامية.
 - ٢٩ - ذخائر العقبي للمحب الطبرى، ص ٦٨ ط القدس.
 - ٣٠ - ذخائر المواريث للنابلسى ١/١٨٦ ط جمعية النشر والتأليف

- الأزهرية.
- ٣١ - ربيع الأبرار للزنخشري ١/٨٣٣ - ٨٣٤، الأوقاف ببغداد.
- ٣٢ - الرياض النضرة ٢/١٧٢، الحنفي بمصر.
- ٣٣ - زاد المعاد لابن قيم الجوزية بهامش الزرقاني على المواهب ٤/٢٦١.
- ٣٤ - السراج العزيز شرح الجامع الصغير.
- ٣٥ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣/١٧٨، المكتب الإسلامي.
- ٣٦ - سمط النجوم العوالى للعصامى ٢/٤٨٣ - ٤٨٦، السلفية.
- ٣٧ - سنن ابن ماجة ١/٥٧، ١١٩ ط الثانية.
- ٣٨ - السنن الكبرى للبيهقي ٤/٢١، ٨/٥ - ٦، حيدر آباد.
- ٣٩ - السنة لابن أبي عاصم ٢/٥٦٤، ٢/٥٩٨.
- ٤٠ - السيرة الخلبية ٣/٦٦، مصر.
- ٤١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٢/٢٣٦، ٤/٥٦١، ٤/٣٢١، مصر الأولى.
- ٤٢ - شرح السنة للبغوي ١٤/١٤٠، المكتب الإسلامي.
- ٤٣ - الشرف المؤبد للنبهاني، ص ٥٨، مصر.
- ٤٤ - تحفة الأحوذى (شرح سنن الترمذى) ١٣/١٦٤، ١٦٩، الصاوي

بمصر.

- ٤٥ - شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٧٠/٣ ، مصر.
- ٤٦ - صحيح ابن حبان ، حديث ٢٢٠٣ ، ٢٢٦٩.
- ٤٧ - صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، حديث ١٣١.
- ٤٨ - صحيح البخاري ٣/٢٤٢ ، ١٢٢ ، ١٨/٤ ، ١٤١ ، الأميرية بولاق.
- ٤٩ - سنن الترمذى ٥/١٠ باب مناقب علي.
- ٥٠ - الصواعق المحرقة لابن حجر ، ص ٧٣ ، مصر.
- ٥١ - علل الحديث لابن أبي حاتم ، رقم ١٠١٣.
- ٥٢ - عمدة القارئ للعيني ١٦/٢١٤ ، المنيرية.
- ٥٣ - فتح الباري لابن حجر ، ٣٠٤/٥ ، ٨٨/٣ ، مصر.
- ٥٤ - فرائد السبطين للحمويني ١/٥٦ - ٥٧ ، بيروت.
- ٥٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير.
- ٥٦ - الكامل لابن عدي ٢/٥٦٩ ، ٨٤٨ كما في موسوعة أطراط الحديث النبوى.
- ٥٧ - كفاية الطالب ، ص ٢٧٤ ، باب ٦٧.
- ٥٨ - كنز العمال ، الأحاديث ٣٢٨٨٣ ، ٣٢٨٨٣ ، ٣٢٩٣٨ ، ٣٢٩١٣ ، ٣٦٤٤٤ ، ٣٢٩٤١.
- ٥٩ - كنوز الحقائق للمناوي ، ص ٤١ ، ٩٨.

- ٦٠ - مجمع الزوائد للهيثمي ٦/١١٤، ٩/١٢٢، ٩/١٢٧، القديسي.
- ٦١ - الفتح الكبير للنبهاني ٢/٢٤٣، ٣/٨٨، مصر.
- ٦٢ - مبارك الأزهار شرح مشارق الأنوار ٢/٢٩٩، الأستاذة.
- ٦٣ - منتخب ذيل المذيل للطبرى، ط الحسينية.
- ٦٤ - مستدرك الحاكم ٣/١٠٠ - ١٢٠، ١١١.
- ٦٥ - مستند أحمد بن حنبل ١/٩٨، ٤/١٤٥، ٤/١٦٥، ٤/١٦٢، ٤/١١٥، ٤/١٠٨، ٤/٩٨، ٥/٣٥٦، ٦/٦٨، ٥/٤٣٢، ٤٣٨ ط الأولى بمصر.
- ٦٦ - مستند الطيالسي، ص ١١١، حديث ٨٢٩، حيدر آباد.
- ٦٧ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ، ط المكتب الإسلامي.
- ٦٨ - مشكل الآثار للطحاوى ٤/١٧٣ ط حيدر آباد.
- ٦٩ - مصابيح السنة للبغوى، ص ٢٠٢ ، ٢٠٥ ط الخيرية.
- ٧٠ - المصنف لابن أبي شيبة ١٢/٧٩، باكستان، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية.
- ٧١ - المصنف لعبد الرزاق، حديث ٢٠٣٩٤، المكتب الإسلامي.
- ٧٢ - مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى، ص ١٨، إيران حجرية.
- ٧٣ - معجم الطبرانى الكبير ١/٢٩٧، ٤/٢٩٧ - ٤/٢٩٨، ١٨/١٢٩.
- ٧٤ - المعرفة والتاريخ للفسوى ١/٢٨٢، الأوقاف بغداد.
- ٧٥ - المفني عن حمل الأسفار للعراقي ٢/٣٠٠، عيسى البابى

الخلبي.

- ٧٦ - المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٩٨، الحنفي.
- ٧٧ - مقتل الحسين للخوارزمي ٣٦/١.
- ٧٨ - المناقب لابن المغازلي المالكي، ص ٢٢١، إيران.
- ٧٩ - المناقب للخوارزمي، ص ٧٩، تبريز.
- ٨٠ - منتخب كنز العمال (بها مش مستند أحمد) ٥٢/٥.
- ٨١ - منهاج السنة لابن تيمية ٧/٣، القاهرة.
- ٨٢ - نظم درر السلطين، ص ٧٩ ، النجف.
- ٨٣ - ينابيع المودة، ص ٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥، إسطنبول.

أنا مدينة العلم وعلى بابها

٤٠٤ - مَدِينَةُ أَنَا وَبَابُهَا عَلَيْ مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَتُورُهَا جَلَّي
 وأشار سيدنا الناظم دام ظله إلى حديث «أنا مدينة العلم وعلى
بابها».

وهذا الحديث بلغ من الاستفاضة نقلًا بما لا يدع مجالاً للتشكيك فيه
عقلًا، فقد رواه من الصحابة كل من الإمام علي، وابن عباس، وجابر،
وابن عمر، وغيرهم...

لكن بعض من لا حرية له في الدين طعن فيه، فقال: (إنه موضوع)،
ومن أولئك النفر الذين زخرفوا القول ولم يتبعوا أحسنه ابن الجوزي في
كتابه الموضوعات، حيث قال:

الحادي عشر: في ذكر مدينة العلم، وفيه عن علي وابن عباس
وجابر.

فاما حديث علي رضي الله عنه فله خمسة طرق... ثم ذكر الطرق الخامسة.

واما حديث ابن عباس فله عشرة طرق... ثم ذكرها بأسانيدها كذلك.

واما حديث جابر . ثم ذكر سنته من عدة طرق...

ثم عطف على تلك الطرق فأعلّها سندًا . فيما زعم . وختم القول بقوله: والحديث لا أصل له^(١).

لكن تصدّى له غير واحد من قومه من أئمة الحفاظ وأئمة السنن وعلماء الجرح والتعديل، فرددوا فريته، وفتّدوا زعمه، فحكم غير واحد بصحّته كما سنوافيتك بأسمائهم، ومنهم من حكم بحسنها، وهم أكثر عدداً. وإلى القارئ أسماء من حكم بصحّته مع ذكر مصادر أقوالهم، دون ذكر التفاصيل في حالهم ومقالهم:

١- يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣هـ، فقد صحّحه كما حكاه عنه الحاكم في المستدرك^(٢).

٢- محمد بن جعفر الفيدي المتوفى سنة ٢٣٦هـ، حكى عنه تصحيحة ابن معين، وعنـه الحاكم في المستدرك^(٣).

٣- أبو جعفر الطبرى صاحب التاريخ والتفسير المتوفى سنة ٣١٠هـ،

(١) الموضوعات ٣٤٩/١

(٢) المستدرك ١٢٧/٣

(٣) المصدر السابق.

أخرجه في تهذيب الآثار الصحيحة.

٤- الحسن بن أحمد السمرقندى المتوفى سنة ٤٩١هـ، أخرجه في بحر الآسانيد في صحاح المسانيد كما حكاه عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ^(١).

٥- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، قال في تذكرة الحفاظ بعد حكاية ذلك عن السمرقندى الآنف الذكر: هذا الحديث صحيح^(٢).

٦- صلاح الدين العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ، صححه عن طريق ابن معين، وقال: وأي استحالة في أن يقول النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم مثل هذا في حق علي رضي الله عنه؟ ولم يأت كل من تكلم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن ابن معين، ومع ذلك فله شاهد رواه الترمذى في جامعه ...

وأطال الكلام في الدفاع عن صحة الحديث وشواهده، فراجع الثاني المصنوعة للسيوطى^(٣).

٧- شمس الدين محمد بن محمد الججزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ، أخرجه في كتابه (أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب)، ص ١٤ عن طريق الحاكم وذكر تصحيحه، وقد اشترط في أول كتابه أن يذكر فيه ما تواتر وصح وحسن من مناقب أمير المؤمنين عليهما.

(١) تذكرة الحفاظ ٤/٢٨.

(٢) المصدر السابق ٤/٢٨.

(٣) الثاني المصنوعة ١/١٧٣ - ١٧٢.

٨- جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، أخرجه في الجامع الصغير^(١) وفي جملة من تأليفه، وحسنه في كثير منها، ثم حكم بصحته في جمع الجواجم كما في ترتيبه كنز العمال فقال: كنت أجيئ بهذا الجواب (يعني حسن الحديث) دهراً، إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث علي في (تهذيب الأثار) مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس، فاستخرت الله وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحة، والله أعلم^(٢).

وله جزء خاص في طرق الحديث وعدده من تأليفه، وعدده من الأحاديث المشتهرة في كتابه (الدرر المشتركة)^(٣)، فراجع.

٩- الشهاب أحمد بن حجر المكي البيتاني المتوفى سنة ٩٧٤هـ، ذكره في جملة من كتبه، كالصواعق المحرقة^(٤)، وشرح همزية البوصيري في عدة مواضع، وتطهير الجنان بهامش الصواعق، وذكره في الفتاوى الحديثية وحسنه^(٥)، وقال في موضع آخر: هو حديث حسن، بل قال الحاكم: صحيح^(٦). فيظهر منه اختيار ما قاله الحاكم.

(١) الجامع الصغير ٢٧٩/١ ط بولاق.

(٢) كنز العمال ١٢/١٢، ٢١٢/١٥، ١٢٩/١٥.

(٣) الدرر المشتركة المطبوع بهامش الفتاوى الحديثية لابن حجر، ص ٤٣.

(٤) الصواعق المحرقة، ص ٧٣.

(٥) الفتاوى الحديثية، ص ١٢٦.

(٦) المصدر السابق، ص ١٩٧.

- ١٠- الحافظ المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير^(١)، وله كلام عقب به على الحديث يظهر منه القول بصحته، سيأتي نقله عنه كما ذكره في كتابه التيسير شرح الجامع الصغير، وحسنه هناك^(٢).
- ١١- السيد محمد بن جلال البخاري في كتابه (نذر الأبرار)، ونص على صحته.
- ١٢- البدخشاني في (نزل الأبرار بما صَحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار)^(٣)، أخرجه نقلًا عن البزار، والعقيلي، وابن عدي، والطبراني، والحاكم، وأبي نعيم، فالحديث عنده صحيح على شرط كتابه.
- ١٣- محمد صدر العالم في (معارج العلي في مناقب المرتضى)، وذكر ما قاله السيوطي.
- ١٤- الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ، ذكره في كتابه (الروضة الندية في شرح التحفة العلوية)، وقال بعد نقل تصحيح من صححه وتحسين من حسنه: فظاهر لك بطلان دعوى الوضع، وصحة القول بالصحة كما اختاره السيوطي، وهو قول الحاكم وابن جرير. وأما الذين قالوا بحسن الحديث فهم الأعلام التالية أسماؤهم:

(١) فيض القدير ٤٦/٣ - ٤٧.

(٢) التيسير ١/٣٧٧.

(٣) نذر الأبرار، ص ٢٧.

١- الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، أخرجه في كتابه (كتاب الطالب) في الباب الثامن والخمسين بعدة طرق، وقال بعد إخراجه: قلت: هذا حديث حسن عالٍ.

وختم الباب بقوله: فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي عليه السلام، وزيادة علمه وغزارته وحده، وفهمه ووفر حكمته، وحسن قضایاه، وصحّة فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفر فضله، ورجاحة عقله، وصحّة حكمته، وليس هذا الحديث في حقه بكثير، لأن رتبته عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وعند المؤمنين من عباده أجل وأعلا من ذلك.

٢- بدر الدين الزركشي الشافعي: المتوفى سنة ٧٩٤هـ، قال - كما في فيض القدير: الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتاج به، ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً^(١).

٣- المجد الفيروزآبادي: المتوفى سنة ٨١٦هـ في كتابه (النقد الصحيح)، قال بعد كلام له طويل حول الحديث الذي رواه عن طريق ابن معين: ولم يأت من تكلم على حديث (أنا مدينة العلم) بجواب عن هذه الروايات الثابتة عن يحيى بن معين، والحكم بالموضوع عليه باطل قطعاً... إلى أن قال: والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريفي أبي معاوية

وشريك إلى درجة الحسن المحتاج به، ولا يكون ضعيفاً فضلاً أن يكون موضوعاً.

٤- شمس الدين محمد بن محمد الجزرى: المتوفى سنة ٨٣٣هـ، أخرج الحديث في كتابه (أسنى المطالب)^(١) من طريق الحاكم وذكر تصححه. ولما كان قد اشترط في أول كتابه أن يذكر فيه ما تواتر وصح وحسن من مناقب أمير المؤمنين، فالحديث عنده إن لم يكن متواتراً وصححاً فهو حسن. وقد مرّ ذكره مع المصحّحين.

٥- شمس الدين السخاوي: المتوفى سنة ٩٠٢هـ، ذكر الحديث في كتابه (المقاصد الحسنة)^(٢)، ذكر الحديث وما شابهه ومن أخرجه من الحفاظ وأسانيدهم إلى الصحابة، وذكر مقالة ذوي القالة والرد عليهم فأطال...

إلى أن قال: وأحسنها حديث ابن عباس، بل هو حسن.

٦- جلال الدين السيوطي: المتوفى سنة ٩١١هـ، أخرج الحديث في الجامع الصغير^(٣)، وفي جملة من كتبه وحسنه، ثم عدل في كتابه جمع الجوامع إلى الحكم بصحته، وقد مرّ ذكر قوله مع المصحّحين، فراجع.

٧- الحافظ محمد بن يوسف الشامي: المتوفى سنة ٩٤٢هـ، أخرج

(١) أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، ص ١٤.

(٢) المقاصد الحسنة، ص ٩٧.

(٣) الجامع الصغير ٢٦٩/١ ط بولاق.

الحاديـث في كتابه (سبـل الـهـدـى والـرـشـاد في سـيـرـة خـيـر الـعـبـاد)، وـقـالـ: الصـوـابـ أـنـ حـدـيـثـ حـسـنـ كـمـاـ قـالـ الحـافـظـانـ العـلـانـيـ وـابـنـ حـجـرـ.

٨- الحـافـظـ ابنـ عـرـاقـ الـكـنـانـيـ: المـتـوفـىـ سـنـةـ ٨٦٣ـهـ، أـخـرـجـ الـحـدـيـثـ فيـ كـاتـابـهـ (تـنـزـيـهـ الشـرـيـعـةـ عـنـ الـأـخـبـارـ الشـنـيـعـةـ)، وـذـكـرـ تـصـحـيـحـ الـحـاـكـمـ لـهـ، كـمـاـ ذـكـرـ تـضـعـيـفـ ابنـ الجـوـزـيـ، ثـمـ ذـكـرـ تـحـسـيـنـ ابنـ حـجـرـ وـالـعـلـانـيـ، وـيـسـدـوـ منـ ذـلـكـ اـخـيـارـ الـأـخـيـرـ.

٩- الحـافـظـ ابنـ حـجـرـ الـهـيـتمـيـ: المـتـوفـىـ سـنـةـ ٩٧٤ـهـ، أـخـرـجـهـ فيـ الصـوـاعـقـ^(١) وـفـيـ الـفـتاـوىـ الـحـدـيـثـيـةـ^(٢) وـحـسـنـهـ، وـقـالـ أـيـضـاـ: هـوـ حـدـيـثـ حـسـنـ بـلـ قـالـ الـحـاـكـمـ: صـحـيـحـ^(٣). وـقـدـ مـرـ ذـكـرـهـ مـعـ الـصـحـحـيـنـ.

١٠- جـمـالـ الدـيـنـ الـفـتـنـيـ: المـتـوفـىـ سـنـةـ ٩٨٦ـهـ، ذـكـرـهـ فيـ تـذـكـرـةـ الـمـوـضـوـعـاتـ وـحـسـنـهـ، وـقـالـ: فـمـنـ حـكـمـ بـكـذـبـهـ فـقـدـ أـخـطـأـ^(٤).

١١- الحـافـظـ الـمـنـاوـيـ: المـتـوفـىـ سـنـةـ ١٠١٣ـهـ، أـخـرـجـهـ فيـ فـيـضـ الـقـدـيرـ^(٥)، وـفـيـ الـتـيـسـيرـ^(٦) وـحـسـنـهـ، وـلـهـ كـلـامـ فيـ الـأـوـلـ سـنـذـكـرـهـ بـعـدـ ذـلـكـ.

١٢- الحـافـظـ الـعـزـيـزـيـ: المـتـوفـىـ سـنـةـ ١٠٧٠ـهـ، ذـكـرـهـ فيـ كتابـهـ (الـسـرـاجـ

(١) الصـوـاعـقـ الـمـحـرـقـةـ، صـ ٧٣ـ.

(٢) الـفـتاـوىـ الـحـدـيـثـيـةـ، صـ ١٢٦ـ.

(٣) الـمـصـدـرـ السـابـقـ، صـ ١٩٧ـ.

(٤) تـذـكـرـةـ الـمـوـضـوـعـاتـ، صـ ٩٥ـ.

(٥) فـيـضـ الـقـدـيرـ ٤٦/٣ـ.

(٦) الـتـيـسـيرـ ٣٧٧/١ـ.

المثير شرح الجامع الصغير)^(١)، وحکى تحسين الحديث عن شيخه، ولم يعلق عليه بشيء يدفعه، مما يظهر منه اختياره له.

١٣- أبو الضياء الشرابلسي الشافعي: المتوفى سنة ١٠٨٢هـ، ذكره في حاشيته على (الموهوب اللدني) في شرح أسماء النبي ﷺ، ومنها (مدينة العلم)، ثم قال: والصواب أنه حديث حسن كما قال العلاني وابن حجر.

١٤- الحافظ الزرقاني المالكي: المتوفى سنة ١١٢٢هـ، ذكره في شرح (الموهوب اللدني)، وحسنَه^(٢).

١٥- الحافظ الصبان: المتوفى سنة ١٢٥٥هـ، ذكره في كتابه (إسعاف الراغبين) بهامش نور الأبصار^(٣) نقلًا عن البزار، والطبراني، والحاكم، والعقيلي، وابن عدي، والترمذى، وصَوَّبَ قول من حَسَنَه خلافاً لمن صححه أو زَيَّنه.

١٦- الحافظ الشوكاني: المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، ذكره في كتابه (الفوائد المجموعه)، وحسنَه تبعاً لابن حجر حيث قلل قوله. ثم قال: وهذا هو الصواب^(٤).

فهؤلاء ما يقرب من ثلاثين حافظاً حكم نصفهم تقريراً بصحته، والباقيون بحسنَه، وإنما قدمنا ذكرهم تنویراً للقارئ وتحذيراً من خداع

(١) السراج المثير ٦٣/٢.

(٢) شرح الموهوب اللدني ١٤٣/٣.

(٣) إسعاف الراغبين، ص ١٥٦.

(٤) الفوائد المجموعه، ص ٣٤٩.

الآخرين الذين اتخذوا الحديث عضين، أمثال ابن الجوزي، وابن تيمية، والذهببي، وأضراهم من الذين لا يستسيغون ذكر فضيلة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، دون أن يغمزوا في سندتها، بحجّة جرح الرواية، أو بهمز في المتن بزعم أنّ ثمة هناء، ولا ها الله ما هي إلا شناش أخزمية، وكم مرّت بنا شواهد على ذلك في كثير من الفضائل، فراجع.

ورحم الله الحافظ أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسيني النماري المغربي نزيل القاهرة، حيث كفانا مؤونة الخوض في بحر الكلام والخصام، والنقض والإبرام حول الحديث المذكور، فقد استوفى ذلك مفصلاً في كتابيه: (سبل السعادة وأبوابها: بصحّة حديث أنا مدينة العلم وعلى بابها)، و(فتح الملك العلي: بصحّة حديث أنا مدينة العلم وعلى بابها)، وفي هذا الكتاب قد ذكر جميع طرق الحديث، وأبان حال الرواية جرحاً وتعديلأً، ولم يُسقِ لذِي مقال قبلاً، بأسلوب علمي رصين، وبيان جلي مبين، فجزاه الله خير جزاء العالمين العاملين، على ما أفاد وأجاد، بحجّة وسداد، فهو وإن لم يكن الأول والآخر، من خصّ هذا الحديث بالتأليف، فقد سبقه سيدنا الإمام صاحب العقبات المتوفى سنة ١٣٠٦هـ بالتصنيف، إذ خص الجزء الخامس من موسوعته الكبرى الغنية عن التعريف، فجمع في هذا الحديث وأوعى كل ما يتعلّق به سندًا ودلالة، مما ينبع عن طول باع، لكن ما كان كتابه مطبوعاً منذ قرن تقريباً في الهند، ولا تصل الأيدي إلى تحصيل نسخته حتى بشق الأفوس، لذلك لم أقدم ذكره،

ولم أجشم القارئ عناه البحث عنه، لذلك ذكرت كتاب أبي الفيض، أفضى الله عليه شأيب الرحمة، لأنه طبع ثلاث مرات فيما أعلم^(١)، ويمكن الحصول عليه، فهو أقرب مناً من غيره.

كما يوجد غير الكتابين المذكورين - العقبات وفتح الملك لعلي - من الكتب التي تخص الحديث المذكور، لكنها لم تبلغ شأو الكتابين المذكورين، على ما فيها من جهد مشكور وأجر مؤلفيها مذكور.

ومن لم يتمكّن من تحصيل أحد الكتب المختصة بهذا الحديث المذكور، فعليه بمراجعة المصادر الآتية التي ذكرت هذا الحديث، وكلها مصادر غير شيعية إمعاناً في التحقيق، وليرضى بها العدو والصديق، ثم ليغطّ على ابن الجوزي وأضرابه، من متابعيه وأذنابه، وليمنع النظر في حسابه، حيث أطال الكلام حول الحديث من غير طائل، وختم قوله بزيف الباطل، إذ قال: والحديث لا أصل له.

ولنختم الآن الكلام بقول الحافظ العلاني، وهو منقول في جملة من المصادر، ومنها اللثالي المصنوعة للسيوطى، حيث قال: ولم يأتِ كل من تكلّم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب على هذه الروايات الصحيحة عن ابن معين - حيث نقل تصحيحه للحديث من عدة طرق - ومع ذلك فله شاهد رواه الترمذى في جامعه عن إسماعيل بن موسى الفزارى عن محمد بن

(١) أولها بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ بالطبعية الإسلامية بالأزهر، والثانية سنة ١٣٨٩هـ بمصر أيضاً ملحاً بكتابه البرهان الجلى في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، والثالثة في النجف الأشرف سنة ١٣٨٨هـ بالطبعية الحيدرية.

عمر بن الرومي عن شريك بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن أبي عبد الله الصنابحي عن علي مرفوعاً: «أنا دار الحكم وعلي بابها» ...

إلى أن قال: ولم يأت أبو الفرج - ابن الجوزي - ولا غيره بعلة قادحة في حديث شريك، سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر^(١).

هذا قول الحافظ العلائي فيمن ادعى الوضع، ووصفه بأنه بغير حجة، وإنما هو دفع بالصدر، يعني بذلك أنه مكابرة.

نعم، وإنها لمكابرة وقحة، وأوقع من أولئك الذين دفعوا بالصدر - على حد تعبيره - من دفع الصدر بالذيل، فلم يرض بالحديث حتى جعل له ذيلاً، فويل له وألف ويل.

قال الغماري في كتابه (فتح الملك العلي) وهو يذكر الأصول التي اعتمدتها الطاعنون في الحديث:

الأصل الثالث: أنهم ظنوا أنه مخالف للأصول الدالة على أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأن فيه ما يدل على أفضلية علي عليه السلام، ولهذا زاد فيه بعض الكذابين ذكر أبي بكر وعمر وعثمان.

فذكر الحافظ - ابن حجر - في اللسان في ترجمة إسماعيل بن علي بن المثنى الإسترابادي الواعظ الكذاب، أنه كان مرة يعظ بدمشق، فقام إليه رجل فسأله عن حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها)، فقال: هذا مختصر

(١) الثاني المصنوعة ١٧٢/١ ط مصر الأولى.

ولما هو: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعلى بابها. قال: فسألوه أن يخرج لهم إسناده، فوعدهم به.

وفي هذا الرجل يقول ابن السمعاني في الأنساب: كان يقال له الكذاب ابن الكذاب، ويقول النخشبى: كان يقص ويكتب، ولم يكن على وجهه سيماء المتدين، دخلت على أبي نصر السجزي بمكة فسألته عنه، فقال: هذا كذاب ابن كذاب، لا يكتب عنه ولا كرامة.

وذكر هذه القصة ابن عساكر في التاريخ^(١)، فقال: أربأنا أبو الفرج غيث بن علي الخطيب، حدثني أبو الفرج الأصفهانى، قال: كان أبو سعد الإسترابادى يعظ بدمشق، فقام إليه رجل، فقال: أيها الشيخ ما القول في قول النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»؟ قال: فأطرق لحظة، ثم رفع رأسه وقال: نعم لا يعرف هذا الحديث على التمام، إلا من كان صدراً في الإسلام، إنما قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم... وذكره، قال: فاستحسن الحاضرون ذلك وهو يردد، ثم سأله أن يخرج لهم إسناده فأنعم ولم يخرج لهم^(٢).

(١) راجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٥/٣، وقد عقب ابن بدران مهذب التاريخ بعد ذكر القصة بقوله: ثم بعد مدة وجد هذا الحديث في جزء، يعني اخترع له إسناداً، وأودعه ذلك الجزء... اهـ

(٢) لم يذكر الغماري تعقيب ابن عساكر عن ذلك بقوله: منكر جداً متناً وستداً. أقول: أما وقد أجمل ابن عساكر نكارة السنن والمعنى، فلعله أراد بنكارة السنن ما من قول ابن حجر وابن السمعاني والتخيبي في ذلك القصاص الأشر أبي سعد

فانظر كيف أنكروه على افراد، واستحسنوه لما ذكر فيه أبو بكر
وعمر وعثمان.

وافتراه بعض الوعاظين أيضاً، فرواه من حديث أنس بلفظ: أنا مدينة

الإسترادي - الكذاب ابن الكذاب - وهذا لا ي تعدى السند، إذ فيه التجريح للراوي،
ولم يشيروا إلى متن الرواية وما فيها من اعتلال واحتلال، ولعل ابن عساكر أراد من
نکارة المتن ما يلي:

١- في جملة (وعمر حيطانها) سماجة، فعمر مفرد، وحيطانها جمع، ولا يصح أن
يخبر به كان يقول: (زيد جيران) مكان (جار)، وهذا لا ي قوله أفصح من نطق
بالضاد.

٢- إن مفهوم المدينة بمحتوها العام تشمل على الدور والأسواق والأزقة والطرقات
وما شابه ذلك من مقوماتها، وليس تكون المدينة بالحائط والسقف، فإن ذلك من
مقومات الغرف لصلحة من يعيش فيها.

وإذا أريد بما في الرواية معنى الحزز للمدينة فهو أيضاً لا يصح، لأن حزز المدينة إنما
هو بالسور والخندق يحفر حولها كما صنعه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في حرب الأحزاب، فقد حصن
المدينة بالخندق حتى عرفت تلك الواقعة بogeneity الخندق، صنع ذلك احترازاً من دخول
العدو إلى المدينة.

٣- لو افترضنا صحة ما زعمه ذلك الكذاب ابن الكذاب - كما وصفوه - فإنه ذم
الخلفاء الثلاثة من حيث لا يشعر، حيث جعل أولهم سوراً، وثانيهم حيطاناً، وثالثهم
سقفاً، فهم شخوص منع من دخول المدينة لا غير، ولا يمكن لمن أراد إثبات المدينة أن
يأتيها من قبفهم ويعتار منها، وببقى فضل الانتفاع بالمدينة عن طريق بابها الوحيد فقط،
وهو الإمام علي عليه السلام، وفي هذه إشارة إلى الخصار طريق التزود من المدينة بالإمام
فقط وفقط دون من سواه، فلا حظ.

العلم، وأبو بكر وعمر وعثمان سورها، وعلى بابها. فزاد في الحديث ما يوَّيد مذهب أهل السنة من تفضيل ثلاثة على علي، لظنه أن في هذه الزيادة ما يفضلهم عليه.

بل ما رضي النواصي بهذا حتى أدخلوا فيه معاوية، فذكره الديلمي من حديث أنس بلفظ: أنا مدينة العلم، وعلى بابها، ومعاوية حلقتها. وسلك بعضهم فيه مسلكاً آخر، فقال: ليس المراد به علي بن أبي طالب، بل هو من العلو، كأن النبي ﷺ قال: أنا مدينة العلم وأنا بابها العلي.

وليس في الحديث شيء مما توهّمه، بل هو كقول النبي ﷺ الذي رواه: (أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ)، وقوله: (أقرأكم أبيّ)، وقوله: «ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، فقد نصّوا على أنه ليس فيها ما يدل على أفضلية معاذ وأبيه وأبي ذر على غيرهم من الخلفاء الراشدين^(١).

انتهى ما أردنا نقله من كتاب الغماري، وله بعد كلام كثير تحسن مراجعته خصوصاً المسلك التاسع من المسالك التسعة التي سلّكها لإثبات صحة الحديث المذكور، فقال:

المسلك التاسع: أنه قد تقرّر أن من علامة صدق الراوي وصحّة حديثه، مطابقته للواقع وصدق مخبره، وعلى بن أبي طالب عليه السلام، كان أعلم

(١) فتح الملك العلي، ص ١١٠ ط الثانية بمصر.

الصحابة على الإطلاق كما هو معلوم ومشهور، ومستفيض متواتر، حتى ضربوا باشتهر علمه المثل للتواتر المعنوي.

فقال الحافظ موفق الدين بن قدامة في أول كتابه (إثبات صفات العلو لله): واعلم رحمة الله أنه ليس من شرط صحة التواتر الذي يحصل به اليقين أن يوجد التواتر في جزء واحد، بل متى نقلت أخبار كثيرة في معنى واحد من طرق يصدق بعضها بعضاً، ولم يأت ما يكذبها أو يقبح فيها، حتى استقر ذلك في القلوب واستيقنته، فقد حصل التواتر، وثبت القطع واليقين، فإنما نتيقن وجود حاتم، وإن كان لم يرد به خبر واحد مرضي الإسناد لوجود ما ذكرنا، وكذلك عدل عمر وشجاعة على عليه السلام، اهـ.

وقد جاء عن النبي صلوات الله عليه وآله والصحابة والتابعين من الشهادة لعلى بالعلم ما لم يأت لأحد قط.

فمن شهادة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، قال: حدثنا أبو أحمد، ثنا خالدـ يعني ابن طهمانـ عن نافع عن أبي نافع عن معاذ بن يسار قال: وضأت النبي صلوات الله عليه فقال: أللـ في فاطمة رضي الله عنها نعوذـ؟ فقلتـ: نعمـ. فقام متوكـاً علىـ حتى دخلنا علىـ فاطمة عليها السلامـ، فقال لهاـ: كيف تجدينـكـ؟ قالتـ: والله لقد أشتد حزنيـ، واشتدت فاقتيـ، وطال سقمـيـ.

(قال أبو عبد الرحمن: وجدت في كتاب أبي بخط يده هذا الحديث)، قال: أومـا ترضـينـ أـنـي زـوجـتكـ أـقـدـمـ أـمـتـي سـلـماـ، وأـكـثـرـهـمـ عـلـماـ، وأـعـظـمـهـمـ

حلماً. اه، رجاله ثقات، وقد رواه الطبراني من وجه آخر بإسناد صحيحه
الحافظ نور الدين في الزوائد من مرسل أبي إسحاق.

قلت - والسائل هو الغماري -: وقد ورد موصلاً من طريقه أخرجه
ابن عساكر في ترجمة علي في تاريخه ...

أقول: ثم ساق الحديث بعدة طرق عن أنس، وعائشة، وأسماء بنت
عميس، وجابر، وعلي، وابن عباس، وأبي هريرة، وقال: وحديث علي
صحيحه ابن جرير. ثم نقل عن الحاكم في المستدرك قول أبي حاتم الرازى:
كان يعجبهم أن يجدوا الحديث في الفضائل من رواية أحمد بن حنبل رضى
الله عنه.

ثم ذكر حديثاً آخر عن أبي نعيم في الخلية: قال: ثنا أبو أحمد
القطريفي، ثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ، ثنا محمد بن عبد الله بن عتبة، ثنا
محمد بن علي الوهبي الكوفي، ثنا أحمد بن عمران بن سلمة . وكان ثقة
عدلاً مرضياً ، ثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقة عن
عبد الله ، قال: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي ، فقال: قسمت الحكمة
عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعه أجزاء والناس جزءاً واحداً. اه.

قال الغماري: أحمد بن عمران ذكره الذهبي في الميزان وقال: لا
يُدرى من هو، ثم ضعفه بهذا الحديث.

وتعقبه الحافظ في اللسان بما تقدم في السند من قول الذهبي: إنه كان
ثقة عدلاً مرضياً، قال: وفي هذا مخالفة لما ذكره الذهبي.

قلت . والقائل هو الغماري :- لو وثقه الناس كلهم لقال الذهبي في حديثه: (إنه كذب)، كما فعل في عدة أحاديث أخرى جها الحاكم بسند الشيدين، وادعى هو دفعاً بالصدر وبدون دليل أنها موضوعة، وما علّتها في نظره إلا كونها في فضل علي بن أبي طالب، فاتّه المستعان... ثم ذكر الأحاديث التالية بأسانيدها وتنحصر على ألفاظها:

- ١ - عن علي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: قل ربِّي الله ثم استقم. قال: قلت: الله ربِّي، وما توفيقِي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. فقال: ليهُنَكَ الْعِلْمُ أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً، ونهلت منه نهلاً.
- ٢ - عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: أقضى أمتي علي بن أبي طالب.
- ٣ - عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي.
- ٤ - عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب.

ثم قال: وفي الباب عن معاذ بن جبل، وعمر، وابن عباس.
 ثم ذكر شهادة عمر بن الخطاب بقوله: أقرؤنا أبي، وأقضانا على .
 وأتبعها بقول سعيد بن المسيب: كان عمر يتغوز بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وكان عمر يقول: لو لا علي لهلك عمر.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة بعد إيراده آثاراً في علم علي عليهما السلام: ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره لأطلنا.

ثم ذكر شهادة عبد الله بن مسعود بقوله: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما من حرف إلا وله ظاهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن.

وقوله الآخر: إن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.

وقوله الثالث: أعلم أهل المدينة بالفريائض علي بن أبي طالب.

ثم ذكر شهادة عبد الله بن عباس بقوله: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أشراف العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر.

وقوله الآخر: كان علي والله قد ملئ علماء وحليماً،

وقوله الرابع... .

ثم ذكر شهادة عائشة بقولها: أما إنه أعلم الناس بالسنة. وكانت كثيراً ما ترجع إليه في المسائل.

ثم ذكر شهادة خزيمة بن ثابت - ذي الشهادتين - بقوله:

إذا نحن بآيُّنا علَيْا فحسُبُنا أبو حَسَنٍ مَا نَخَافُ مِنَ الْفِتْنَ
وَجَدَنَاهُ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ إِنَّهُ أَطْبُ قُرِيشٍ بِالْكِتَابِ وَبِالسُّنْنِ

ثم ذكر شهادة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة بقوله: كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في

الإسلام، والصهر لرسول الله ﷺ، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون.

ثم ذكر شهادة معاوية فيما ذكره ابن عبد البر أنه كان يكتب فيما ينزل به ليسأل علي بن أبي طالب، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

واستمر الغماري بذكر شهادة جملة من الصحابة والتابعين، فذكر ما يزيد على عشر شهادات، وختمنا بقوله: والآثار بهذا كثيرة، ويفني عنها ما هو متداول من حكمه العجيبة ومعارفه الغريبة، التي لم ينقل مثلها عن غيره، بحيث من وقف عليها رأى العجب العجاب، وجزم بأنه البحر الباب، وذلك أعظم دليل على صدق هذا الخبر، وأنه باب مدينة علم النبي عليه الصلاة والسلام.

أقول: ول يكن مسك الختام، بيان ما ورد عنه ﷺ في وصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأنه بابه باختلاف معانيه وألفاظه:

فمن ذلك قوله ﷺ: «أنا مدينة الحكم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب». أخرجه الخطيب في تاريخه^(١)، والحمويني في فرائد، وابن المغازلي في مناقبه، وابن حجر في لسانه وغيرهم.

وقوله ﷺ: «أنا مدينة الفقه وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب». أخرجه أحمد في الفضائل، وغيره.

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي نقلًا عن الحافظ عبد الرزاق جاء الحديث بلفظ: «فمن أراد الحكم فليأت الباب».

وقوله عليه السلام: «أنا مدينة الجنة وعلى بابها، فمن أراد الجنة فليأتها من بابها». أخرجه ابن المغازلي في المناقب، والقندوزي في البناية^(١).

وقوله عليه السلام: «أنا دار العلم وعلى بابها»، أخرجه الحب الطبرى في كتابه الذخائر^(٢)، وفي الرياض^(٣).

وقوله عليه السلام: «أنا دار الحكمة وعلى بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب». أخرجه الترمذى في سنته، وأبو نعيم في الخلية، والحموينى في الفرائد، وابن المغازلى في المناقب وغيرهم.



والآن نسوق للقارئ أكثر من مائة مصدر لأعلام المسلمين من محدثين ومؤرخين، وكلهم من لا يُتهم بعمالة ومحاباة، وكل منهم يتلو «هاؤم اقرؤوا كتاييه»، ونحن نتلوا «فمن ابْتَغَ ورَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ».

(١) بناية المودة، ص ٧٣ ط إسلامبول.

(٢) ذخائر العقبى، ص ٧٧.

(٣) الرياض النصرة ٢/١٩٣.

مصادر الحديث

- ١- مستدرك الحاكم ١٢٦/٣ ط أفسٰت بيروت.
- ٢- تلخيص المستدرك للذهبي بهامش السابق.
- ٣- مجمع الزوائد للهيثمي ١١٤/٩ ط القدس بمصر.
- ٤- الجامع الصغير للسيوطى ٢٦٩/١ ط بولاق.
- ٥- فيض القدير للمناوي ٤٦/٣ ط بيروت.
- ٦- التيسير للمناوي ٣٧٧/١ ط أفسٰت مطابع المكتب الإسلامي.
- ٧- السراج المنير (العزيزى) ٦٨/٢ ط الشرفية سنة ١٣٠٤ هـ بمصر.
- ٨- حاشية الحفني بهامش السراج المنير ٦٨/٢.
- ٩- الفاضل للمبرد، ص ٣ ط دار الكتب المصرية.
- ١٠- مفردات الراغب، ص ٦٤ ط الميمونة بمصر.
- ١١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ٢٣٦/٢ ط مصر الأولى.
- ١٢- الرياض النضرة للمحب الطبرى ١٩٣/٢ ط الخانجي بمصر.
- ١٣- ذخائر العقبي، ص ٧٧ ط القدس بمصر.
- ١٤- كنوز الحقائق للمناوي، ص ٤٦ ط بولاق.
- ١٥- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي، ص ٢٩ ط إيران،
ص ٥٣ ط النجف.
- ١٦- المناقب لابن المغازى ٨٥ - ٨٠ ط إيران.

- ١٧ - المناقب للخوارزمي، ص ٤٩ ط إيران حجرية.
- ١٨ - مقتل الحسين للخوارزمي ٤٣/١ ط النجف.
- ١٩ - كفاية الطالب الباب ٥٨، ص ٢٢٠ ط النجف (الثانية).
- ٢٠ - فرائد السبطين للحمويني ٩٨/١ ط بيروت.
- ٢١ - نظم درر السبطين للزرندى، ص ١٣٠ ط النجف.
- ٢٢ - كنز العمال ٢٠١/١٢ - ٢١٢ ، ١٢٩/١٥ ، حيدر آباد الثانية.
- ٢٣ - منتخب كنز العمال بهامش مستند أحمد ٣٠/٥ ، مصر الأولى.
- ٢٤ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٨، إيران حجرية.
- ٢٥ - مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى، ص ٢٢ ، إيران حجرية.
- ٢٦ - جامع الأصول لابن الأثير ٤٧٣/٩ ، السنة الحمدية سنة ١٣٧١هـ.
- ٢٧ - جواهر العقدين ١٢٥/١ ، بغداد.
- ٢٨ - شرح المواهب اللدنية للزرقانى ١٤٣/٣.
- ٢٩ - حاشية على شرح المواهب للشبراهمسى بهامش السابق ١٤٣/٣.
- ٣٠ - إسعاف الراغبين بهامش نور الأ بصار، ص ١٥٦.
- ٣١ - شرح همزية البوصيري للسيد محمد بن أحمد بنين بهامش شرح الشمائى بجسوس ١٠٦/٢ - ١٠٧.

- ٣٢ - شرح همزية البوصيري للدلachi كما في صواعق ابن حجر.
- ٣٣ - الفتاوى الحديثية لابن حجر ١٢٦ ، ١٩٧ وحسنه في المقامين.
- ٣٤ - تفسير الألوسي ٣/٢٧ ، المنيرية.
- ٣٥ - كفاية الطالب للشنقيطي ، ص ٤٨.
- ٣٦ - الفتوحات الإسلامية لزيني دحلان ٢/٥١٠ ، مصطفى محمد.
- ٣٧ - مستند أبي الحسن الكلابي المطبوع مع مناقب ابن المازلي ، ص ٤٢٧ ، إيران.
- ٣٨ - سمعط النجوم العوالى للعصامى المكي ٢/٤٩١ ، السلفية.
- ٣٩ - جواهر البحار للنبهانى ٢/٣٢٧.
- ٤٠ - الروض النضير للسياغى ١/١٨٥ - ١٧٤ الطبعة الثانية سنة ١٤٣٨هـ.
- ٤١ - الحاوي للفتاوى للسيوطى ٢/١١٧.
- ٤٢ - تهذيب الآثار للطبرى (مستند على)، ص ١٠٥.
- ٤٣ - البدر المنير في غريب ^(١) أحاديث البشير النذير للسيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعى ، ص ٣١ ، حجرية قديمة بمصر.

(١) قال في مقدمة الكتاب ، ص ٢: ومرادي بالغرابة جهل غالب الناس بمن خرجها لا الغرابة في مصطلح المحدثين.

- ٤٤ - شرح قصيدة الصاحب كافي الكفأة للقاضي البهلوبي اليماني المعزلي، ص ١٠١ - ١٠٠، بغداد.
- ٤٥ - ينابيع المودة، ص ٦٥، ٧٢، ٢٥٤، ٢١٠، ١٨٣، ١٧٩، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٠٧، إسلامبول.
- ٤٦ - الفتح الكبير للنهاني ٢٧٦/١.
- ٤٧ - الفتح العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للصديقى الغمارى، ط مصر سنة ١٣٤٥هـ، النجف سنة ١٣٨٨هـ.
- ٤٨ - الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ٣٧، ٣٢١، الميمنية بمصر.
- ٤٩ - تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ٦٦، ١٧٠، السعادة بمصر.
- ٥٠ - تاريخ ابن كثير ٣٥٨/٧، مصر.
- ٥١ - صبح الأعشى ٤٢٥/١٠، أفسٰت دار الكتب.
- ٥٢ - حياة الحيوان للدميري ٦٢/١ ط بولاق.
- ٥٣ - تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ٤٦٤/٢ فما بعدها، بيروت.
- ٥٤ - الفائق للزمخشري ٢٨/١، حيدر آباد (رُتّج)، (سبع).
- ٥٥ - شرح تائية ابن الفارض في شرح قوله (علي بعلم ناله بالوصية).
- ٥٦ - تهذيب الكمال للزمي (ترجمة الإمام) كما في الروض النضير ١٧٦/١.

- ٥٧ - الشرف المؤيد للنبهاني، ص ١١١، بيروت.
- ٥٨ - معجم الطبراني الكبير ٥٥/١١، أوقاف بغداد.
- ٥٩ - معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٠٨/١، الأولى سنة ١٤٠٨هـ.
- ٦٠ - فردوس الأخبار للديلمي ٤٤/١.
- ٦١ - ألفباء للبلوي ٢٢٢/١.
- ٦٢ - تمة شجرة التور الزكية في طبقات المالكية لخلوف ٧١/٢
أفسٰت دار الكتاب العربي بيروت.
- ٦٣ - شرح الفقه الأكبر لملأ علي القاري، ص ٦٢، مصر.
- ٦٤ - تاريخ جرجان للسهمي، ص ٦٥، بيروت سنة ١٤٠١هـ، ص ٣٠
حیدر آباد سنة ١٣٨٧هـ.
- ٦٥ - تاريخ بغداد ٣٧٧/٢، ٣٤٨/٤، ١٧٢/٧، ١٧٣ - ٤٦/١١، ٤٥٠ - ٤٦/١١
. ٢٠٤.
- ٦٦ - أسد الغابة ٢٢/٤ أفسٰت المكتبة الإسلامية.
- ٦٧ - ميزان الاعتدال للذهبي ٥١/١، ١٩٣، ٣٨٨، ٤٣٦، ٢٥٠/٢
، مصر الأولى.
- ٦٨ - تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٨/٤، حیدر آباد.
- ٦٩ - لسان الميزان لابن حجر ١٩٧/١، ٤٣٢، ١٢٣/٢، ٤٣٢، حیدر آباد.
- ٧٠ - تهذيب التهذيب ٣٣٧/١، ٣٢٠/٦، ٣٢٠/٦، حیدر آباد.

- ٧١ - الأنساب للسمعاني ١١٨٢، أفسٌت (زنكوجراف) أوربا في (الهروي).
- ٧٢ - الاستيعاب ٤٦١/٢، حيدر آباد.
- ٧٣ - الكواكب الدرية للمناوي ٣٩/١، مصر.
- ٧٤ - الأسرار الموضوعة في الأحاديث الموضوعة لعلي القاري كما في الروض النضير ١٧٨/١.
- ٧٥ - اللؤلؤ المرصوع للقاوقيجي، ص ٢٥ ، مصر.
- ٧٦ - جالية الكدر للأبياري .
- ٧٧ - المتفق والمفترق للخطيب البغدادي .
- ٧٨ - ذيل تاريخ بغداد لابن النجاشي.
- ٧٩ - المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٩٧ ، الخانجي بمصر.
- ٨٠ - تميز الطيب من الخبيث للشيباني، ص ٣٢ ، الثانية بمصر سنة ١٣٥٣هـ.
- ٨١ - الدرر المنتشرة للسيوطني، ص ٤٢ ، مصر.
- ٨٢ - تنزيه الشريعة لابن عراق ٣٧٨/١.
- ٨٣ - تذكرة الموضوعات للفتنى، ص ٩٥-٩٦، وحسنه.
- ٨٤ - الفوائد المجموعة للشوكاني، ص ١١٨ ، الهند سنة ١٣٠٣هـ.
- ٨٥ - الكشف الإلهي عن شديد الضعف وال موضوع والواهي للسيد

محمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السنديوريسي ٢٢٢/١، مكتبة الطالب الجامعي بمكة.

- ٨٦ - أهل البيت توفيق أبو علم، ص ٢١٦ ط مصر سنة ١٣٩٠هـ.
- ٨٧ - الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي، ص ٣٣، السعادة بمصر سنة ١٣٢٣هـ (كما في موسوعة أطراف الحديث النبوي).
- ٨٨ - تذكرة الموضوعات للمقدسي.
- ٨٩ - الموضوعات لابن الجوزي ٣٤٩/١ - ٣٥٥، السلفية.
- ٩٠ - أنسى المطالب للجزري، ص ١٤ ، مصر.
- ٩١ - نزل الأبرار بما صع من مناقب أهل البيت الأطهار، ص ٢٧.
- ٩٢ - تذكرة الأبرار لمحمد بن جلال البخاري.
- ٩٣ - معاج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم.
- ٩٤ - الروضة الندية للصنعاني.
- ٩٥ - النقد الصحيح للمجد الفيروز آبادي.
- ٩٦ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الشامي.
- ٩٧ - سنن الترمذى ١٣٠/١٣، الصاوي بمصر.
- ٩٨ - تحفة الأحوذى ٢٢٥/١٠، الحديث رقم ٣٨٠٧.
- ٩٩ - الأنوار المحمدية، ص ١٤٤، بيروت سنة ١٣١٢هـ.

- ١٠٠ - شواهد التنزيل للحاكم الحسکاني ١/٣٤٣، بيروت.
- ١٠١ - العقد الشمین للغافسی ٦/١٩٢.
- ١٠٢ - ذخائر المواریث للنابلسي ٣/٢١.
- ١٠٣ - أنسى المطالب لابن درویش الحوت.
- ١٠٤ - علي بن أبي طالب إمام العارفين - أو - البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي للعالم المحدث الحجة أحمد بن محمد الصديق الغماري، ص ٧٥ ، مصر سنة ١٣٨٩هـ.
- ١٠٥ - تلخيص المشابه للخطيب البغدادي (هذا وما بعده ذكرها الغماري في كتابه البرهان الجلي، ص ٧٥ ، فراجع).
- ١٠٦ - الفضائل لخیثمة بن سلیمان.
- ١٠٧ - بحر الأسانید في صحاح المسانید لأبي محمد السمرقندی.
- ١٠٨ - الأمالي لأبي الحسن علي بن عمر الحربي.

من آذى علياً فقد آذاني

١٠٥- وفضلك السامي بذاك عرفا وكل من آذاك آذى المصطفى

إشارة منه دام ظله إلى الحديث النبوى الشريف حيث قال عليه السلام: «من آذى علياً فقد آذنى»، وقال أيضاً: «من آذاك فقد آذاني». قوله عليه السلام: «لا تؤذوني في علي». ونحو ذلك من أقواله عليه السلام.

وقد تكرر منه قوله في ذلك مراراً وبالفاظ مختلفة، وقد سمعه منه الصحابة فرووه عنه، وقد وصلت إلينا روايات جماعة منهم، أذكر من وقفت على حديثه منهم.

١- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: وقد روى ذلك عنه ولده الحسين بن علي عليه السلام، وهذا الحديث بالسند الآتي يُعد من الأحاديث المسسلات^(١).

(١) الأحاديث المسسلات هي التي تتوارد في رجال الإسناد حالة واحدة أو صفة واحدة، سواء كانت تلك الحالة أو الصفة للراوي أو للرواية، وحتى في صيغة الأداء =

ذكر الحسکانی في شواهد التنزيل في تفسير قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمَّا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا»^(١).

قال الحاکم الحسکانی بعد تفسیره الآیة الثانية: يقال: نزلت في علي بن أبي طالب، وذلك أن نفراً من المنافقین كانوا يؤذونه ويکذبون عليه، وأن عمر بن الخطاب في خلافته قال لأبي بن كعب: وإنی قرأت هذه الآیة فوقيت منی كل موقع، والله إنی لأضریهم وأعاقبهم. فقال له أبي: إنک لست منهم، إنک مؤدب معلم.

فإن ثبت النزول فيه خاصة فقد ثبت، وإلا فالآیة متناولة له بالأخبار المتظافرة عن النبي ﷺ على الخصوص، منها الحديث المسلسل، وفي بعض روایاته: «مَنْ آذَى شَعْرَةً مِنْكَ» - فهو خاص له - وفي بعضها: «شعرا

= أو كفیته ما يکرر الحال. قوله أو فعلًا أو زمانًا أو مكانًا في الراوی أو الروایة. وعده الحاکم في معرفة علوم الحديث، ص ٢٩ فجعله النوع العاشر وقال: إنه نوع من السمع الظاهر الذي لا غبار عليه. وذكر له ثمانية أنواع أو أمثلة على ذلك، ولا تحصر أمثلته بذلك، وقد أنهاها بعضهم إلى عشرين وربما أكثر، وفيه عدة مؤلفات لعل أقدمها كتاب المسلسلات لأبي محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي من أعلام القرن الرابع الهجري، وهو مطبوع في آخر مجموعة من كتبه أولها جامع الأحادیث، وثانيها نوادر الأثر، وثالثها كتاب العروس، ورابعها الأعمال المانعة من دخول الجنة، وخامسها كتاب الغایات، وسادسها المسلسلات، نشر المکتبة الإسلامية سنة ١٣٦٩هـ.

(١) سورة الأحزاب، الآیتان ٥٧، ٥٨.

مني »، وهي متناولة له، لقوله عليه السلام في عدة أخبار: «أنت مني وأنا منك»^(١).

ومنها: رواية عمر، وجابر، وسعد، وأم سلمة، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وعمرو بن شاس.

حدثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي درام الحافظ، حدثنا علي بن أحمد العجلي، حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا أرطاة بن حبيب قال: حدثني أبو خالد الواسطي وهو آخذ بشعره، قال: حدثني زيد بن علي وهو آخذ بشعره، قال: حدثني علي بن الحسين وهو آخذ بشعره، قال: حدثني الحسين بن علي وهو آخذ بشعره، قال: حدثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره، قال: حدثني رسول الله عليه السلام وهو آخذ بشعره، فقال: من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله. وفي لفظ الخوارزمي في المناقب: لعنة ملء السماوات والأرض.

قال الحاكم الحسكناني في آخر كلامه: وورد أيضاً في الباب عن عمر، وسعد، وعمرو بن شاس، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والمسور بن خرمة. اهـ.

أقول: وما أشار إليه الحسكناني بقوله: وفي بعضها (شعرة مني)، فقد ورد في حديث رواه ابن الجوزي في كتابه المسلسلات، قال: حدثنا محمد بن

(١) لقد مرّ قريباً الحديث بطرقه المتعددة وموارده الكثيرة، فراجع.

ناصر وهو آخذ بشعره، حدثنا محمد بن علي الزيني وهو آخذ بشعره، حدثني الشريف أبو عبد الله العلوى (ظ) وهو آخذ بشعره، حدثنا محمد بن عبد الله بن خالوته وهو آخذ بشعره، حدثنا أبو الفرج العكبرى وهو آخذ بشعره، حدثنا أرطاة بن حبيب وهو آخذ بشعره، حدثني عبيد بن ذكوان وهو آخذ بشعره، حدثني أبي خالد وهو آخذ بشعره، حدثني زيد بن علي وهو آخذ بشعره، حدثني أبي علي بن الحسين وهو آخذ بشعره، حدثني أبي الحسين بن علي وهو آخذ بشعره، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره، قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وهو آخذ بشعره، قال: من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات وملء الأرض، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(١).

وهذا الحديث رواه أيضاً أبو محمد جعفر أحمدر بن علي القمي في كتابه المsslسلات^(٢) المطبوع ملحناً بكتابه جامع الأحاديث ومجموعة أخرى من كتبه كما تقدمت الإشارة إليه في الهاشم، ورواه أبو نعيم والديلمي كما في التيسير^(٣)، وفيض القدير^(٤).

٢ - عبد الله بن عباس: وقد أخرج حديثه الحافظ ابن المغازى المالكى

(١) كتاب المsslسلات، برقم ٣٠.

(٢) المsslسلات، ص ١٠٤.

(٣) التيسير ٣/٢ ٨٣.

(٤) فيض القدير ٦/١٩.

في كتابه المناقب بسنده إلى ابن عباس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إذ أقبل علي بن أبي طالب غضبان، فقال له النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: ما أغضبك؟ قال: آذونني فيك بني عمك. فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مغضباً، فقال: يا أيها الناس من آذى علياً فقد آذني، إن علياً أولكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله، يا أيها الناس من آذى علياً بُث يوم القيمة يهودياً أو نصراانياً. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا رسول الله وإن شهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله؟ فقال: يا جابر كلمة يتحجزون بها أن لا تُسفك دمائهم، وأن لا تُستباح أموالهم، وأن لا يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون^(١).

٣ - جابر بن عبد الله: أخرج حديثه ابن عساكر في تاريخه بسنده عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لعلي: من آذاك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(٢).

وفي رواية أبي عمرو في الاستيعاب وحكاها القندوزي في البنايع، فقال: وعن جابر مرفوعاً: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله. أخرجه أبو عمرو الحافظ النمري^(٣).

وقد مرَّ عَدَّ الحاكم الحسکاني بجابر فيمن روی الحديث، ثم ذكر

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي، ص ٥٢.

(٢) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ١/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٣) بنايع المودة، ص ٢٠٥.

حدیثه بسنده عن جابر... الخ^(١)، وحدیثه مصادر أخرى.

٤- سعد بن مالك- أبي وقاص: أخرج حدیثه ابن عساکر في تاریخه
بسنده عن سعد عن النبي صلی الله علیه [وآلہ] وسلم، أنه قال: من آذى
علیاً فقد آذاني، ومن آذى علیاً فقد آذاني، ومن آذى علیاً فقد آذاني^(٢).

وروی أيضاً بسنده عن سعد أنه قال: كنت جالساً في المسجد أنا
ورجلان معی، فلننا من علی، فأقبل رسول الله صلی الله علیه [وآلہ] وسلم
غضبان يعرف في وجهه الغضب، فتعودت بالله من غضبه، فقال: مالکم
ومالي؟ من آذى علیاً فقد آذاني.

قال ابن عساکر: انتہی حدیث ابن حمدان- أحد رجال السنّد- وزاد
ابن المقرئ- راوٍ آخر-: وکنت أوتى بعد ذلك ويقال: إن علیاً يعرض بك
ويقول: اتقوا فتنة الأخینس. فأقول: هل سماّني؟ فيقال: لا. فأقول: إنه
منه^(٣).

وأخرج البیشمي في مجمع الزوائد حدیث سعد بنحو ما رواه ابن
عساکر من حدیث ابن حمدان. وقال: رواه أبو علی والبزار باختصار،
ورجال أبي يعلی رجال الصحيح غير محمود بن خداش وقنان، وهم
ثقان^(٤).

(١) شواهد التنزيل، ص ٩٨.

(٢) تاریخ دمشق (ترجمة الإمام) ٤٢٤/١.

(٣) المصدر السابق ٤٢٦/١.

(٤) مجمع الزوائد ١٢٩/١.

وللحديثة عدة مصادر أخرى، فقد أخرج الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية بزواته المسانيد الثمانية حديثه، قال: كنت جالساً في المسجد مع رجلين، فتذاكرا علينا فنلنا منه، فأقبل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مغضباً يُعرف في وجهه الغضب، فقلت: أعوذ بالله من غضب رسول الله. قال: مالكمولي؟ من آذى علياً فقد آذاني (يقولها ثلاث مرات). قال: فكنت أُوتى من بعد فيقال: إن علياً يعرض بك يقول: اتقوا فتنة الأخينس. فأقول: هل سَمَّاني؟ فيقولون: لا. فأقول: إن أخينس الناس لضئن، معاذ الله أن أؤذني رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد ما سمعت. (ابن أبي عمر، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة).

وعلّق المحقق في الهاشمي: وقال البوصيري: رواه ابن أبي عمر، ورواته ثقات^(١).

٥ - عمرو بن شاس: وحديثه أشهر من حديث غيره في المصادر التي أخرجهته، ولكثره مصادره وتعدد الرواية عنه فقد تعددت صوره، ولا يسعنا ذكر جميعها، بل نقتصر على ما ذكره الأقدمون كالبخاري في تاريخه^(٢)، والفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ^(٣)، وأحمد بن حنبل في مسنده. واللفظ له - بسنده عن عمرو بن شاس الأسلمي - وكان من أصحاب الحديثة. قال: خرجت مع علي إلى اليمن، فجفاني في سفري ذلك حتى وجدت في نفسي

(١) المطالب العالية ٦٣/٣.

(٢) التاريخ الكبير ٦٣٠ - ٣٠٧.

(٣) المعرفة والتاريخ، ص ٣٣٠.

عليه، فلما قدمت أظهرت شكایته في المسجد، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم، فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول الله صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم في أناس من أصحابه، فلما رأني أبدني عينيهـ . يقول حـدـدـ إلىـ النـظرـ . حتىـ إذاـ جـلـسـتـ قـالـ:ـ يـاـ عـمـرـوـ،ـ وـالـهـ لـقـدـ آـذـيـتـنـيـ .ـ قـلـتـ:ـ أـعـوـذـ بـالـلـهـ أـنـ أـوـذـيـكـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ .ـ قـالـ:ـ بـلـيـ مـنـ آـذـىـ عـلـيـاـ فـقـدـ آـذـانـيـ .ـ (١ـ).

و قريب من هذا اللفظ ما أخرجه الطبراني في معجمه، والبزار في مسنده، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، والحاكم في المستدرك، والذهبـيـ في تلخيصه وصححـاهـ وغيـرـهـ كـثـيرـ،ـ وـقـدـ مـرـ ماـ يـتـعـلـقـ بـهـ .ـ (٢ـ).

٦ـ .ـ مـحـمـدـ بـنـ الـخـفـيـةـ:ـ وـهـوـ مـنـ سـادـةـ التـابـعـيـنـ،ـ وـأـخـرـجـ حـدـيـثـهـ الـبـلـادـزـرـيـ فيـ أـنـسـابـ الـأـشـرـافـ فيـ تـرـجـمـةـ الـإـمـامـ،ـ وـسـاقـهـ بـسـنـدـهـ إـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ الـخـفـيـةـ،ـ قـالـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وآلـهـ]ـ وـسـلـمـ:ـ مـنـ آـذـىـ عـلـيـاـ فـقـدـ آـذـانـيـ .ـ (٣ـ).

٧ـ .ـ أـمـ سـلـمـةـ أـمـ الـمـوـمـيـنـ:ـ وـأـخـرـجـ حـدـيـثـهـ الـحـاـكـمـ الـحـسـكـانـيـ فيـ شـوـاهـدـ التـزـيلـ بـسـنـدـهـ إـلـيـهـ،ـ قـالـتـ:ـ قـدـ سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وآلـهـ]ـ وـسـلـمـ يـقـولـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ:ـ أـنـتـ أـخـيـ وـحـبـيـبيـ،ـ مـنـ آـذـاـكـ فـقـدـ آـذـانـيـ .ـ قـالـ الـحـسـكـانـيـ:ـ وـوـرـدـ أـيـضـاـ فـيـ الـبـابـ عـنـ عـمـرـ،ـ وـسـعـدـ،ـ وـعـمـرـوـ بـنـ شـاسـ،ـ وـأـبـيـ هـرـيـةـ،ـ وـابـنـ عـبـاسـ،ـ وـأـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ،ـ وـالـمـسـوـرـ بـنـ

(١ـ) مـسـنـدـ أـحـمـدـ ٤٨٣ـ/ـ٣ـ طـ مـصـرـ الـأـوـلـيـ.

(٢ـ) أـنـسـابـ الـأـشـرـافـ ١ـ/ـ ١١٤ـ .ـ ١١٥ـ .ـ

(٣ـ) المـصـدـرـ السـابـقـ ١ـ/ـ ١٤٦ـ .ـ

عترمة^(١).

وعلى ضوء ما سبق من أحاديث الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه كان عمر بن الخطاب يقول ذلك كما رواه عنه أحمد في الفضائل وابن عساكر في تاريخه^(٢)، والسيوطى في جمع الجواامع كما في ترتيبه كنز العمال^(٣)، والسبكي في شفاء السقام^(٤) وغيرهم، واللفظ لأحمد في الفضائل، قال: حدثنا الفضل بن الحباب البصري بالبصرة، قال: حدثني القعنبي عبد الله بن مسلمة، قال: حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. وهو ابن الزبير. أن رجلاً وقع في علي بن أبي طالب بمحضر من عمر، فقال له عمر: تعرف صاحب هذا القبر؟ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب، فلا تذكر علیاً إلا بخیر، فإنك إن أغضته آذيت هذا في قبره^(٥).

ولا يشك مسلم في حقيقة ما مرّ، وكيف يشك في ذلك، والأحاديث بذلك متظافرة لفظاً، متواترة معنى، ليس ينكرها إلا جاحد معاند. وإلى القارئ قائمة بأسماء المصادر التي يجد فيها الحديث على اختلاف رواته وألفاظه:

(١) شواهد التنزيل ٩٨/٢.

(٢) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٢٤١/٣.

(٣) كنز العمال ١٠٨/١٥ ط الثانية، حيدر آباد.

(٤) شفاء السقام، ص ٢٠٧ ط الأولى.

(٥) فضائل الصحابة، ورقة ٨٦ - ب (نسخة مصورة).

- ١- مسنـد أـحمد بن حـنـبل ٤٨٣/٣ ط مصر الأولى.
- ٢- الفضـائل لأـحمد بن حـنـبل (نسخـة مصـورـة).
- ٣- التـارـيخ الـكـبـير للـبـخـارـي ٣٠٦-٣٠٧/٦ ط مصر.
- ٤- المستـدرـك للـحاـكـم ١٢٢/٣ ط مصر.
- ٥- تـلـخـيـص المـسـتـدرـك للـذـهـبـي بـهـامـشـ السـابـقـ.
- ٦- مـجـمـعـ الزـوـائـدـ للـهـيـشـيـ ١٢٩/٩ ط القـدـسـيـ بـمـصـرـ.
- ٧- كـنـزـ الـعـمـالـ ٢٠٢/٢١ ، ١٢٥/١٥ ط حـيـدرـ آـبـادـ الثـانـيـةـ.
- ٨- مـنـتـخـبـ كـنـزـ الـعـمـالـ بـهـامـشـ مـسـنـدـ أـحمدـ ٣٠-٣٢/٥ ط مصر.
- ٩- الجـامـعـ الصـغـيرـ ٤٧٣/٢ ط مصر.
- ١٠- التـيسـيرـ شـرـحـ الجـامـعـ الصـغـيرـ ٣٨٣/٢ ط أـفـسـتـ بـولـاقـ.
- ١١- فـيـضـ الـقـدـيرـ شـرـحـ الجـامـعـ الصـغـيرـ ١٨/٦-١٩ ط مصر.
- ١٢- السـرـاجـ المـنـيرـ شـرـحـ الجـامـعـ الصـغـيرـ ٣١١/٣ ط الشرـفـيـ بـمـصـرـ سـنـةـ ١٣٠٤ـهـ.
- ١٣- الـفـتـحـ الـكـبـيرـ للـنـبـهـانـيـ ١٤٤/٣ ط مصر.
- ١٤- كـنـزـ الـحـقـائقـ الـلـمـنـاوـيـ، صـ ١٤٤ ط بـولـاقـ.
- ١٥- الـبـيـانـ وـالـتـعـرـيفـ لـابـنـ حـمـزةـ ٢٠٣/٢ ط حـلـبـ.
- ١٦- الـرـيـاضـ النـضـرـةـ لـلـمـحـبـ الطـبـرـيـ ١٦٦/١ ط الـخـانـجـيـ بـمـصـرـ.
- ١٧- ذـخـائـرـ الـعـقـبـيـ لـلـمـحـبـ الطـبـرـيـ، صـ ٦٥ ط القـدـسـيـ بـمـصـرـ.

- ١٨ - فرائد السمعطين ١/٢٩٨ ط بيروت.
- ١٩ - المناقب لابن المغازلي المالكي، ص ٢٥ ط إيران.
- ٢٠ - المناقب للخوارزمي الحنفي ٩٣-٩٢ ، ٢٢٩-٢٣٠ ط تبريز.
- ٢١ - تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي، ص ٤٩ ط النجف،
ص ٢٦ ط إيران حجرية.
- ٢٢ - الإصابة لابن حجر ٢/٥٣٤ ط مصطفى محمد.
- ٢٣ - الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٧/٣ ، ٤٦١/٢ ط حيدر آباد.
- ٢٤ - أسد الغابة ٤/١١٤ ط أفسط ط مصر.
- ٢٥ - تاريخ ابن كثير = البداية والنهاية ٥/١٠٤ ، ٧/٣٤٦.
- ٢٦ - تاريخ الإسلام للذهبي ٢/١٩٦ ط القدس بمصر.
- ٢٧ - تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١/٣٨٩-٣٩٣ ط بيروت.
- ٢٨ - تاريخ جرجان للسهمي، ص ٣٤١ ط حيدر آباد.
- ٢٩ - منتخب ذيل الذيل للطبرى الملحق بتاريخه ١١/٥٨٣ ط ذخائر
العرب.
- ٣٠ - المعرفة والتاريخ للفسوى ١/٣٣٠ ط الأوقاف ببغداد.
- ٣١ - موارد الظمان من زوائد ابن حبان، ص ٥٤٣ ط مصر.
- ٣٢ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكتاني ٢/٩٣ ط بيروت.
- ٣٣ - سمعط النجوم العوالى للعصامى المكى ٢/٤٨٠ ط السلفية.

٣٤. أنساب الأشراف للبلاذري ١٤٦/١ ترجمة الإمام.
٣٥. معجم الشعراء للمرزباني، ص ٢٣ ط مصر سنة ١٣٧٩هـ بتحقيق (فراج).
٣٦. الروض النضير للسياغي ١٧٠/١.
٣٧. كفاية الطالب للكنجي الشافعي، ص ٢٧٦ ط الثانية بالحيدرية.
٣٨. الكواكب الدرية للمناوي ٣٩/١ ط الأزهرية.
٣٩. جواهر المطالب للباعوني الشافعي (نسخة مصورة).
٤٠. الشرف المؤبد للنبهاني، ص ١٢٦ ط بيروت سنة ١٣٠٩هـ.
٤١. السيرة الدخلانية بهامش الخلبية ٣٣٢/٣ ط مصر.
٤٢. القول الفصل للحداد ١٥/٢ - ١٠ ط جاوة.
٤٣. ينابيع المودة، ص ١٨١ - ١٨٧ - ٢٠٥ ، ٢٨٢ ط إسلامبول.
٤٤. المحسن والمساوي للبيهقي، ص ١٤١ ط مصر.
٤٥. تاريخ الخلفاء للسيوطى، ص ١١٦ ط الميرية بمصر.
٤٦. الصواعق المحرقة، ص ٧٣ ط الميمنية.
٤٧. إسعاف الراغبين للصبان (بهامش نور الأ بصار)، ص ٦٥١ ط الميمنية.
٤٨. نور الأ بصار، ص ٧٢ ط الميمنية.
٤٩. نظم درر السلطين، ص ١٠٥ ط النجف.

٥٠. شفاء السقام للسبكي، ص ٢٠٧ ط حيدر آباد.
٥١. الأنوار الحمدية للنبهاني، ص ٦٣٤ ط بيروت سنة ١٣١٢هـ.
٥٢. الأنساب للسمعاني، ص ١٧٩ ط (زنکوغراف) أفت.
٥٣. حاشية على السراج المنير ٣١١/٣ ط الشرفية سنة ١٣٠٤هـ.
٥٤. المصنف لابن أبي شيبة ٧٥/١٢.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

لقد نزل القضاء فلبي النداء سيدنا الأستاذ الناظم رحمة الله تعالى بعد الظهر في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٤١٣هـ ، وأسلمت روحه المقدسة إلى بارئها آمنة مطمئنة ، وناعيها يتلو

قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً
فَادْخُلْ فِي عَبَادِي وَادْخُلْ جَنَّتِي ۝

وكان عمره الشريـف ٩٦ عاماً، قدس الله روحه ونور ضريحـه .

ولما أُخْبِرْتُ بِوفَاتِهِ بَادَرْتُ مُسْرِعاً أَدَاءً لِحَقِّ أَبُوَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ،
وَقَمَتْ بِمَا أَمْكَنَنِي الْقِيَامُ بِهِ، حَتَّى إِنِّي جَهَّزْتُهُ بِمَا أَعْدَدْتُهُ لِنَفْسِي
مِنَ الْكَفْنِ وَمِنْتَلْزِمَاتِهِ، وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ عَلَيْهِ دُعَاءَ الْجَوْشِنَ

الكبير كما ورد في بعض مستحباته.

تغمدَه الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنَّته، وألهمنا الصبر
بتخصيَّته، وإنَّ الله وإنَّا إليه راجعون.

- ٩- جابر بن سمرة، كما جاء في كفاية الطالب.
 - ١٠- جابر بن عبد الله، كما ورد في مناقب ابن المغازلي المالكي، ونزهه المجالس.
 - ١١- سنان بن شفاعة الأوسي، كما في أسد الغابة، والإصابة في ترجمته.
 - ١٢- أم سلمة، كما جاء في كنوز الحقائق، وفردوس الأخبار، ومقتل الحسين للخوارزمي وغيرها.
 - ١٣- أم أيمن، كما ورد في مناقب ابن المغازلي.
 - ١٤- أسماء بنت عميس، كما في خصائص النسائي.
- إلى غير هؤلاء، وسنذكر بانتقاء أحاديث بعضهم، ونخبل القارئ إلى مراجعة أحاديث الباقين على المصادر المشار إليها آنفًا.
- فمن تلك الأحاديث ما رواه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله عليه السلام: أتاني ملك فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملا الأعلى، فزوجها منه في الأرض... .
- أخرجه الحب الطبراني في ذخائر العقبى^(١).
- وئمه أحاديث أخرى عن الإمام عليه السلام، بنحو ذلك في مناقب الخوارزمي، وذخائر العقبى وغيرهما.

(١) ذخائر العقبى، ص ٣١، ٣٢.

زواج علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام

١٠٦- وزوج النور من النور النبي وزوجا قبلًا من الله العلي

١٠٧- وزوجت فاطمة خير النساء بحيدر خامس أصحاب الكسا

وأشار قدس سره إلى تزويج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، من فاطمة الزهراء عليها السلام، وذلك بأمر من الله تعالى.

وقد نصت بذلك الأحاديث عنه بالفاظ مختلفة ومعان متفقة، نحو قوله

الله تعالى: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي.

وقوله: إن الله تعالى أمرني أن أزوجكما على أربعينات مثقال فضة.

وقوله: إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة.

وقوله: ما أنا زوجتك بل الله زوجك.

ولعل أقربها إلى المتن منطوقاً ما ورد في حديث خباب بن الأرت: أن الله أوحى إلى جبريل: زوج النور من النور.

ونحو ما ورد في حديث أنس وفيه: قال الملك: بعثني الله أن أزوج النور بالنور... وسيأتي الحديث بتمامه.

والآحاديث بذلك كثيرة رواها كثير من الصحابة، منهم:

١- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، كما ورد في مناقب الخوارزمي، وذخائر العقبى وغيرها.

٢- عمر بن الخطاب، كما جاء في ذخائر العقبى.

٣- عبد الله بن عباس، كما في تاريخ بغداد، ومصنف عبد الرزاق، ومعجم الطبراني الكبير، وذخائر العقبى، ومناقب الخوارزمي وغيرها.

٤- عبد الله بن مسعود، كما ورد في تاريخ بغداد، وحلية الأولياء، ومعجم الطبراني الكبير، وكفاية الطالب، ومناقب الخوارزمي وغيرها.

٥- أنس بن مالك، كما جاء في معجم الطبراني الكبير، وصحیح ابن حبان، وجمع الزوائد، ومناقب ابن المغازلي، والرياض النصرة، والذخائر وغيرها.

٦- البراء بن عازب، كما في مناقب الحافظ السروي.

٧- بريدة بن الحصين، كما ورد في الإصابة، وأسد الغابة، وطبقات ابن سعد، ومعجم الطبراني الكبير، وجمع الزوائد، وذخائر العقبى وغيرها.

٨- بلال بن حمامة، كما في تاريخ بغداد، وأسد الغابة، وصواعق ابن حجر وغيرها.

ومنها: ما أخرجه الحموي في فرائد السمعطين^(١)، والديلمي في الفردوس^(٢)، والكتاني في تنزيه الشريعة^(٣)، والهمданى في مودة القربي في المودة الثالثة عشرة، والقندوزي في بنابيع المودة^(٤) وغيرهم، واللفظ للأول، أخرجه بسنده عن الإمام علي عليه السلام، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإن أوحى إلي أن أزوجك فاطمة على خمس الأرض وهي صداقها، فمن مشى على الأرض وهو لكم بغض فالارض حرام عليه أن يمشي عليها.

والى هذا الحديث أشار غير واحد من الشعراء، ومنهم سفيان بن مصعب العبدى، وهو معاصر للشاعر السيد الحميري، قال من قصيدة له:

كان الإله ولئها وأمينه جبريل خاطب
والمهر خمس الأرض موهبة تعالٰت في المواهِب
ونهابها من حمل طوبى طيّبت تلك المناهِب

وقال في أخرى:

وزوج في السماء بأمر ربِّي بفاطمة المذهبة الطهورِ
وصير مهرها خمساً بأرضِ لما تحويه من كرم وحورِ

(١) فرائد السمعطين ٩٥/١.

(٢) الفردوس بتأثر الخطاب ٤٠٩/٥.

(٣) تنزيه الشريعة ٤١١/١.

(٤) بنابيع المودة، ص ٢٦٤.

فَذَا خَيْرُ الرِّجَالِ وَتَلْكَ خَيْرُ النِّسَاءِ وَمَهْرُهَا خَيْرُ الْمَهْوَرِ

وله في ثلاثة:

وَزَوْجَهُ بِفَاطِمَةَ ذُو الْمَعَالِيِّ عَلَى الْإِرْغَامِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ
وَخَمْسُ الْأَرْضِ كَانَ لَهَا صِدَاقًا أَلَا لَهُ ذَلِكَ مِنْ صِدَاقِ

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ مَا أَخْرَجَ الْحَفَاظُ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ أَبْنَى مُسَعُودَ وَلَهُ عَدَةٌ
مَرْوِيَاتٌ، مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ الْخَطَّيْبُ فِي تَارِيْخِهِ، وَأَبُو نَعِيمَ فِي الْحَلِيَّةِ، وَالْطَّبَرَانِيُّ
فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، وَعَنْهُ الْبَيْشَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ بِلِفَظِ
الْطَّبَرَانِيِّ فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أَزُوْجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلَيِّ^(١).

وَأَخْرَجَهُ عَنْهُ الْبَيْشَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، وَقَالَ: رَوَاهُ الْطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ
ثَقَاتٌ^(٢).

ثُمَّ أَتَبَعَهُ بِمَحْدِيثٍ ثَانٍ عَنْ أَبْنَى مُسَعُودَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَحْدِثُكُمْ بِمَحْدِيثٍ
سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ أَزُلْ أَطْلَبُ
الشَّهَادَةَ لِلْحَدِيثِ فَلَمْ أَرْزُقْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ يَقُولُ وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَمَا أَمْرَنِي أَنْ أَزُوْجَ فَاطِمَةَ
مِنْ عَلَيِّ فَقَعَلْتُ قَالَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَنَى جَنَّةً مِنْ لَوْلَوَةٍ
قَصْبَ، بَيْنَ كُلِّ قَصْبَةٍ لَوْلَوَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ مَشَدَّرَةٌ بِالْذَّهَبِ، وَجَعَلَ

(١) المجمع الكبير للطبراني ١٥٦/١٠، ط. الثانية.

(٢) مجمع الزوائد ٢٠٤/٩.

سقوفها زبر جداً أخضر، وجعل فيها طاقات من لولو مكللة باليواقيت، ثم جعل عليها غرفان لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ولبنة من در، ولبنة من ياقوت، ولبنة من زبرجد، ثم جعل فيها عيوناً تبع في نواحيها، وحفت بالأنهار، وجعل على الأنهار قباباً من در قد شعبت بسلامل الذهب، وحفت بأنواع الشجر، وبنى في كل غصن قبة بالمسك والعنبر، وجعل في كل قبة حوراء، وللقبة مائة باب، على كل باب حارسان وشجرتان، في كل قبة مفرش وكتاب، مكتوب حول القباب آية الكرسي. قلت لجبرئيل: لمن بنى الله هذه الجنة؟ قال: بنها لفاطمة ابنتك وعلي بن أبي طالب سوى جنانهما، تحفة أتحفها وأقرّ عينك يا رسول الله... انتهى الحديث.

فعقب عليه البيهقي في المجمع بقوله: رواه الطبراني، وفيه عبد النور بن عبد الله المسمعي، وهو كذاب^(١).

أقول: يبدو أن مراده من روایة الطبراني له إنما هو في معجمه الكبير، بقرينة وجود سابقه فيه، وعطف اللاحق عليه، ولو كان في غيره، لأشار إلى ذلك، ولدى مراجعة المعجم الكبير في مستند عبد الله بن مسعود، لم أقف على هذا الحديث فيه، ويظهر سقوطه من النسخة المطبوعة، والموجود فيه هو الحديث الأول الذي علق المحقق عليه بقوله: أورده ابن الجوزي في الموضوعات مطولاً^(٢)... إلى آخر ما ذكره محاولاً تفنيداً الحديث، وهو من أوهامه. وجل من لا يسمو. فإن ابن الجوزي لم يورده أصلاً، وإن الذي

(١) مجمع الزوائد ٢٠٥/٩.

(٢) الموضوعات ٤١٥/١.

أورده هو الحديث الثاني، فذكر شطراً منه وعقب عليه بقوله : وذكر حدثاً طويلاً وضعه عبد النور... كذا في كتاب العقيلي. فقال العقيلي: وكان يضع الحديث.

ثم قال ابن الجوزي: قال المصنف: قلت: وقد رواه لنا محمد بن ناصر من حديث إسماعيل بن موسى التزاري... ثم ذكر بقية الحديث بأوسع مما مرّ ولم يعقب عليه بشيء، مما يشعر بعدم موافقته للعقيلي في تحريره، وسيأتي كلام له في كتابه المدهش والتبصرة ما هو منعش وفيه تبصرة.

ومهما يكن موقف ابن الجوزي والعقيلي ومنتبعهما من أمثال الذهبي وابن حجر والبيشمي وغيرهم من شغبوا في هذا الحديث، فليس ذلك بعجب ولا غريب، فإنه في فضل علي وفاطمة، وذلك مما تضيق به نفوس القوم، ولكن الأعجب من ذلك أن نجد تحرير العقيلي لعبد النور بقوله: (عبد النور من يغلو في الرفض)، كما حكاه عنه السيوطي في الثاني المصنوعة^(١)، وأين هذا من نقل ابن الجوزي عنه: (وكان يضع الحديث). ثم كيف تطور إلى أن صار كذاباً عند البيشمي في مجمع الزوائد.

وقد نقل الحديث غير من ذكرنا ولم يعقب عليه بشيء، راجع تنزيه الشريعة لابن عراق الكناني^(٢).

وإذا كان القوم غالوا على الطعن في الحديث من جهة عبد النور

(١) الثاني المصنوعة .٢٠٥/١.

(٢) تنزيه الشريعة .٤١٠/١.

لغلوٰه في الرفض كما عن العقيلي، أو لوضعه الحديث كما عن ابن الجوزي، أو لكتابه كما عن البيشعي، فما هو رأيهم في حديث ثالث هو عن ابن مسعود أيضاً، وليس في سنته عبد النور، بل سنته حسن عالٌ كما يقول مخرج الحافظ الكنجي الشافعي، فقد أخرج في كفاية الطالب بسنده الحسن العالٌ عن سفيان الثوري، عن إبراهيم عن علامة عن عبد الله بن مسعود، قال: أصحاب فاطمة صبيحة العرس رعدة، فقال لها النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: يا فاطمة إنما زوجتك سيداً في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لما أردت أن أملكك علياً أمر الله تعالى جبريل، فقام في السماء الرابعة فصنف الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم جبريل، فزوجك من علي، ثم أمر شجر الجنان فحملت الحلبي والخلل، ثم أمرها فتشرت على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذ أكثر مما أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به على صاحبه إلى يوم القيمة.

قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفتخر على النساء، لأن أول من خطب عليها جبريل.

قلت - والسائل هو الحافظ الكنجي الشافعي -: هذا الحديث حسن عالٌ رزقناه عالياً، رواه أبو علي بن شاذان في مشيخته الصغرى، وهو شيخ الأئمة، روى عنه الحفاظ كأبي بكر الخطيب والبيهقي. وفيه مناقب كثيرة لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

منها: أن الله عز وجل زوجه في السماء وكان هو وليه.

ومنها: أن جبرئيل خطب لعقد نكاحه.

ومنها: شهود الملائكة إملأكه.

ومنها: تخصيصه بثمار شجر الجنة على عرسه.

ومنها: شهادة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم له بالسيادة في الدنيا والآخرة.

ومنها: أنه في الآخرة لمن الصالحين ومع الصالحين، وهم الأنبياء والرسلون، وقد دعا الأنبياء والرسل بمثل ذلك كما أخبر الله عنهم بقوله عز وجل **«وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»**^(١).

أقول: وأخرج هذا الحديث الخطيب في تاريخه^(٢)، والنسائي في **الخصائص**، والحب الطبراني في **الذخائر**^(٣).

ولولا خوف الملالة والإطالة، لاستعرضت حال رجال الإسناد وحداً واحداً، لنرى هل فيهم من هو كعبد النور الذي أتهمه العقيلي بالغلو في الرفض، ثم ترقى به ابن الجوزي إلى وضعه الحديث، ثم طفح به كيل البشمي فقال: هو كذاب.

وما ينفعنا ذلك ما دام ابن الجوزي نفسه يورد الحديث في كتابه **الموضوعات** وكأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

(١) كفاية الطالب، ص ٣٠١ ط الثانية.

(٢) تاريخ بغداد ١٢٩/٤.

(٣) ذخائر العقبى، ص ٣٢.

ولكن قد مرّ بنا بعض الكلام عن ابن الجوزي وكتابه الموضوعات، فراجع ما قاله العلماء فيه وفي كتابه.

والآن يحسن بنا أن نقرأ بعض ما قاله ابن الجوزي في كتابه المدهش،

قال:

الفصل السادس والعشرون في تزويج علي بفاطمة عليها السلام...

كان للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بنات أفضلهن فاطمة، وزوجات سبقتهن عائشة^(١)، وذلك أن اختيار القدر لا يحابي في التساوي

(١) أليس من الغريب المدهش صنيع ابن الجوزي هذا في كتابه المدهش، فالقارئ يقرأ العنوان في تزويج علي بفاطمة عليها السلام والكلام المعنون يكون تبعاً للعنوان، أما دسّ وحشى الكلام في السياق فغير مقبول، كما في دسّ ذكر عائشة وسبقها بالفضل أزوج النبي عليهما السلام، ثم كيف يقول ابن الجوزي ذلك، وعائشة هي التي تروي تفضيل خديجة عليها حين عنكى عن غيرتها حينما يذكرها النبي عليهما السلام، فقد أخرج البخاري في صحيحه ٤٨٥ ط بولاق باب تزويج النبي عليهما السلام خديجة وفضلها... بسنته عن عائشة قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعنها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد. وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه ٣٦٧ ط بولاق في كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجودهن، بسنته عن عائشة أنها قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، لكنه ذكر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إياها وثنائه عليها، وقد أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يشرها بيت لها في =

(تسقى بماء واحد وتفضّل بعضها على بعض في الأكل).

لما نهض على خطبتها، طرق بأنامل رجائه أرجاء باب الخطبة، فمشى إليه الإذن على عجل العجل، فتقد صدق الرغبة قبل تقد الصداق، فقد العقد على درع، لينبه على جهاد الهوى، وجهّزت بالإجهاز على عدو الزهد، ولم يرض لها جهاز الدنيا، لموافقة البقعة التي هي منه، فحلّها رسول الله بخلية «فاطمة بضعة مني»، وعقد لها عقداً، خرزات نظامه «أن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»، وبعث بين يديها وصائف «غضوا أبصاركم»، ونصب لها سدّة «الا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة»، وأدخلها على الزوج في حلل الحالية، عليها قناع القناعة، تسعى في فضاء الفضائل، إلى خلوة الخلّة، حتى أجلست على منصة النص، فأمر الله تعالى ليلة عرسها شجر الجنان، فحملت حللاً وحلياً، فنشرته على الملائكة، وليس المراد بذلك الملك، ولكن ليعلم رضي الملك، يا عجباً ثُرث الحلل لأجل من فراشه جلد كبش، هلاً حلّت له فيها

= الجنة من قصب.

وأخرج أيضاً في صحيحه ٨/٨ ط بولاق كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان.. بسنته عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يزوجني بثلاث سنين، لما كان أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربّه أن يشرها ببيت في الجنة من قصب، وإنه كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلها منها. ونحو ذلك في صحيح مسلم وسنن الترمذى وسنن ابن ماجة ومسند أحمد وغيرها... فلما أتت السبق المزعوم؟!

حُلَّة، كلا... مركب الملك أحلى من أن يُحلَّى، فدخل عليها الرسول، فاستدعي بياناء من ماء، فدعا فيه بالبركة، ثم رشَّ على حبيبين بلا غش، فلما طاب لعلي ذلك الوقت، سأله الرسول سؤال سكران من شراب الوصول...: يا رسول الله أنا أحب إِلَيْكَ أم هي؟ ففصل الحاكم بين خصوم الحب، فقال: هي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا.

فلما جازت بما حازت قناطر الفضل، صين وجه الكمال، بخال الخلل في العيش، فأقوى على الأقوى قفر الفقر... فصيبح بفصيبح خطاب الشرع: يا علي قم لكسب قوت الوقت. فخرج يسعى على أرض الرضا بين أعلام الصبر، فبات يسقي إلى الفجر، بشيء من الشعير على وجه الأجر، فلما جاء به وأصلح للأكل، قام سائل على باب البذل فنادى: يا أهل نادي الندى والفضل، أطعمونا أطعمكم الله من الفضل. فثارت رياح الارتباط للإثارة، فأثارت سحاباً يقطر من قطرته قطرة جود الجود، فسال سيله بقدر وادي الود، فلما ترورت بماء أشجار الأنس صدحت على ورقها ورق القدس، وأغنى من غرائب صدح المدح «وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ»، ثم أخبر الحق عن مضمون القصد «إِنَّمَا يُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ»، فلو رأيت القوم يوم القيمة في ظل «فَوَّاقُهُمُ اللَّهُ» وقد اكتست أجساد وكتست بكسا الصنك نصارة العيش على حل الخفاض، واستراحت أيدٍ تفرق أيدها من طحن الرضا ونزع الدلو براحة «مُتَكَبِّينَ فِيهَا» هذا من حصاد بذر النذر، ولقد عجب العلماء من شرح هذا الأجر، واستظرفوا عدم ذكر الحور في

هذا الذكر، فبقوا متخيّرين في حير الأنس، غيرة عليها من ذكر الغير، وإنما أثر على الطفلين، لأنهما غصنان من شجرة (أبيت يطعمني ربي)، وبعضُّ من جملة (هي بضعة مني)، وفرخ البط سابع، وذكاة الجنين كذلك أمه^(١).
 فانظر أيها القارئ بعين الإنصاف، فهل تجد ثمّ اختلافاً أو خلافاً، بين ما أشار إليه ابن الجوزي في كلامه هذا وما تضمنه من آيات وأحاديث تتعلق بشأن الإمام والسيدة الزهراء وأبنائهما الكرام ومقامهم الكريم، وبين ما ورد في حديث ابن مسعود المذكور، بل باقي أحاديثه وحتى أحاديث غيره من الصحابة، مما أدرجه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات في باب ذكر تزويج فاطمة بعلي عليهما السلام^(٢)، أفالجع للقارئ أن يتساءل من ابن الجوزي ومن سار على وتيره المحتجّين بصنعيه: ما الذي أنكرت في حديث ابن مسعود حتى أدرجته وأمثاله في كتاب الموضوعات؟

أو ليس فيما أنشأته فيما تقدم من فصل، إلا اعترافاً منك بالفضل، وأن التزويج كان بأمر الله سبحانه، وكرامة للنبي ﷺ وتكريماً لعلي وفاطمة، أمر سبحانه بما يليق بكرمه وكرامة أوليائه، من ثار شجرة طوبى، وأمره الملائكة بالالتقاط والاتهاب، كما هو عادة الناس في ثار الأغراس...

ولعل القارئ يدهش لما مرّ عن كتاب المدهش، ولكن فليزدّد في ابن

(١) المدهش، ص ١٢٨ ط بغداد سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) الموضوعات ٤١٥ / ٤٢٣.

الجوزي خبرة وتبصرة حين يقرأ ما يلي في كتابه التبصرة، قال:

لما تبخرت جمال فاطمة في جلباب كمالها، حين شروع الشرع في وصف جلالها، نهض الصديق خاطبها في خطابه، فسكت الرسول عن جوابه، فنهض عمر نهوض الليث في غابه، فلم يجده فاشتد الجوى به، فلما نقل علي أقدامه لخطبتها وجد الوحي قد سبقه قدامه: (إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي)، فتزوجها في صفر وبنى بها في ذي الحجة...^(١) ولو أردت أن استقرئ ما في كتبه كتاباً بعد كتاب، لطال بنا المقام، وأريتكم منه العجاب في مجانته الصواب... فما هو الجواب منه عند الحساب؟!

ولنعد إلى انتقاء بعض أحاديث الصحابة في هذا الباب، فمن ذلك ما روی عن ابن عباس، وقد أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده عن ابن عباس قال: لما زفت فاطمة إلى علي كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قدامها، وجريئل عن يمينها، ومهكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك خلفها يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر^(٢).

ثم ذكر الخطيب تضييف أبي زرعة وأبي نعيم لابن رميح. أحد رجال السنن. وعقب على ذلك بقوله: والأمر عندنا بخلاف قول أبي زرعة وأبي نعيم، فإن ابن رميح كان ثقة ثبتاً لم يختلف شيوخنا الذين لقوه في

(١) التبصرة ٤٥٢/١.

(٢) تاريخ بغداد ٧/٥.

ذلك.

أقول: وقد أخرج الحديث غير الخطيب جماعة، منهم ابن حجر...
ولم يطع تحمله حتى عَقَبَ عليه بقوله: قلت هذا كذب صراحًا^(١)
وليته أبان عن وجه ذلك فصرَّحَ بما فيه من علة، أما أن يطلقها هذراً
فذلك منه هجر.

وما روي عن أنس فيما أخرجه ابن المغازلي المالكي في كتابه مناقب
أمير المؤمنين... يأسناده عنه، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: كنت ذات يوم في
المسجد أصلح إذ هبط عليّ ملك له عشرون رأساً، فوثبت لأقبل رأسه،
فقال: مه يا محمد، أنت أكرم على الله من أهل السماوات وأهل الأرضين
أجمعين. وقبل رأسه ويديه، فقلت: حبيبي جبرئيل ما هذه الصورة التي
لم تهبط عليّ في مثلها قط؟ قال: ما أنا بجبرئيل، ولكن أنا ملك يقال لي
(محمود) بين كفني مكتوب: (لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ)، بعثني الله
أزوج النور بالنور، قلت: ما النور؟ قال: فاطمة من علي^(٢).

وهذا جبرئيل وإسرافيل وإسماعيل صاحب السماء الدنيا وسبعون
ألف ملك من الملائكة قد حضروا، فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم:

(١) لسان الميزان ٢/٧٤.

(٢) لما كان الوحي الإلهي قد سمعَ عليًّا نوراً، وسُعِيَ فاطمة زوجته نوراً، فلماذا لا يسمُّي الوحي الأموي عثمان ذا التورين لأنَّه تزوج رقبة وأم كلثوم؟ ما دام النبي
يُبَثِّ الوالد واحداً، والأم واحدة وهي خديجة، وقد رضع الجميع من ثدي واحد.

يا علي قد زوجتك على ما زوجك الله من فوق سبع سماوات... ثم التفت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى محمود فقال: مذ كم كتب هذا بين كفيفك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام. وناوله جبرئيل قدحًا فيه خلوق من الجنة وقال: حببي مُرْ فاطمة أن تلطخ رأسها وبدنها من هذا الخلوق. فكانت فاطمة إذا حكت رأسها شمَّ أهل المدينة رائحة الخلوق^(١).

وما روي عن جابر بن سمرة ما أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي
بسنده عن جابر، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أيها الناس هذا علي بن أبي طالب أنت تزعمون أنني أنا زوجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إلى أشرف قريش فلم أجب، كل ذلك أتوقع الخبر من السماء، حتى جاءني جبرئيل عليه السلام، ليلة رابع وعشرين من شهر رمضان، فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في واد يقال له الأفيف تحت شجرة طوبى، فحملت الحلبي والحلل، والدر والياقوت ثم نثرته، وأمر الحور العين اجتمعن فلقطن، فهن يتهادينه إلى يوم القيمة، ويقلن: هذا من نثار فاطمة^(٢).

وما روي عن بلال بن حمامة ما أخرجه الخطيب في تاريخه^(٣)، وابن خالويه في كتاب الآل، وعنه بنيس في شرح همزية البوصيري، وابن الأثير

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن المازلي، ص ٣٤٥.

(٢) كتابة الطالب، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣) تاريخ بغداد ٤/٢١٠.

في أسد الغابة^(١)، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والخوارزمي في المثاقب، وابن حجر في الصواعق المحرقة^(٢)، والصفوري في نزهة المجالس^(٣)، والحضرمي في رشفة الصادي^(٤)، والهمداني في كتابه مودة القربى في المودة الثالثة عشرة، والقندوزي الحنفى في الينابيع بتفاوت يسير، واللفظ للثالث عن بلال، قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ذات يوم يضحك، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما أضحكك؟ قال: بشارة أتنى من الله عز وجل في أخي وابن عمي وابنتي، إن الله عز وجل لما أراد أن يزوج علياً من فاطمة رضي الله عنها أمر رضوان فهز شجرة طوبى فنثرت رقاقاً. يعني صكاكاً. بعد محبينا أهل البيت، ثم أنشأ من تحتها ملائكة من نور، فأخذ كل ملك رقاقاً، فإذا استوت القيمة غداً بأهلها ماجت الملائكة في الخلائق، فلا يلقون محباً لنا أهل البيت إلا أعطوه رقاً فيه براءة من النار.

قال ابن الأثير: أخرجه أبو موسى وقال: هذا حديث غريب لا طريق له سواه، وبلال هذا قيل هنا: هو بلال بن رياح المؤذن، وحمامة أمه نسب إليها.

أقول: هذا الحديث كفierre من أحاديث بقية الصحابة في هذا الباب،

(١) أسد الغابة ٢٠٦/١.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٠٣.

(٣) نزهة المجالس ٢٢٥/٢.

(٤) رشفة الصادي، ص ٢٨.

لا بد أن يكون غريباً ما دامت النفوس المرضى لا تهضمها ولا تسيفها، حتى ولو ورد بالف طريق، وأخرجه جميع أصحاب الصاحح والمسانيد والسنن، لأنه مما يتعلق بفضل علي، وعلى لا تحبه قريش. والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم ..، والقوم أبناء القوم.

وتلك الحقيقة المرة هي التي اعترف بها عثمان أمام علي حين قال له كما روى ذلك أبو نعيم في كتابه (معرفة الصحابة) بسنده عن ابن عباس، قال: قال عثمان لعلي رضي الله عنهما: ما ذنبي إن لم تحبك قريش وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيف الذهب!^(١)

وما نقرؤه عند بعضهم من ذكر بعض الفضائل للإمام، لا يكشف عن صدق ولاء ولا خالص محبة، فإن حب علي كما قال إبراهيم التخعمي: إن لم ينفع حب علي سرًا لم ينفع علانية^(٢).

ولنختم الكلام بما روي من خطبة النبي عليه السلام في تزويج ابنته الصديقة فاطمة، وأمره علياً أن يخطب بعده في ذلك.

أما خطبته هو عليه السلام فقد رواها أنس وغيره من الصحابة، وأخرجهها كثير من الحفاظ، أمثال يحيى بن معين في أمالية، وابن بطة العكبري الحنبلاني في الإبانة، كما حكاهما الحافظ السروي^(٣)، وأخرجهما أبو الخير

(١) معرفة الصحابة ٣٠١/١.

(٢) أنساب الأشراف ١٧٧/٢.

(٣) المناقب ١٠٧/٣ ط حجرية.

القزويني الحاكمي، وعنه الحب الطبرى في الذخائر، وأخرجها ابن حجر في لسان الميزان^(١)، والقسطلاني في المawahب اللدنية^(٢)، والزرقانى في شرح المawahب، والملا علي القارى في المرقاة^(٣)، وفي الحرز الشمين في شرح الحصن الحسين^(٤)، وأخرجها ابن حجر المكي في الصواعق^(٥)، وفي شرح شمائل الترمذى، وأخرجها الحب الطبرى في الرياض النضرة^(٦)، وذخائر العقبي^(٧)، وأخرجها الهمданى في مودة القرى، والقندوزي الحنفى في البناييع و... و... إلى آخر من أخرجها.

ولكن ابن الجوزي مع كثرة مخرجيه من أصحاب الفن والصناعة في الحديث، أوردها في كتابه الموضوعات، وتبعد من هملج على نعمه. وليس يضريرنا ذلك، إذ الشمس لا تخفي لإغماض الأحمق عينيه لإنكارها، وها نحن نوردها نقلأ عن ذخائر العقبي:

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ابنته فاطمة، فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: يا أبا

(١) لسان الميزان ٥/١٦٣.

(٢) المawahب اللدنية، ص ١١٨.

(٣) مرقاة المصايب ٥/٥٧٤.

(٤) الحرز الشمين، ص ٩٥ ط الهند.

(٥) الصواعق المحرقة، ص ٨٤ - ٨٥ - ٩٧.

(٦) الرياض النضرة ٢/١٤٥.

(٧) ذخائر العقبي، ص ٢٩ - ٣٠.

بكر لم ينزل القضاء بعد. ثم خطبها عمر مع عدّة من قريش، كلهم يقول له مثل قوله لأبي بكر، فقيل لعلي: لو خطبتك إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يزوجكها. قال: وكيف وقد خطبها أشراف قريش فلم يزوجها. قال: فخطبها، فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: قد أمرني ربّي عزّ وجل بذلك.

قال أنس: ثم دعاني النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بعد أيام فقال لي: يا أنس اخرج ادع لي أبا بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير، وبعدة من الأنصار. قال: فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده كلهم وأخذوا مجالسهم، وكان علي غائباً في حاجة للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحمد لله الحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، (المرغوب إليه فيما عنده)^(١)، المرهوب من عذابه وسطواته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم، إن الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً، أو شج بها الأرحام، وألزمها الأنام، فقال عز من قائل «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا»، فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر

(١) ما بين القوسين من مناقب الحافظ السروي.

أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنه ألم الكتاب. ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أنني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي بن أبي طالب.

ثم دعا بطبق من سر فوضعت بين أيدينا، ثم قال: انتهوا. فانتهينا، فيبينما نحن نتهب إذ دخل علي على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فتبسم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم في وجهه، ثم قال، إن الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذلك.

فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله.

قال أنس: فقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: جمع الله شملكم، وأسعد جدكم، وبارك عليكم، وأخرج منكم كثيرا طيبا.

قال أنس: فو الله لقد أخرج منها الكثير الطيب^(١).

ورحم الله الحافظ السروي حيث يقول :

سماء صلب المرتضى لفاطمٍ
عن اتسال الحسنين افطرت
كواكب فيها علينا انتشرت
وبانفطار نورها في أرضهم
إذ البحار منها آلينا
بالعلم والتأويل فيما افجرت
ما حالها إذا القبور بُعثرت
وعلّمت من اهتدى بهديها
فعلمت ما قدّمت في يومها
من كسبها بعدها وأخّرت

وأما خطبة الإمام في ذلك فقد رواها ابن مردويه في المناقب كما عن الحافظ السروي، والديار بكري في تاريخ الخميس^(١)، والمبред في كتاب الفاضل^(٢)، وهي برواية الآخرين:

وروي أنه لما هم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بتزويج فاطمة علياً رحمة الله أمر بجمع المهاجرين والأنصار، ثم قال لعلي عليهما السلام: تكلم خطيباً لنفسك. فقال:

الحمد لله حمداً شكرأ لأنعمه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على نبيه صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح ما أمر الله تعالى به ورضيه، واجتمعنا بما قدّر الله وأذن فيه، وهذا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه [وآله وسلم] قد زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت، فاسأله وواشهدوا.

ومن طلب المزيد من أحاديث تزويج الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام فليرجع إلى المصادر التالية، وهي غيض من فيض:

- 1- المعجم الكبير للطبراني ١٥٦/١٠ ط الثانية الموصل.
- 2- مجمع الزوائد ٤/٢٨٢، ٥٢٠/٥، ٨٣/٩، ٢٠٤، ٢٠٩ ط مصر.
- 3- كنز العمال ١٢/٢٠١، ٢٠٥ ط حيدر آباد الثانية.
- 4- جواجم الجامع للسيوطى ٤٧١٠، ٤٧٢٢ نقاً عن موسوعة أطراف

(١) تاريخ الخميس ١/٣٦٢.

(٢) الفاضل، ص ١٧.

الحديث.

- ٥- منتخب كنز العمال بهامش مستند لأحمد ٥/٣٠-٣١، ٩٩.
- ٦- حلية الأولياء ٥٩/٥ ط مصر.
- ٧- صفوة الصفوة لابن الجوزي ٤/٢-٣ ط حيدر آباد.
- ٨- الإصابة ٢/٨١، ٣٤/١٣٤، ٣٦٥-٣٧٤ ط الاستقامة.
- ٩- أسد الغابة ١/٢٠٦، ٥/٥٢٠ أفسنت الطبعة الأولى.
- ١٠- تاريخ بغداد ٤/١٢٨-١٢٩، ١٤/٣٦٣، ٥/٧ ط مصر.
- ١١- الرياضة النصرة ٢/١٨٤-١٨٠ ط مصر.
- ١٢- ذخائر العقبي، ص ٢٩-٣٤ ط مصر.
- ١٣- نظم درر السبطين، ص ١٨٣-١٨٥ ط النجف.
- ١٤- فرائد السبطين ١/٨٨-٩٥ ط بيروت.
- ١٥- المناقب لابن المغازلي، ص ٣٤١-٣٥٠ ط إيران.
- ١٦- المناقب للخوارزمي، ص ١٩٩، ٢٣٤ ط حجرية.
- ١٧- مقتل الحسين للخوارزمي ١/٦٥ ط النجف.
- ١٨- فردوس الأخبار ٣/٤١٨ ط بيروت.
- ١٩- كنوز الحقائق، ص ٢٤ ط سنة ١٣٠٠ هـ مصر.
- ٢٠- الجامع الصغير للسيوطى ١/١٧٠ ط بولاق.
- ٢١- فيض القدير ٢/٢١٥ ط مصر.

- ٢٢ - التيسير ١/٢٤٧ ط المكتب الإسلامي.
 - ٢٣ - السراج المنير للعزizi ١/٣٦٧ ط مصر.
 - ٢٤ - حاشية الحفني على السراج المنير بهامش ١/٣٦٧.
 - ٢٥ - ينابيع المودة، ص ١٧٥، ١٧٧، ٢٣٧، ٢٥٠ ط إسلامبول سنة ١٣٠٢هـ.
 - ٢٦ - أمالی الهاروني، ص ٥٢ ط بيروت.
 - ٢٧ - الأوائل لأبي هلال العسكري، ص ٥٢ ط مصر.
 - ٢٨ - الفاضل للمبرد، ص ١٧ ط بيروت.
 - ٢٩ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٤٦ - ١٤٧ ط حجرية.
 - ٣٠ - سبط النجوم العوالى ٢/٤٨٨ ط السلفية.
 - ٣١ - السيرة الخلبية ٢/٢٠٦ - ٢٠٥ ط البهية سنة ١٣٢٠هـ.
 - ٣٢ - السيرة الدحلانية بهامش الخلبية ٢/٨ - ٩.
 - ٣٣ - الصواعق المحرقة، ص ٨٤ - ٨٥، ٩٦ - ٩٧، ١٠٣، ١١٦.
 - ٣٤ - الموضوعات لابن الجوزي ١/٤١٨ - ٤١٥ ط مصر.
 - ٣٥ - المدهش لابن الجوزي، ص ١٢٢٨ - ١٣٠ ط بغداد ١٣٤٥هـ.
 - ٣٦ - التبصرة لابن الجوزي ١/٤٥٢ ط مصر عيسى البابي الحلبي.
 - ٣٧ - ميزان الاعتدال للذهبي ١/١٤٥ ط الهند، ١/٣٦١ ط مصر
- محفظة.

- ٣٨ - لسان الميزان ٢/٧٤، ٣٨٢، ١٦٣/٥، ٩/٦، ١٢٥ ط حيدر آباد.
- ٣٩ - المواهب اللدنية للقسطلاني ٤/٢ ط الأزهرية.
- ٤٠ - شرح المواهب للزرقاني ٦ - ٥/٢ ط الأزهرية.
- ٤١ - الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل للمجير الخلبي ١٩٤/١ ط الحيدرية.
- ٤٢ - البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني ١٧٤/١ ، ٣٠١/٢ ط حلب.
- ٤٣ - مشارق أنوار اليقين للحمزاوي، ص ٨٥ - ٨٦ ط المشرق بمصر ١٣٥٦هـ.
- ٤٤ - نور الأ بصار للشبلنجي، ص ٤٢ ط العammerة بمصر.
- ٤٥ - نزهة المجالس للصفوري ٢٢٤/٢ ط مصر.
- ٤٦ - رشفة الصادي للحضرمي، ص ٧ - ١٠ ط مصر.
- ٤٧ - الأشراف لابن سويدة التكريتي (عن نهاية الطالب، ص ٢٩٩).
- ٤٨ - جالية الكدر شرح منظومة البرزنخي للأبياري، ص ١٩٤.
- ٤٩ - شرح قصيدة الصاحب بن عباد للقاضي البهلوبي، ص ٧٨.
- ٥٠ - جواهر العقدين للسمهودي ١/ق ٣٨٢/٢ ط بغداد.
- ٥١ - تنزيه الشريعة لابن عراق الكناني ١/٤١١.
- ٥٢ - أعلام النساء لعمر رضا كحالة (ترجمة السيدة فاطمة).
- ٥٣ - الأنوار الحمدية للتبهاني، ص ٧٠ ط الأدبية بيروت.

- ٥٤- الخصائص للنسائي، ص ٣١ ط التقدم بمصر.
- ٥٥- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ٢٤٦/٣ المكتب الإسلامي.
- ٥٦- مصابيح السنة للبغوي، ص ٢٠٥.
- ٥٧- فضائل الإمام لأحمد بن حنبل (نسخة مصورة).
- ٥٨- فضائل فاطمة لابن شاهين (نسخة مخطوطة).
- ٥٩- جواهر المطالب للباعوني (نسخة مخطوطة).
- ٦٠- الشغور الباسمة للسيوطى (نسخة مخطوطة).
- ٦١- لسان العرب (أبر)، (دجل)، (شبر)، (شمت)، (زف)، (عذف).
- ٦٢- تاج العروس (أبر)، (دجل)، (شبر).
- ٦٣- نهاية اللغة (أبر)، (شبر)، (شمت)، (زف).
- ٦٤- الفائق للزمخشري (حطم).
- ٦٥- السنن الكبرى للبيهقي ٢٣٤/٧ ط أفسط حيدر آباد.
- ٦٦- عمل اليوم والليلة لابن السنى، ص ١٦٣ ط حيدر آباد.
- ٦٧- مستند أحمد ١٠٨/١ ط مصر الأولى.
- ٦٨- مستدرك الحاكم ١٨٥/٢ ، ١٥٧/٣.
- ٦٩- تلخيص المستدرك للذهبي ١٥٧/٣.
- ٧٠- سنن ابن ماجة ٥٣٨/٢ ط مكتبة مصر.

- ٧١- الترغيب والترهيب للمنذري ١٤٣/٣ ط مصر.
- ٧٢- ذخائر المواريث للنابلي ٣٠-١٦/٣ ط المقدسي.
- ٧٣- جمع الفوائد للروذاني، ص ٥٨١ ط مكتبة الطالب الجامعي.
- ٧٤- الشرف المؤبد للنهاني، ص ٦١-٦٢ ط الأدبية بيروت ١٣٠٩هـ.
- ٧٥- علل الحديث لابن أبي حاتم ٤١٣/١ ط السلفية.
- ٧٦- شرح عين العلم وزين الحلم للهروي، ص ٢٣٨ ط المنيرية.
- ٧٧- الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي، ص ٢١ ط الأدبية بمصر.
- ٧٨- الروض الفائق لأبي مدين، ص ٢١٧ ط مصر.
- ٧٩- المرقاة للقاري ٥٧٤/٥.
- ٨٠- المصنف لعبد الرزاق ٤٩٠-٤٨٥/٥ ط المجلس العلمي.
- ٨١- طبقات ابن سعد (ترجمة السيدة فاطمة).
- ٨٢- تاريخ الخميس للديار بكري ٣٦٢/١ ط مصر.
- ٨٣- أخبار الدول للقرماني، ص ٤٢، ٨٨ ط بغداد (حجرية).
- ٨٤- البداية والنهاية لابن كثير ٣٤١/٧.
- ٨٥- تحذير الخواص للسيوطى، ص ٥٢ ط مصر.
- ٨٦- الذرية الطاهرة للدولابي ورقة ٣٧ (بها مش جواهر العقددين ج/٢ ١٨٤).
- ٨٧- الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (نقلًا عن جواهر العقددين

ج ١ / ق ٢ / ١٨٣ .

- ٨٨ - الفوائد لسموته (نقاً عن جواهر العقددين ج ١ / ق ٢ / ١٨٣) .
- ٨٩ - مسند الروياني (نقاً عن جواهر العقددين ج ١ / ق ٢ / ١٨٣) .
- ٩٠ - الأضداد لابن الأباري ، ص ٢٧٩ ط الكويت .
- ٩١ - كشف الغمة للشعراني ٩٦/٢ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
- ٩٢ - الكامل لابن عدي ١٧٢٥/٥ .
- ٩٣ - محاضرات الأدباء للراغب ١٠٤/٢ ط مصر الأولى .
- ٩٤ - الاستيعاب بهامش الإصابة (ترجمة السيدة فاطمة) ط مصر .
- ٩٥ - المطالب العالية لابن حجر ٦١/٤ ط الكويت .
- ٩٦ - جامع الأصول لابن الأثير ٤٧٤/٩ ط السنة الحمدية .
- ٩٧ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، ص ٥٤٩ ط السلفية .
- ٩٨ - مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعي ، ص ٩ ط حجرية ١٢٨٧هـ .
- ٩٩ - الدرر اليتيمة للمرغني (نسخة مصورة) .
- ١٠٠ - المصنف لابن أبي شيبة ٧٥/١٢ ط باكستان .
- ١٠١ - الثغور الباسمة للميرغني (نسخة مصورة) .

فريدة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بنت أبي جهل

فذلك الفضل الذي قد اشتهر أظهرَ غلاً فأشيع في السير
من قاله السوء لدابة الإفك قد افتروا كذباً بغير شك
أن علياً لسوى الزهر رأخطبْ
لا تجتمع بنتي ومن أرادها علىْ
وروجوها كذبة لا تنطلي
وإنما كادوا بذلك سيدَ العربْ
وأي فضلٍ يبتغيه المرتضى
لولاه ما كفرو أتى لفاطمة
 وأشار الناظم وفقة الله⁽¹⁾ إلى ما أثاره زواج الإمام أمير المؤمنين بسيدة

(1) هذا النظم ليس لسيدهنا الأستاذ قدس سره، بل هو لشارح هذه الأرجوزة، رأى =

نساء العالمين ^{عليها السلام} في نفوس الحاذقين الحاسدين من غيظ وضفن، فكادوا ومكروا، وما كيدهم إلا في ضلال، وما مكرهم إلا في تباب.

فقد أشاعوا أن علياً خطب ابنة أبي جهل - عدو الله ورسوله - وبلغ ذلك السيدة فاطمة ^{عليها السلام} فغاضها ذلك، حتى خرجت مغاضبة من بيتها ومعها حسن وحسين وأم كلثوم، فدخلت حجرة النبي ^{صلوات الله عليه}، فلما جاء النبي ورأها قالت له: يزعم قومك أنك لا تغصب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فخرج وصعد المنبر وخطب فقال: «إن فاطمة بضعة مني يربيني ما رأبها، ويؤذني ما آذها، وأنا أخوف أن تفتن في دينها». ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصايرته إياه، وقال: حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، واني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ^{صلوات الله عليه} وبنات عدو الله أبداً، وإن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم...»

هذا هو ما افتراء قاله السوء، وحيث إن هذه الفرية لا تثبت سندأ ولا متنأ، ولو أردنا كشف حال جميع ما ورد في ذلك من أحاديث في مختلف المصادر لاحتاجنا إلى تأليف خاص به ولسنا بصدده، وبكفي أن أشير إلى مصدر واحد يُعد من أقدم المصادر الحديثية، وذلك هو كتاب المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، فقد أورد الحديث أربع

= إلهاقه بالمنظومة، وقد عرض على المفترور له في حياته، فرأاه وارتاه، فرأيت مناسبة إلهاقه في المقام، نسأل الله أن يتقبل منا هذا البسيء، ومنه ذلك الكثير.

مرات لم يخل واحد منها عن إعظام وإرسال مع وجود المغروجين في رجال الأسانيد.

أما بقية المصادر التي ذكرت الحديث مسندًا إلى الصحابة أو مرسلاً عن التابعين فهي:

- ١- صحيح البخاري وسيأتي ذكر موارده.
- ٢- صحيح مسلم، باب فضائل فاطمة في أربعة أحاديث ستة إشارة إليها.
- ٣- سنن الترمذى في كتاب المناقب، فضل فاطمة في حديثين.
- ٤- سنن ابن ماجة في كتاب النكاح، باب الغيرة في حديثين.
- ٥- سنن أبي داود في كتاب النكاح، في ثلاثة أحاديث.
- ٦- مستدرك الحاكم ١٠٨/٣ في ثلاثة أحاديث.
- ٧- المصنف لابن أبي شيبة ١٢٨/١٢ حديث واحد رواه بسنده عن عامر الشعبي.
- ٨- مسند أحمد ٤/٣٢٦ - ٣٢٨ في أحاديث المسور بأربعة أسانيد، وفي ٤/٥ في حديث عبد الله بن الزبير حديث واحد.
- ٩- فضائل الصحابة لأحمد ٢/٧٥٤ في ثمانية أحاديث.
- ١٠- مجمع الزوائد ٩/٢٠٣ نقلًا عن الطبراني في الثلاثة وعن البزار باختصار عن ابن عباس، وقال: وفيه عبيد الله بن عامر وهو ضعيف.

١١- كنز العمال ٦٧٧/١٣ نقلًا عن عبد الرزاق في حديثين، وفي ١٥٨/١٤ حديث موضوع على لسان علي يعترف فيه بخطبته لابنة أبي جهل، وسيأتي ذكره.

١٢- المطالب العالية لابن حجر ٦٧/٤.

١٣- ابن شاهين في فضائل فاطمة.

وربما يوجد غير ذلك من المصادر الثانوية، فلا حاجة بنا إلى التقصي عنها. لكن المهم معرفة حال الرواة الذين تنتهي إليهم أسانيد الحديث في جميع تلكم المصادر.

لذا كان لزاماً تسلیط الضوء على رجال الإسناد من الصحابة والتابعين فقط، ثم بيان المؤخذات على ما جاء في المتن.

أما رجال الإسناد من الصحابة فتنتهي إلى ثلاثة، كلهم من المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وهم :

أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن الزبير، والمسور بن خرمة كما يروى عن ابن عباس وسيأتي بيانه.

أقول: أمر عظيم كهذا يغضب النبي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حتى يتصعد المنبر وينخطب الناس تتوفر الدواعي على نقله، ثم لا ينقله إلا هؤلاء الثلاثة من الصحابة لدليل على وضع الحديث، ويكتفي كشف حال هؤلاء الثلاثة عن البحث في بقية من هم دونهم من التابعين من روى عنهم أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، وفيهم من لا تلتقي بذمه الشفتان، ولا يؤبه به في الميزان، لما فيه

من حسيكة، أمثال الزهري، وابن أبي مليكة لما سندكره عنهم، وعروة بن الزبير، وعامر الشعبي، وحالهم كمن سبق، ويأتي ذكر محمد بن الحنفية، وعلى بن الحسين، وسويد بن غفلة مضافاً إلى التابعين.

أما حال الصحابة الثلاثة فهو :

أولاً: أبو هريرة الدوسي: ذكر الإسکافي كما في شرح النهج المعتزلي الحنفي أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرثي في مثله، فاختلقو ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير...

ثم قال بعد كلام طويل: وأما أبو هريرة فروى عنه الحديث، معناه أن علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله عليه السلام، فأمسكوه فخطب على المنبر وقال: لاها الله لا تجتمع ابنة ولد الله وابنة عدو الله أبي جهل، إن فاطمة بضعة مني، يؤذني ما يؤذيها، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد. أو كلاماً هذا معناه. والحديث مشهور من رواية الكرايسبي.

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا الحديث أيضاً مخرجاً في صحبيه مسلم والبخاري عن المسور بن خرمة الزهري، وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى (تنزيه الأنبياء والأئمة)، وذكر أنه رواية حسين الكرايسبي وأنه مشهور بالنحراف عن أهل البيت عليهما السلام...

أقول: ولنعد إلى أبي هريرة، ولنقرأ عنه ما يثبت انحرافه عن الإمام عليه السلام مضافاً إلى كذبه الشائع الدائع على النبي صلوات الله عليه وسلم، حتى لقد ذكر ابن عساكر في تاريخه، والسيوطى في جمع الجماع كما في ترتيبه كنز العمال، وابن أبي الحديد في شرح النهج وغيرهم ضرب عمر له بالدرة، وقال: قد أكثرت من الرواية، وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وأكذبه غير واحد من الصحابة، فقال فيه الإمام عليه السلام: ألا إن أكذب الناس أو قال أكذب الأحياء على رسول الله صلوات الله عليه وسلم أبو هريرة الدوسى (كما عن الإسكافى في شرح النهج).

فأبو هريرة وحديثه إن صحَّ عنه فهو كبفية أحاديثه التي رواها ولم يكن حاضراً فيها زمان صدورها، وقد مررت الإشارة إلى نماذج من ذلك كحديث تبليغ براءة، وحديث التقلين، وحديث الغدير وغيرها مما زعم سمعها وهو لم يكن وقتها حاضراً، بل كان بالبحرين.

ثم إن الرجل لو لم يكن إلا اعزاله للإمام عليه السلام، أيام خلافته، وضلوعه في ركاب معاوية لإشباع نهمته، لكنه ذلك في ردّ روايته، كيف لا وهو الذي ضرب على صلعته في مسجد الكوفة حين جاء مع معاوية في حاشيته، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على رسول الله وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول: لكل نبي حرم،

وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور^(١)، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها...

فلما بلغ معاوية قوله، أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة^(٢).

قال الثقفي في كتابه الغارات: لما دخل معاوية الكوفة دخل أبو هريرة المسجد، فكان يحدّث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وقال أبو القاسم، وقال خليلي! فجاءه شاب من الأنصار يتخطّى الناس حتى دنا منه، فقال: يا أبو هريرة حديث أسألك عنه، فإن كنت سمعته من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فحدثنيه، أنسدك بالله سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...

قال أبو هريرة: نعم والذى لا إله إلا هو لسمعته^(٣) من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال

(١) وهذا من بنيات كذبه، فغير ثور اسم جليل، أحدثها بالمدينة وهو عير، وثانيهما بحكة وهو ثور، فكيف يحدد ما بينهما ويجعله حرماً للمدينة؟ وإنما الصحيح: ما بين عير إلى عير، وهو لا ينتمي إلى المدينة جبلان من جانبيها.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحميد المترizi ٣٥٩/١ ط الأولى.

(٣) أقول: لقد كذب حتى في حلفه هذا، لأن الحديث هو حديث الغدير، وكان في حجة الوداع، ولم يكن أبو هريرة حاضراً، إذ كان بالبحرين منذ شهر ذي القعدة سنة ٨ من الهجرة، وحتى سنة عشرين حين استقدمه عمر في خلافته للشهادة على قدامة بن مظعون لشربه الخمر، فكل ما يرويه من أحاديث نبوية وأحداث حجازية مما زعم فيه عنصر المشاهدة والسماع في تلك المدة فهو كاذب وإن أقسم ألف يمين.

من والاه، وعاد من عاداه... فقال له الفتى: لقد والله واليت عدوه، وعاديت وليه. فتناول بعض الناس الشاب بالخصى، وخرج أبو هريرة فلم يعد إلى المسجد حتى خرج من الكوفة^(١).

أقول: روى ذلك أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف^(٢)، والسمعاني في فضائل الصحابة، وابن عساكر في تاريخه^(٣)، إلا أنه لم يذكر الزمان والمكان، مما أسدل غشاء الإيهام على حديثه، وكذلك رواه ابن كثير في السيرة النبوية^(٤)، وصنع كما صنع ابن عساكر من إهمال ذكر المكان والزمان، نقلأً عن الحافظ أبي يعلى الموصلي وعن ابن جرير في الكتاب الذي جمع فيه طرق حديث الغدير وألفاظه، ولا غرابة في صنع ابن كثير، فهو أيضاً شامي.

وأظن أنما فعلا ذلك رعاية لصحبة أبي هريرة، ولا غضاضة فابن عساكر شامي شافعي، وكذلك ابن كثير، ولو كانا كوفيين حفظاً لاستثناء من جماعة الصحابة المعدلين كما صنع أبو حنيفة، فقد استثناء واستثنى أنساً وأخرين من عدالة الصحابة^(٥).

(١) الغارات، ص ٥٦٨.

(٢) المصنف ٦٨/١٢.

(٣) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٧٢/٢.

(٤) السيرة النبوية ٤٢٥/٤.

(٥) راجع سؤال أبي يوسف له في ذلك في شرح النهج للمعتزلي الحنفي ٣٦٠/١ ط الأولى، شرح صحيح مسلم للنحووي ج ٤.

فهذا أبو هريرة - الرواية . كيف يصدق في حديثه عن خطبة الإمام لابنة أبي جهل وهو يواли عدوه ويعادي ولئه على حد قول الشاب الأنصاري .

ثانياً: عبد الله بن الزبير: وادعاته للإمام أظهر من أن تحتاج إلى بيان، بل بلغ في نصبه الغاية حتى إنه ترك الصلاة على النبي ﷺ أيام قيامه بمكة، فعيب عليه ذلك، وأنكر فعله المسلمين فقال: إن له أهيل سوء، إذا ذكرته أشرأبْتْ أعناقهم^(١) .

وفي رواية: إن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره^(٢) . ولئن قيل عن المسور: (إنه كان مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى) كما سيأتي، فإننا نقول عن ابن الزبير: لقد كان مقبلاً ومدبراً في حرب الجمل مع خالته عائشة، وكان هو الذي زين لها مسیرها إلى البصرة^(٣) .

وهو الذي أتى إليها بأربعين شاهد زور شهدوا حين نجحتها كلام الحوائب وأرادت الرجوع لتحذير النبي ﷺ لها من ذلك، لكن ابن الزبير

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣٥٨/١ ط الأولى: روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير: أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النبي ﷺ وقال: لا يعنني من ذكره إلا تشمّخ رجال بآنافها.

(٢) نفس المصدر.

(٣) شرح النهج ٣٦٣/١.

جاءها بالشهود، فشهدوا أن ذلك المكان ليس هو الحواب، فكانت أول شهادة زور في الإسلام.

وهو الذي غير أباه بالجن حين عزم على الرجوع عن محاربة الإمام بعد تذكير الإمام له بقول النبي ﷺ: بأنك ستقاتلهم وأنت له ظالم. فرجم فتلقاء ابنه عبد الله فغيره مستثيراً له على حرب الإمام، ويكفيانا قول الإمام فيه: ما زال الزبير منا حتى شبَّ ابنه عبد الله.

الذى كان يمقد على الإمام لقتله عم أبيه نوفل بن خويلد
الذى كان يقال له أسد قريش وأسد الطيبين؟ وقتل الإمام له هو قول عامة
الرواة كما يقول ابن حزم في الجمهرة^(١).

أليس هو الذي حبس ابن عباس وابن الحفية ومن معهما من أهلهما في سجن عارم، وأمهلهم إلى الجمعة، إن لم يساعوا أحرقهم وسط الشعب، وجعل الخطب على بايه، ففاجأه أبو عبد الله الجدلي الذي أرسله المختار في جماعة، فدخلوا المسجد الحرام مكبّرين وعليهم السلاح، فخرج ابن الزبير طالباً لنفسه النجاة، وذهب الجدلي ومن معه فأخرجوا بني هاشم من سجن عارم.

أهل هذا البيت منذ أربعين سنة⁽³⁾ : وهو القائل لابن عباس وكان يبلغه تأنيه وذمه: إني لأكم بغضكم

(١) الجمهرة، ص ١٢٠.

٢) شرح نهج البلاغة ٣٥٨/١

قال ابن أبي الحميد المعتزلي في شرح النهج: وكان سبباً فاحشاً،
يغضببني هاشم، ويلعن ويسبّ علي بن أبي طالب عليهما السلام^(١).

فمن كان هذا حاله ومقاله وفعاليه كيف يصدق في حديثه خطبة علي
لابنة أبي جهل، فيما أخرجه عنه الترمذى في سنته، قال: حدثنا أحمد بن
منيع، أخبرنا إسماعيل بن عليّة عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن
الزبير أن علياً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه [وآله]
وسلم فقال: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها وينصبني ما أنصبها.

ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، هكذا قال أيوب عن
ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد: عن ابن أبي مليكة عن
المسور بن مخرمة، ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنهم جميعاً^(٢).

وأخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك، فقال: حدثنا بكر بن محمد
الصيرفي، ثنا موسى بن سهل بن كثير، ثنا إسماعيل بن عليّة... ثم ساق
السند والحديث كما مرّ عن الترمذى، وقال: هذا حديث صحيح على
شرط الشيختين، ولم يخرجاه^(٣).

والذى يلفت النظر في المقام أن الذهبى أحمل هذا الحديث في
تلخيصه المطبوع بذيل المستدرك، وظني أن إهماله كان عن عمد لا عن

سهو.

(١) نفس المصدر ٣٦٣/١.

(٢) سنن الترمذى ٦٩٩/٥ نشر المكتبة الإسلامية. تحفة الأحوذى ٣٧١/١٠.

(٣) المستدرك ١٥٩/٣

ومهما يكن فسند الحديث غير نقلي، ويكتفى روایته عن ابن أبي مليكة، وهو مؤذن ابن الزبير وقاضيه، وقد مرّ بنا حال ابن الزبير وعداوه لأهل البيت، ويبدو لي أن ابن الزبير كان بارعاً. إن صحّ الحديث عنه. فلم يذكر له ما يحاقق عليه من زعم حضور أو سمع، مع أن سنه عند وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسالم كانت تسع سنين، فكان أكبر من المسور بسنة.. الذي زعم أنه سمع النبي صلوات الله عليه وآله وسالم يخطب وهو يومئذ محتمل، مع أن عمره كان يومئذ ثمانين سنين!!

والآن فلنطوي صفحة ابن الزبير، ولنقرأ المسور فيما قاله عنه مترجموه، ثم ننظر في حديثه ...

ثالثاً: المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري: أما أبوه فكان من مسلمة الفتح، ومن المؤلفة قلوبهم، ومن الدرجة الدنيا منهم، فقد ذكر ابن هشام في سيرته نقلاً عن ابن إسحاق أسماء من أعطاهم النبي صلوات الله عليه وآله وسالم مائة من الإبل، وعدّ منهم أبا سفيان وابنه معاوية وآخرين، ثم قال: وأعطى دون المائة رجالات من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري وسمى آخرين ...

وأخيراً هو الذي قال عنه صلوات الله عليه وآله وسالم فيما روت له عائشة: (بئس أخو العشيرة)، وذلك حين استأذن، فلما دخل بشّ به، فلما خرج قالت له عائشة في ذلك، فقال: يا عائشة أعهدتني فحاشاً إن شر الناس من يُتّقى شرّه^(١).

وأما أمّه فهي عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف.

وأما عن مولده فقالوا بعد الهجرة بستين بحثة، وقدم المدينة مع أبيه بعد الفتح سنة ثمان وهو غلام أبيع ابن ست سنين، وعده ابن الأثير وابن عبد البر وابن حجر في كتبهم في الصحابة منهم، إلا أن ابن قتيبة قال في المعرف: وكان يعدل بالصحابة وليس منهم^(١).

وأما عن سلوكه فقالوا: لم ينزل مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقلباً ومديراً في أمر الشورى، وكان مع عثمان في الدار إلى أن قتل فانحدر إلى مكة، ولم ينزل بها موالياً معاوية حتى قال عروة بن الزبير: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلّى عليه^(٢).

وذكروا أنه كره بيعة يزيد بن معاوية، ولعل ذلك لما قال ابن قتيبة في المعرف: وكان المسور قال: إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر. فبلغه ذلك فكتب إلى أمير المدينة فجلده الحد، فقال المسور:

أيشربها صرفاً يفك ختامها أبو خالد ويجلد الحد مسور^(٣)

وفي ترجمته في الاستيعاب نقل ابن عبد البر عن مالك بن أنس أنه قال: بلغني أن المسور بن مخربة دخل على مروان فجلس معه وحادثه،

(١) المعرف، ص ٤٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٦٣/٣.

(٣) المعرف، ص ٤٢٩. وفي عجز البيت زحاف ظاهر، ويرتفع بتقديم الحد على (ويجلد) فيكون هكذا: أبو خالد والحد يجلد مسور.

فقال المسور لمروان في شيء سمعه: بنس ما قلت. فركضه مروان برجله، فخرج المسور...

وأما عن فضله فقال ابن عبد البر وغيره: وكان المسور لفضله ودينه وحسن رأيه تغشاه الخوارج، تعظمه وتتحل رأيه، وقد برأه الله منهم!! وأما عن موته فقالوا: كان مع ابن الزبير، فلما حاصر الحصين بن غنم مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق أصابه حجر فشجّه، ثم مات بعد خمسة أيام.

هذه هوّيّة الرجل نسباً وحسباً وديناً وسلوكاً.. فأبواه من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم من الدرجة الثانية. إن صاح التعبير. وبعد هو بنس أخو العشيرة، ثم هو بعد من شر الناس إذ يتقدى بِالْكَلْمَةِ شرّه.. وأمه أخت عبد لرحمٰن بن عوف فهو خاله، وقالوا: (الختال أحد الضجيعين) كافية عن تأثير طباع الأخوال في أبناء الأخت إذ هم يتزعون إليهم بعرق، ثم هو صهـره فقد كانت عنده جويرية بنت عبد الرحمن بن عوف^(١).

هذا ما لمسناه في سلوكية المسور حيث قالوا: كان مع خاله عبد الرحمن ابن عوف ولم يزل مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى، و موقف ابن عوف فيها معلوم، حتى عناه الإمام بقوله في خطبته الشقشيقية: وما لـ الآخر لصهـره.

فإن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أخت عثمان من أمه كانت تحـت ابن عوف^(٢)، وقال له: والله ما ولـيت عثمان إلا لـيرد

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري، ص ٢٦٩.

(٢) شرح النهج ٦٣/١.

الأمر إليك^(١).

وما يزيدنا وضوحاً في عثمانيته أنه لم يباع الإمام بعد مقتل عثمان، وخرج من المدينة إلى مكة، ثم هو الذي كان يصلي على معاوية إذا ذكره كما مر ذلك عن عروة بن الزبير.

وأخيراً دخل مع ابن الزبير في أمره، وانتقل الخوارج رأيه حيث استقطبوه، وإن قال ابن عبد البر وابن حجر وغيرهما: (وقد برأه الله منهم)، ولستنا بحاجة إلى مناقشتهم في ذلك، فمن أين علموا بتلك البراءة والله لم يوح إلى أحد بعد نبيه؟؟ فلا تزال دعواهم تحتاج إلى إثبات، على أن مصعب الزبيري - صاحب كتاب نسب قريش - ذكر ذلك ولم يزعم ما قالوه في براءته، وهو أقدم منها زماناً، وأعرف بحال المسور.

وللتنظر إلى حديث المسور في الفريدة المزعومة، وهو حديث أخرجه عنه البخاري ومسلم والترمذى وأحمد وغيرهم، ولن نستقصى جميع مصادره، بل سنكتفي بما أخرجه البخاري في صحيحه وقد نشير إلى ما ورد عند غيره، وذلك لأن صحيحه عند المغالين به أصح كتاب بعد كتاب الله فيما يزعمون!.. ولأنه ذكر حديث المسور في خمسة أبواب مقطعاً أو صاله عن عمد، حتى يخيل للناظر أنه ذكر خمسة أحاديث مختلفة الألفاظ، ولكن الباحث الناقد يدرك أن اختلاف الصورة لا يغير الحقيقة، وهذا ما أربك كثيراً من شرّاح الصحيح، فحاولوا جهدهم توجيه ما فيها

(١) تاريخ ابن الأثير ٣٠/٣ ط بولاق.

من تناقض وتهافت، ولم يوقفوا في سعيهم الحديث، في دفع ما يرد على الحديث، بل شوّشوا أذهان قرائهم، ولم يجنوا غير مضيعة الوقت في عرض آرائهم تبعاً لأهوايهم.

ولو أنهم صنعوا صنع ابن قتيبة لجنبوا أنفسهم كثيراً من النقد والرد، فابن قتيبة في معارفه كان أوعى منهم حين قال عن المسور: (وكان يعدل بالصحابة وليس منهم)، ثم قال: وقد روى قوم عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: لو أنبني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن.

فهو حين ينفي صحابية المسور، ينفي عنه عاصمية الصحبة، سواء قُرئت جملة (وكان يعدل) بالتفخيف أو التشديد، ثم يفرض القوم في زعم روایته عن النبي عليه السلام أنه سمعه يقول... وهو يدلّنا على عدم قناعته بصحبة المسور كما كشف عن قيمة روایته عنده، وما اقتضابه لحديثه إلا مؤشر على ذلك.

ثم ما يعنيه بقوله: (لو أنبني هشام) الخ، فهل يدل على حدوث الخطبة أو إرادتها، وهذا ما ستفرأ الجواب عنه في الكلام على حديث المسور عند البخاري في صوره الآتية:

١- أخرج البخاري في صحيحه في كتاب فرض الخمس باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعته

وآتته مما يتبرّك أصحابه وغيرهم بعد وفاته.

قال: حدثنا سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي أن الوليد بن كثير حدثه عن محمد بن عمرو بن طلحة الذي حدثه، أن ابن شهاب حدثه، أن علي بن الحسين حدثه، أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية [بعد] مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه، لقيه المسور بن خرمة فقال له: هل لك إلى من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا. فقال: فهل أنت معطى سيف رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فإنني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتني لا يخلص إليه أبداً حتى تبلغ نفسي، إن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة بضعة مني، وأنا أخوف أن تفتن في دينها. ثم ذكر صهراً له منبني عبد شمس فأثنى عليه مصايرته إياه، قال: حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإنني لست أحرّم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وبنت عدو الله أبداً^(١).

٢- وأخرج في صحيحه أيضاً في المناقب، باب مناقب قرابة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري ٨٣/٤ ط بولاق. صحيح مسلم ٣٢٦/٤، باب مناقب فاطمة. مسند أحمد ٣٢٦/٤ ط مصر الأولى. سنن أبي داود ٢٢٥/٢. سير أعلام النبلاء ٢٦٣/٣. المعجم الكبير للطبراني ١٩/٢٠، وغيرها.

[وآله] وسلم، وقال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

قال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني^(١).

٣ - وأخرج أيضاً في المناقب في باب ذكر أصهار النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، منهم أبو العاص بن الربيع (ولم يذكر في الباب حديثاً غير الآتي) قال:

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: حدثني علي بن حسين أن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإنني أكره أن يسواها، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة^(٢).

(١) صحيح البخاري ٢١/٥ ط بولاق.

(٢) صحيح البخاري ٢٢/٥ ط بولاق. صحيح مسلم ٤/١٩٠٣. سنن ابن ماجة ١/٦٤٤. مسند أحمد ٤/٣٢٦. صحيح ابن حبان ١٥/٤٠٨.

وزاد محمد بن عمرو بن طلحة عن ابن شهاب عن علي عن مسور: سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاہرته إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي.

٤- وأخرج أيضاً في كتاب النكاح في باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف (ولم يورد في الباب حديثاً غير الآتي)، قال: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول وهو على المنبر: إنبني هشام بن المغيرة استأذنا في أن ينكحوا ابنتهما علي بن أبي طالب فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنته وينكح ابنتهما، فإنما هي بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذني ما آذها^(١).

٥- وأخرج أيضاً في كتاب الطلاق، باب الشقاق، وهل يشير بالخلع عند الضرورة، قوله تعالى «وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا» الآية، (ولم يورد في الباب غير الحديث الآتي، فلاحظ)، قال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة الزهري، قال: سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إن بني المغيرة استأذنا في أن ينكح علي ابنتهما فلا آذن^(٢).

(١) صحيح البخاري ٣٧/٧ ط بولاق. مستند أحمد ٤/٣٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٤٧/٧ ط بولاق.

هذه هي الأحاديث التي ذكرها مستندة في خمسة أبواب، وكأنه لم يكفيه ذلك حتى أشار معلقاً في أول باب كتبية المشرك فقال: وقال مسور: سمعت النبي صلى الله عليه [والله] وسلم يقول: إلا أن يريد ابن أبي طالب...

وفي فتح الباري قال: هذا طرف من حديث تقدم موصولاً في باب فرض الخمس^(١).

والآن وقد انتهينا من كشف هوية الثلاثة: أبي هريرة، وابن الزبير، والمسور بن مخرمة، نختتم أولاً: الحديث عنهم بقوله عليه السلام: والذي نفسي بيده لا يغضنا رجل إلا أدخله الله النار^(٢).

وثانياً: قبل أن نعود إلى مناقشة متن الحديث، نبه القارئ بحال بعض أعلام الرواية في السند كابن عيينة الذي رُمي بالاختلاط، كما ذكره الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي في رسالته (الاعتbat بمن رمي بالاختلاط)^(٣)، وكالزهري الذي كان من المنحرفين عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يعمل لبني أمية، وقد تجنب حديثه غير واحد لذلك، حتى إن

(١) فتح الباري ٢١٣/١٣

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في زوائد نور الدين البيشمي موارد الظلمان، ص ٥٥٥ ط مصر بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، والحاكم في المستدرك ١٥٠/٣، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم ينجزاه. وأخرجه النهبي في تلخيصه بهامش المستدرك ولم يعلق عليه بشيء.

(٣) الاعتbat بمن رمي بالاختلاط، ص ١٢ ط حجل ١٣٥٠هـ.

ابن عساكر أخرج في تاریخه بسنده عن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال: كنت عند الزهری أسمع منه، فإذا عجوز قد وقفت عليه، فقالت: يا جعفري لا تكتب عنه، فإنه مال إلىبني أمیة وأخذ جوازهم. فقلت: من هذه؟ قال: أختي رقیة خرفت. قالت: بل خرفت أنت، كممت فضائل آل محمد، وقد حدثني محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد الله، قال: أخذ رسول الله صلی الله علیه [وآلہ] وسلم بيد علی فقال: من كنت مولاه فعلي مولاہ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وانخذل من خذله.

قالت: وحدثني محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلی الله علیه [وآلہ] وسلم: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله^(١).

وبلغ إنكار الصالحين عليه أن كتب إليه بعضهم كتاباً فيه تقریع وتوبیخ، جاء فيه: واعلم أن أیسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم، وسهّلت سبیل الغی بدونك إلى من لم يؤد حقاً، ولم يترك باطلًا حين أدناك، اخندوك قطباً تدور عليه رحی ظلمهم، وجسراً يعبرون عليه إلى بلائهم ومعاصيهم، وسلمًا يصعدون فيه إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشک على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء...

(١) تاریخ دمشق (ترجمة الإمام) ٦٥/٢

وجاء في آخره: فَدَأْوِ دِينَكَ فَقَدْ دَخَلَ سَقْمَ، وَهِيَ زَادَكَ فَقَدْ حَضَرَ
سَفَرَ بَعِيدٍ «وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاوَاتِ»^(١)، وَالسَّلَامُ^(٢).

فمن الغريب العجيب أن يروي الزهري هذا الحديث عن علي بن حسين، ثم يزعم أنه حدثه عن المسور بذلك كما مر في الصورة الأولى عن البخاري.

وإذا عرفنا أن علي بن حسين الذي ذكره بصيغة التكثير هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين الذي روى أبو هلال العسكري في كتابه بسنده، قال: بلغ علي بن الحسين رضي الله عنهما أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري يتناولان علياً ويعثثان به، فأرسل إلى عروة فقال: أما أنت فقد كان ينبغي أن يكون نكوصك أبيك يوم الجمل وفرازه ما يمحنك عن ذكر أمير المؤمنين، والله لئن كان علي على باطل لقد رجع أبوك عنه، ولئن كان على حق لقد فرّ أبوك منه.

وأرسل إلى ابن شهاب فقال: وأما أنت يا ابن شهاب فما أراك

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٨.

(٢) ذكر الكتاب بطوله الغزالي في الإحياء ١٤٣/٢، وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٢٤/٤، والمناوي في فيض القدير ٤٠٧/٢، وهو ملخص الكشف الإلهي ١٢٢/١، وكلهم لم يصرّحوا باسم الكاتب، لكن الحسن بن شعبة الحراني صرّح في كتابه تحف العقول، ص ١٩٨ باسمه، وأنه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عَلِيٌّ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، كما أنه ذكر الكتاب أطول مما ذكره الآخرون، فراجع.

تدعني حتى أعرفك موضع كير^(١) أبيك^(٢).

فمن كان هذا حاله مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كيف يصدق في زعمه أن علي بن حسين حدثه عن المسور... وهو الذي قرّعه ووبخه، لا بل حتى غيره بماضي أبيه الوضيع!!

ثم ما بال علي بن حسين يحدث الزهري وهو يعرف عداوته لجده بحديث - إن صحيحاً - فهو انتقاد لجده؟

وما بال الزهري وهو الذي روى عن عدّة من الصحابة، منهم أنس، وسهل بن سعد، وحتى عن ابن عمر الذي ذكروا في ترجمته أنه روى عنه ثلاثة أحاديث، ما باله يروي هذا الحديث عن علي بن حسين - كما يسميه - وهو من التابعين، ولا يرويه عن المسور الصحابي الذي هو يرويه، وهو قد أدركه، وكان أشد لصوقاً به من علي بن حسين نسبياً وسبياً فكلامها زهري، ولأن أباء المسور كانوا معاً من أصحاب ابن الزبير، وإلى ذلك أشار عبد الملك بن مروان حين اتصل به الزهري فاستتبه فنسب نفسه، فقال عن أبيه: إن كان أبوك لعمّاراً في الفتن^(٣).

ولقد كان عمر الزهري عند وفاة المسور فوق عمر المسور حين سمع

(١) الكبير بالكسر: زق يفتح فيه الحداد. راجع شرح النهج ٣٥٩/١ ط الأولى ففيه قريب ما ذكر أبو هلال من تعبير الإمام لابن شهاب الزهري.

(٢) الصناعتين، ص ١٣ ط سنة ١٣٢٠ هـ.

(٣) ترجمة الزهري من تاريخ دمشق، ص ١٣ بعنابة شكر الله قوجانى ط مؤسسة الرسالة.

ال الحديث المزعوم، فقد مرَّ أنه قال كاذبًا: سمع الحديث وهو يومئذ محتلماً! وال الصحيح أنه كان ابن ثمان سنين، بينما كان عمر الزهرى عند وفاة المسور ثلاثة عشرة سنة.

وهكذا سؤال بعد سؤال يوضح ما في الإسناد من خلل، مضافاً إلى ما في المتن من علل، ويقى بلا جواب.

ولنترك حال الرجال وما فيهم من مقال وإشكال، ولنعد إلى متن الحديث لتبيّن فيه مواطن العلل، ولنقرأه ثانياً حسب وروده في كتاب البخاري. الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله عند المغالين فيه. ولا نخاسبه على تقطيع أو صالحه إلى خمسة أحاديث، ولا على حشر بعضها تحت عناوين لا تمت إليها بصلة، ولا... ولا... فتحن والحديث الأول عنده فنقرأ فيه:

أولاً: قول المسور لعلي بن حسين - كما في الحديث - هل لك إلى من حاجة تأمرني بها؟ فقال: لا.

فهل لنا أن نسأل المسور أي حاجة تلك التي يمكن له أن يقضيها غير ما يتعلّق بالسلطة الأموية والتي كان بعد لا يزال ظالعاً معها، لأن زمان السؤال قد حدّده علي بن حسين حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية (بعد) مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه، لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك... الخ.

ونحن إذا نظرنا إلى طبيعة الحال في ذلك الوقت نجد أن مقام الإمام

ـ علي بن حسين!ـ أسمى وأرفع مما كان عليه المسور، فإن ما أظهره يزيد من التوصل من تلك الجريمة التي لا تغفر حتى لعن ابن زياد، وقال: لعن الله ابن مرجانة... بما استعظموه من قتلي الحسين، مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه^(١).

قال ابن الأثير: ودعا علياً ليودعه وقال له: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، يا بني كاتبني حاجة تكون لك.

وذكر ابن الأثير وغيره أن يزيد بن معاوية لما وجه مسلم بن عقبة المريـ وهو الذي سُمِّي مسرفاـ إلى المدينة المنورة لمقاتلة أهلها حين خلعوا بيته، قال له: فإذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثة، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكف عن الناس، وانظر على بن الحسين فاكف عنده واستوص به خيراً، فإنه لم يدخل مع الناس، وإنه قد أتاني كتابه.

قال ابن الأثير: وقد كان مروان بن الحكم كَلَم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يغيب أهله عنده فلم يفعل، فكلَم علي بن الحسين فقال: إن لي حرماً وحرمي يكون مع حرملك. فقال: أفعل. فبعث بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه إلى علي بن

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ٤/٣٩ ط بولاق.

الحسين، فخرج علي بحرمه وحرم مروان إلى ينبع، وقيل: بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله بن علي إلى الطائف^(١).

وجاء في إرشاد المفید: إن مسرف بن عقبة لما قدم المدينة أرسل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فأتاه، فلما صار إليه قربه وأكرمه وقال له: أوصاني أمير المؤمنين ببريك وتعييزك من غيرك... الخ^(٢).

فمما تقدم تبین أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، كان أرفع مكانة وأجل قدرًا وأقوى موقعًا لدى الحاكمين من المسور بن مخرمة، الذي رفته مروان برجله كما مر، وجلدوه الحد كما تقدم، فهو أذل من أن يتمكن من قضاء حاجة لأحد عند الأمويين.

وثانيًا: لنقرأ قول المسور لعلي بن الحسين: فهل أنت مُعطيٌ سيف رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. ونحن لا نناقشه في أمر السيف وكيفية وصوله إلى علي بن الحسين، وهو من مواريث النبوة... وهذا عنده وقومه بنا في القول بعدم ميراث الأنبياء، ولكن هل لنا أن نسأل المسور: من هم القوم الذين يخشى أن يغلبوا علي بن الحسين على سيف جده غيربني أمية، وإذا كانوا هم فهل كان ذلك قبل واقعة الحرة أو بعدها؟
فإن كان قبلها فالإمام علي بن الحسين كان أعزّ منه منعة، وهم كانوا

(١) المصدر السابق ٤٩٤.

(٢) الإرشاد، ص ٢٧٦.

أذل وأضعف جنداً، خصوصاً بعد أن أخرج الأمويون وأتباعهم من المدينة، حتى إن مروان استودع الإمام عياله كما مرّ.

وإن كان بعدها فالإمام هو الوحيد الذي لم يتعرّض له بسوء بوصية من يزيد وقد مر ذلك أيضاً، فأي حال تلك التي كان المسور يخشاها على الإمام أن يُغلب فيها على سيف جده؟

ولو لم يكن ثمة تحديد زمني في الحديث حيث ورد أن المسور لقي علي بن الحسين عليهما السلام، (حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية [بعد] مقتل الحسين بن علي رحمة الله عليه) ^(١).

أقول: لو لم يكن ذلك التحديد لاحتمنا أن المسور قال ذلك بعد أن بلغه طلب عبد الملك بن مروان من الإمام علي بن الحسين ذلك السيف يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدّه وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليهما السلام: أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ خَوَانِ كُفُورٍ» ^(٢) فانظر أينما أولى بهذه الآية ^(٣).

وفي جواب الإمام علي بن الحسين هذا ما يقطع جهيزه كل متنطع لتصويب عرض المسور بن مخرمة، فهو لم يخش عبد الملك بن مروان ولا

(١) راجع ذلك في الصورة الأولى من أحاديث البخاري.

(٢) سورة الحج، الآية ٣٨.

(٣) المناقب لابن شهراشوب ٣٠٢/٣ ط النجف. بحار الأنوار ٩٥/٤٦ نقلأ عن المحسن للبرقي.

سلطته، وهو هو في عته وجبروته.

وثالثاً: لنرى ثلاثة الأثافي، وتلك هي فرية المسور في قوله: إن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ينطرب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتمل فقال: إن فاطمة بضعة مني... الخ.

ألا مسائل: ما هو الربط في هذه الرواية بين قصة طلبه السيف وبين قصة الخطبة المزعومة؟

والجواب هو ما أربك شرّاح صحيح البخاري فصالوا وجالوا،
ليوافقوا بين القصتين فلم يوفقوا.

وللطرافة نقل للقارئ بعض ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري حيث قال: وقال الكرماني: مناسبة ذكر المسور لقصة خطبة بنت أبي جهل عند طلبه للسيف من جهة أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يحتزز عما يوجب التكدير بين الأقرباء، أي فكذلك ينبغي أن تعطيني السييف حتى لا يحصل بينك وبين أقربائك كدورة بسيبه، أو كما أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يراعي جانببني عمه العشرين فأنت أيضاً راع جانببني عمك النوفليين، لأن المسور نوفي^(١).

أقول: هكذا قال، وال الصحيح أن المسور زهري لا نوفي.

ثم قال: أو كما أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يحب

رفاهية خاطر فاطمة عليها السلام فأنا أيضاً أحب رفاهية خاطرك لكونك ابن ابنتها، فاعطني السيف حتى أحفظه لك.

قلت . والقائل هو ابن حجر : وهذا الأخير هو المعتمد، وما قبله ظاهر التكليف، وسأذكر إشكالاً يتعلق بذلك في كتاب المناقب إن شاء الله تعالى .

أقول : وما ذكره في كتاب المناقب ليس إلا تعليقه على الحديث الثاني في شرح قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم : « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ». فقال : وهو طرف من صفة خطبة علي ابنة أبي جهل ، وسيأتي مطولاً في ترجمة أبي العاص بن الربيع قريباً . وهذا ليس فيه أي إشكال .

وأما ما ذكره في كتاب المناقب أيضاً في ترجمة أبي العاص بن الربيع وهو الحديث الثالث كما مرّ، فقد قال : وإنما خطب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ليشيع الحكم المذكور بين الناس ويأخذوا به ، إنما على سبيل الإيجاب ، وإنما على سبيل الأولوية ، وغفل الشريف المرتضى عن هذه النكتة فرعم أن هذا الحديث موضوع ، لأنه من روایة المسور وكان فيه انحراف عن علي ، وجاء من روایة ابن الزبير وهو أشد من ذلك ، ورد كلامه بآليات أصحاب الصحيح على تخريجه ! انتهى ما عند ابن حجر وهو خلاصة ما سطر ^(١) .

ألا على العقول العفا إن كان هذا الردّ الباهت يصلح لردّ قول
الشريف المرتضى، وكم في تلکم الكتب من أخبار موضوعة وقد نقدوها
سندًاً ودلالة، وابن حجر نفسه في مقدمة شرحه التي سماها (هدي
الساري) ذكر شواهد كثيرة لا يسع المقام ذكرها فلتراجع.

ثم كانَ ما أورده أصحابُ الصحيح أَنْزَلَ من اللوح المحفوظ الذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو أَنْصَفَ ابن حجر نفسه قبل
إنصافه الشريف المرتضى فلم يذكر رده الذي هو غاية ما عنده، لكانَ به
أولى وعليه أبقى.

ثم إنَّه أطَالَ الْكَلَامُ فِي الْاِخْتِلَافِ فِي اسْمِ الْمَخْطُوبَةِ مِنْ بَنَاتِ أَبِي
جَهْلٍ، كَمَا أطَالَ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ: (حَدَّثَنِي فَضَدْقَنِي)، وَلَمْ يَأْتِ بِطَائِلٍ.
وَرَابعًاً: نَعُودُ إِلَى قَوْلِ الْمَسْوُرِ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلٌ.
وَهَذَا مِنْ أَكَادِيَّهُ الَّتِي أَرْبَكَتْ شَرَائِحَ الصَّحِيحِ أَيْضًاً فَقَالُوا وَقَالُوا،
وَالى الْقَارئِ بَعْضُ مَا قَالُوا:

قال ابن سيد الناس: هذا غلط، والصواب ما وقع عند الإسماعيلي
بلغظ كالمحتلم !!

قال: والممسور لم يحتمل في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ،
لأنه ولد بعد ابن الزبير، فيكون عمره عند وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ]
وَسَلَّمَ ثمان سنين...

ثم قال ابن حجر: قلت: كذا جزم به وفيه نظر، فإن الصحيح أن ابن الزبير ولد في السنة الأولى، فيكون عمره عند الوفاة النبوية تسع سنين، فيجوز أن يكون احتمل في أول سني الإمكان! أو يحتمل قوله: (محتمل) على المبالغة والمراد التشبيه، فلتلائم الرواياتان، وإنما ابن ثمان سنين لا يقال له محتمل ولا كمحتمل، إلا أن يريد بالتشبيه أنه كان كمحتمل في الحذق والفهم والحفظ، والله أعلم^(١).

فانظر بربك إلى هذا التمحل الفاسد، في توجيه كلام المسور المعاند،
فهل تجد له في كلام أبناء آدم من شاهد؟

هذا ما يتعلّق بأول حديث رواه البخاري، أما حديثه الثاني فليس فيه ما يستدعي المناقشة والوقوف عنده، وإنما هو جزء من الحديث الأول.
وأما الحديث الثالث وفيه قال المسور: إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبي جهل.

أقول: ومن قول فاطمة عليها السلام لأبيها يظهر أن الأذى كان قد لحق ببنات النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قبلها من أزواجهنَّ فلم يغضب لهنَّ، حتى ذكرت له زعم قومه أنه لا يغضب لبناته مستثيرة فيه غيرته وحميَّته وشفقته.

وإذا صحَّ زعم المسور في ذلك فالنقد يتوجه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم عدا أبي العاص الذي خصَّه البخاري بالعنوان وذكره المسور في حديثه، فلا يبقى إذنُ سُوی عثمان الذي كانت عنده أم كلثوم ورقية وما تنا عنده، وإليه يتوجه النقد، فهل شعر المسور بذلك؟ وهل يقبله وهو الذي كان مع عثمان كما مرَّ؟ ولعل من أجل هذا أعرض شرَّاح الصحيح عن شرح هذه الجملة من حديثه، خصوصاً الحافظ ابن حجر الذي تخطَّى ذلك إلى شرح جملة (وهذا علي ناكح بنت أبي جهل)، فقال: وفي رواية الطبراني عن أبي زرعة عن أبي اليمان (وهذا علي ناكحاً) بالنصب، وكذا عند مسلم من هذا الوجه. أطلقت عليه اسم ناكح مجازاً باعتبار ما كان قصد يفعل... وانختلف في اسم ابنة أبي جهل... فاستعرض الأقوال في اسمها، ولا يعنينا تحقيق ذلك كثيراً الآن...

إلى أن قال في شرح قوله: (حدثني فصدقني) لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب، وكذلك علي، فإن لم يكن كذلك فهو محمول على أن علياً نسي ذلك الشرط، فلذلك أقدم على الخطبة، أو لم يقع عليه شرط، إذ لم يصرَّ بالشرط، لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر، فلذلك وقعت المعايبة، وكان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قد أواجه أحداً بما يعاب به، ولعله إنما جهر بمعايبة علي مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم غيرها، وكانت أصبيت بعد أمها

بأخوتها، فكان إدخال الغيرة عليهما مما يزيد حزنها.

هذا ما قاله أشهر شرّاح الصحيح إن لم يكن أعلمهم، فاقرأ ذلك
واحكم عليه بما تقتضيه شريعة الإنصاف دون اعتساف.

ولنعد إلى فقرات الحديث لنقارن بينها وبين ما مرّ عنه في الحديث
الأول في تحقيق النص الذي سمعه من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم،
فسنجد بينهما من التفاوت ما يدعو إلى الريبة في الأمر، حتى في الصحيح،
لاتفاق سند الحديثين من الزهري إلى المسور، وإنما ذكر البخاري الحديث
الأول عن محمد بن عمرو بن طلحة عن الزهري، والحديث الثاني ذكره
عن شعيب عن الزهري، ثم قال: وزاد محمد بن عمرو بن طلحة... الخ،
فذكر بعضاً من تلك الزيادة خصوصاً جملة: (وإني لست أحرم حلالاً،
ولا أحلل حراماً)، فراجع الحديث وقارن بينهما بدقة، لترى مدى التفاوت
متناً مع اتحاد السند، وأنه لأمر مريب!

وأما الحديث الرابع فنلاحظ عليه:

أولاً: غرابة العنوان الذي جعله البخاري للباب الذي أورد الحديث
فيه ولم يورد فيه غيره، فراجع.

ثانياً: أنه ذكره بسنته عن الليث عن ابن أبي مليكة عن المسور، بينما
أخرجه الترمذى عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير،
وذكر الاختلاف فيه، ثم قال: يحتمل أن يكون ابن أبي مليكة حمله عنهما
جميعاً.

قال الحافظ ابن حجر بعد ترجيحه رواية الليث عن ابن أبي مليكة، لكونه توبع من رواية عمرو بن دينار وغيره، ولكون الحديث قد جاء عن المسور من غير رواية ابن أبي مليكة، فقد تقدم في فرض الخامس^(١) وفي المناقب^(٢) من طريق الزهري عن علي بن الحسين بن علي عن المسور، وزاد فيه في الخامس قصة سيف النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وذلك سبب تحدث المسور لعلي بن الحسين بهذا الحديث، وقد ذكرت . والكلام لابن حجر . ما يتعلّق بقصة السيف عنه هناك.

ولا أزال أتعجب من المسور كيف بالغ في تعصّبه لعلي بن الحسين حتى قال: إنه لو أودع عنده السيف لما مكّن أحداً منه حتى تزهق روحه رعاية لكونه ابن ابن فاطمة محتاجاً بحديث الباب، ولم يراع خاطره في أن ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على علي بن الحسين، لما فيه من إيهام الغضّ من جده علي بن أبي طالب، حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة، حتى اقتضى أن يقع من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم في ذلك من الإنكار ما وقع !!

بل أتعجب من المسور تعجباً آخر غير ذلك، وهو أن يبذل نفسه دون السيف رعاية لخاطر ولد ابن فاطمة، وما بذل نفسه دون ابن فاطمة نفسه أعني الحسين والد علي الذي وقعت له معه القصة حتى قتل بأيدي ظلمة الولاة !!

(١) المصدر السابق .٢٢/٧

(٢) المصدر السابق .٨٧/٨

لكن يحتمل أن يكون عذرها أن الحسين لما خرج إلى العراق ما كان المسور وغيره من أهل الحجاز يظنون أن أمره يقول إلى ما آل إليه والله أعلم. انتهى كلام ابن حجر.

أقول: وليس فيما ذكره الحافظ ابن حجر من اختلاف السند، ولا تعجبه أولاً وثانياً على ما فيهما من نقد لاذع للمسور. ولا في احتمال تعذيره على ونه ما يدعونا إلى إطالة البحث فيه والتحقيق معه، ولكن هلم الخطب في ثلاثة الأثافي كما يقولون:

ثالثاً: قال المسور: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن... إلى آخر ما مرّ.

فهل لنا أن نسأل من البخاري ورجاله حتى المسور عن اختلاف سبب الخطبة، وقد مرّ في الحديث الأول أن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يخطب... الخ.

وفي الحديث الثالث أن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فسمعته حين تشهد يقول.. الخ.

ويمكن الجمع بين الحديثين بتوحيد السبب في خطبة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، أما في الحديث الرابع الذي نحن بصدده، فقد جاء أن

السبب هو استئذان بنى هشام بن المغيرة في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فسمعه المسور يقول: فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن... الخ.

أما الحديث الخامس فهو جزء من الحديث الرابع، إلا أن البخاري أغرب في وضعه تحت عنوان ليس فيه أية دلالة على المعنون، فقد أورده في كتاب الطلاق في باب الشقاق، وهل يشير بالخلع عند الضرورة، وقوله تعالى «وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا» الآية... ثم لم يورد غيره في ذلك الباب.

وهذا ما أربك شرّاح الصحيح، وإلى القارئ ما قاله وحكاه عنهم ابن حجر:

قال بعد كلام في الآية ومعناها: ثم ذكر - أبي البخاري - طرفاً من حديث المسور في خطبة علي بنت أبي جهل، وقد تقدمت الإشارة إليه في النكاح، واعتراضه ابن التين بأنه ليس فيه دلالة على ما ترجم به، ونقل ابن بطال قبله عن المهلب قال: إنما حاول البخاري بإيراده أن يجعل قول النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: (فلا آذن) خلعاً، ولا يقوى ذلك، لأنه قال في الخبر: (إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي)، فدلّ على الطلاق، فإن أراد أن يستدل بالطلاق على الخلع فهو ضعيف، وإنما يؤخذ فيه الحكم بقطع الدرائج^(١).

وقال ابن المنير في الحاشية: يمكن أن يؤخذ من كونه صلى الله عليه

[وآله] وسلم أشار بقوله: (فلا آذن) إلى أن علّيَا يترك الخطبة، فإذا ساغ جواز الإشارة بعدم النكاح التحق به جواز الإشارة بقطع النكاح.

وقال الكرماني: توخذ مطابقة الترجمة من كون فاطمة ما كانت ترضى بذلك، فكان الشقاق بينها وبين علّي متوقعاً، فأراد صلى الله عليه [وآله] وسلم دفع وقوعه بمنع علّي من ذلك بطريق الإياء والإشارة، وهي مناسبة جيدة.

والى هنا ننهي ما نقلناه عن ابن حجر، ولا نعقب بقليل أو كثير على تلك الأقوال التي لا يخفى تنطع أصحابها وسماجتها...

والعجب من الحافظ ابن حجر وهو على ما عنده من المعرفة كيف يذكرها ولا يعقب عليها بنقد، وكأنه قد ارتضاها، وهي كما ترى.

والآن وقد انتهينا من النظر في أحاديث البخاري الخمسة، وهي أوصال مقطعة لحديث واحد رواه المسور بن مخرمة... نعود فنسأل المسور ورواة حديثه وحتى أصحاب الصّحاح ومن أخرجه عنه، ثلاثة أسئلة تفرض نفسها:

السؤال الأول: ما بال علّي يخطب ابنة أبي جهل؟ وهو الذي يعلم بعداوة أبي جهل للإسلام ونبيه حتى قُتل بيدر كافراً، وعلى نفسه قد قتل من بني هشام بن المغيرة في يوم بدر ويوم أحد عشرة، ثمانية منهم بيدر، وتساعهم كان حليفاً لهم، وعاشرهم قتلهم يوم أحد، وهم:

١- هشام بن أبي أمية بن المغيرة.

- ٢ - مسعود بن أبي أمية بن المغيرة.
- ٣ - أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة.
- ٤ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة.
- ٥ - المنذر بن أبي حذيفة بن المغيرة.
- ٦ - عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، قال ابن حزم في الجمهرة: وكان بنو مخزوم قد ألبسوه لامة أبي جهل ليخفوا مكان أبي جهل، فقتله علي^(١).
- ٧ - حاجب بن السائب بن عوير بن عمرو بن عائذ.
- ٨ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.
- كما قتل من حلفائهم في ذلك اليوم أيضاً:
- ٩ - حرملة بن عمرو كما في سيرة ابن هشام.
- وقتل في يوم أحد منهم :
- ١٠ - أبا أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة أخا حذيفة الذي قتله بيدر. فهو لاء عشرة من عثرت على أسمائهم، وربما فاتني غيرهم وإن اختللت الأقوال في بعضهم.
- فما باله ينطرب من أناس وترهم بآبائهم وآخوانهم، وهو يعلم بوغر صدورهم لما لهم عنده من تراث لم يطفئ الإسلام إوار الحقد من صدورهم، وهم كبقية قريش إنما كانوا يبغضون علياً لأنه قتل منهم سبعين

رجلًا كان وجوههم سيف الذهب على حد قول عثمان بن عفان^(١).

ثم ما باله يخطبها من رجل سبق له أن أراد قتله يوم فتح مكة فاستجار بأخته أم هاني، وهو الحارث بن هشام كما في حديث سويد بن غفلة وسيأتي، فأجارته أم هاني، فدخل عليه علي وقد شهر سيفه يريد قتله، فمنعته أم هاني من ذلك كما منعته من قتل جميع من استجار بها، وقال النبي ﷺ في ذلك: قد أجرنا من أجارتة أم هاني.

ثم ما الذي أغراه بها؟ علو النسب أو كمال الحسب؟ مع أنها لم تكن بتلك الحسناء، بل وصفوها بأنها العوراء، ولو شاء الزواج لم يتزوج بنت عمها الحمزة أسد الله وأسد رسوله؟ وهو الذي كان أشار على النبي ﷺ بالزواج منها فقال له: أراك تتوق إلى نساء قريش، فهل لك في ابنة حمزة بن عبد المطلب أجمل فتاة في قريش؟ فقال: يا علي أما علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة، فإن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب...^(٢).

فهذه تفوق بنت أبي جهل حسباً ونسبةً وجمالاً وكمالاً، وهي لم تكن من يحرم عليه نكاحها.

السؤال الثاني: ما بال النبي ﷺ يغضبه خطبة علي لابنة أبي جهل، لأن ذلك يسيء إلى فاطمة عليها السلام، بينما مجده يغضب لعلي لا عليه

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٠١/١ ط مكتبة الدار بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٨هـ

(٢) درر الأحاديث النبوة بالأسانيد البحوية، ص ١٠٣ ط بيروت.

حينما أخبره أربعة من الصحابة أن علياً اصطفى جارية من السبي عندما أرسله إلى اليمن، فشكوه في المسجد الواحد تلو الآخر على ملا من المسلمين، فغضب عليهم، وحتى أبد بعضهم بنظره. أي نظر إليه نظراً حاداً، ثم قال: «لا تذونني في علي، لا تشکوا علياً، إن علياً مني وأنا من علي»، وقال: «من آذى علياً فقد آذاني...» إلى آخر ما قال، وقد مر ذكر ذلك قبل هذا في شرح قول سيدنا الناظم :

وفضلك السامي بما قد عرفا وكل من آذاك آذى المصطفى

فهل أن اصطفاء علي عليه السلام، جارية من السبي لم يبلغ فاطمة عليها السلام أو بلغها ولم يُستها ذلك، لأنها لا تغار منها؟

السؤال الثالث: ما بال المسور وأخرايه لم يسموا لنا تلك المخطوطة المخطوطة بهوى علي فيها، فتركوا أصحاب الحديث والتاريخ والأنساب يخبطون خبط العشواء، فسمّاها مصعب الزبيري (جوبرية)، فقال في كتابه نسب قريش: وكان علي بن أبي طالب قد خطب جوبرية بنت أبي جهل قبل عتاب، وهم بنكاحها، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وقال: إني لا كره أن تجتمع بين بنت ولي الله وبين بنت عدو الله. فتركها علي، وتزوجها عتاب^(١).

وسماها ابن حزم في الجمهرة (الحنفاء)، فقال: وولد أيضاً أبو جهل (الحنفاء)، أراد علي أن يتزوجها، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه

(١) نسب قريش، ص ١٢.

[وآله] وسلم، فتزوجها عتاب بن أسيد^(١).

وسمّاها البلاذري في أنساب الأشراف (العوراء)^(٢)، ونسب ذلك إلى تسمية النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لها بذلك، ولما لم يكن لأبي جهل من تسمى بذلك فلا بد أن يكون ذلك نبزاً لها.

وقد تقدمت الإشارة إلى أن ابن حجر ذكر الاختلاف في أسمها في فتح الباري^(٣)، فزاد على ما مرّ (الجيفاء)، نقلًا عن الطبرى وابن السكىت وغيرهما، وقيل: أسمها (جميلة) نقلًا عن شيخه ابن الملقن.

فلماذا هذا الاختلاف وبنات أبي جهل كما في كتب الأنساب أربع. وإليك أسماءهن وأسماء أزواجهن نقلًا عن نسب مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦هـ، فهو أقرب زماناً وهو إلى المسور وأضرابه من رواة تلك الأسطورة.

قال: وكان لأبي جهل أربع بنات: صخرة والحنفاء وأسماء وجويرية، وأمهن أروى بنت أبي العيس.

١- كانت الحنفاء بنت أبي جهل عند سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري.

٢- وكانت أسماء بنت أبي جهل عند الوليد بن عبد شمس بن

(١) الجمهرة ١٤٥/١.

(٢) أنساب الأشراف ٤٠٤/١.

(٣) فتح الباري ٨/٨٧.

المغيرة المخزومي، فولدت له أم عبد الله بنت الوليد، تزوج أم عبد الله بنت الوليد عثمان بن عفان، فولدت له الوليد وسعيد ابني عثمان بن عفان^(١).

٣- وكانت جويرية بنت أبي جهل عند عتاب بن أسيد بن أبي

العيسى...

قال مصعب: وكان علي بن أبي طالب قد خطب جويرية بنت أبي جهل قبل عتاب، وهو بنكاحها، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم، وقال: إني لاكره أن تجتمع بين بنت ولي الله وبين بنت عدو الله. فتركها علي وتزوجها عتاب، فولدت له عبد الرحمن بن عتاب، قُتل يوم الجمل، ووقف عليه علي فقال: هذا يعسوب قريش، جدعت أقفي، وشقيت نفسي^(٢).

(١) فهل كان زواج عثمان بها بعد موت ابنتي النبي عليهما السلام؟ والجواب عند المسور وأضرابه، لكن ما رواه من قول فاطمة عليهما السلام: (يزعم قومك أنك لا تنقض بذناتك) يأبى ذلك... راجع ما مرّ في الكلام عن الحديث الثالث عند البخاري، فثمة إشارة إلى ما يتعلق بالمقام.

(٢) يا لله من قوم لا يستحيون من الكذب، أهكذا تبلغ القحة بهم أن يرورووا ذلك، هم يترجمون عبد الرحمن بن عتاب ويدكرون ولادته في آخر حياة النبي عليهما السلام، فيكون عمره يوم قتل ٢٦ سنة، فهل يعقل أن يقول علي ذلك في إنسان حاربه مع أعدائه، ولم يكن له في تاريخ قريش على اختلاف بيوتهم وأيام صولاتهم مقام مشهود ولا مقال محمود، ثم يصفه بأنه يعسوب قريش، واليعسوب هو سيد التحل وأميره.. فبماذا استحق منه هذا التهريض؟ ولماذا منه كل هذا التفجع والتوجع المزعوم؟ ولعل قحة قاتلهم تبلغ به فيزعم أن مبعث ذلك هو حنين نفسه إلى أمه، ولعلم القارئ أن =

والآن بعد أن بينا زيف المسور في روايته، نعود فنذكر القارئ مرة أخرى بما مرّ منا سابقاً في أول ذكر الرواية، فنقول: حدث بتلك المثابة من الأهمية يغضب فاطمة عليها السلام، ويغضب أبوها لغضبها، فيخرج إلى المسجد ويخطب الناس في ذلك إلى آخر ما مرّ في حديث المسور، ثم لا يرويه من الصحابة الحضور من مهاجرين وأنصار إلا المسور، مع توفر الداعي إلى نقله خصوصاً عند شاتي علي عليه السلام... إن ذلك لعجب!!

ولو كان الحديث بمحاذيره كما يرويه المسور في حديثه، لرواه المخالف قبل المؤلف، وهذا ليس كفضائله التي أخفاها أولياؤه خوفاً وأعداؤه حسداً، ومع ذلك شاع من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين.

إذن ليس من المقبول تصدق المسور في جميع زعمه لتلك القصة بكامل تفاصيلها كما رواها وحده دون بقية الناس الذين خطبهم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، اللهم لا يقبل ذلك منه.

والسؤال الآن الذي يفرض نفسه: هل أن القصة مفتعلة أساساً، أم لها نصيبٌ من الصحة ولو كان ضعيفاً؟ إذ ليس من المقبول عقلاً أن يكون المسور على ما هو عليه من البغض والشأن يختلق قصة موهومة من عالم الخيال، فيذيعها لتكون حقيقة ثابتة وهي ليس لها أساس... لا يعقل

= جوهرية هذه هي التي سبق لها أن قالت يوم فتح مكة وقد سمعت الأذان على ظهر الكعبة: قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلي، والله لا غب من قتل الأحبة أبداً. روى ذلك الواقدي في مغازييه ٨٤٦/٢. فعلى عليه السلام هو أبرز من قتل الأحبة كما مرّ، وقد بيّنت أسماء من قتلهم من قومها، فراجع.

ذلك، إذ لا يوجد دخان من دون نار، ولا بد من منشأ انتزاع.

إذن ما هو الواقع في ذلك؟؟

هذا ما يجب أن نبحث عنه بصبر وأناة في مختلف المصادر الحديثية والتاريخية والنسبية، وقد بحثت فيما وصلت إليه يدي فلم أجد سوى حديث يرويه سعيد بن غفلة أخرجه الحاكم في المستدرك، وفيه ما يمكن أن يجعل أساساً لتلك القصة، وإليك الحديث بنصه:

قال الحاكم: أخبرنا أحمد بن جعفر القطبي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، أخبرني أبي عن الشعبي عن سعيد بن غفلة، قال: خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: أعن حسبيها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبيها، ولكن أتأمرني بها؟ فقال: لا، فاطمة مضافة مني، ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تبكي. فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه... هذا حديث صحيح على شرط الشيدين، ولم ينجزاه بهذه السياقة^(١).

أقول: هذا الحديث لا يخلو (أولاً) سنته من مناقشة في رجاله، ويكتفي وجود الشعبي الذي كان مماثلاً لبني أمية، ومرّ بيان حاله فيما سبق، ولا حاجة إلى إعادته^(٢).

(١) المستدرك ١٥٨/٣.

(٢) قال معمر: وبلغني أن الشعبي كان يلعب بالشطرنج، ويلبس ملحفة حمراء، ويرمي بالجلالق... كلّا في المصنف لعبد الرزاق ٤٦٧/١٠، وفي سنن البيهقي ٢١١/١٠ بدل =

والراوي عنه زكريا بن أبي زائدة كان يدلّس^(١).

و(ثانياً) هو حديث منقطع الإسناد، لأن سويد بن غفلة وإن كان معدوداً من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، إلا أنه لم يسمع من النبي ﷺ حديثه. ولذلك عقب الذهبي على تصحيح الحاكم فقال:

مرسل قوي... إلى أن قال: فالعجب من الحاكم كيف صحّه؟!

أقول: إذا كان في ذلك ما يبعث على العجب، فماذا يقول الذهبي في موافقة شراح البخاري كابن حجر^(٢) والقسطلاني^(٣) والعيني^(٤) للحاكم في تصحيحه؟

وأعجب العجب أن الذهبي نفسه روى هذا الحديث في سير أعلام النبلاء ولم يعقب عليه بشيء^(٥)

و(ثالثاً) فيه من التهافت الظاهر ما ينبغي الالتفات إليه، وذلك في قول سويد: خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمّها الحارث بن هشام، و قوله: فاستشار علي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم... فائيَّ معنى لاستشارة النبي ﷺ بعد الخطبة؟ ولو كان العكس لصح ذلك منه.

= ويرمي بالجلاد: ويرخي شعره.

(١) تقريب التهذيب ٢٦١/١.

(٢) فتح الباري ٢٦٨/٩.

(٣) إرشاد الساري ١١٤/٨.

(٤) عمدة القاري ٢١١/٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢٤/٢.

ومع ذلك كله فبقيه الحديث من قوله: (فاستشار النبي ﷺ)... إلى آخره هي أساس ما نسج حوله الرواية كالمسور وأضرابه، وهي في نفس الوقت تتفق وقوع الخطبة من علي، كما تتفق خطبة النبي ﷺ في الناس على النبر معلناً غضبه... فيكون الحديث بكل بساطة خاطرة خطرت لعلي، فاستشار النبي ﷺ مستأذناً، وقال: أتأمرني بذلك؟ فقال: لا... فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه.

وبهذا المعنى رد ابن عباس على عمر في محاورة جرت بينهما في حديث الخلافة أشار فيها إلى هذا المعنى، والمحاورة طويلة جاء فيها:
 قال عمر: يا بن عباس إن صاحبكم إذا ولـي هذا الأمر زهد، ولكن أخشى عجبـه بنفسـه أن يذهبـ بهـ، فليـتـني أراكمـ بـعـدـيـ!
 فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إن صاحبـناـ منـ قدـ علمـتـ واللهـ (غيرـ)ـ ماـ تـقولـ،ـ إـنـهـ مـاـ غـيـرـ وـلـاـ بـدـلـ،ـ وـلـاـ أـسـخـطـ رـسـوـلـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـ [وـآـلـهـ]ـ وـسـلـمـ أـيـامـ صـحـبـتـ لـهـ ...ـ

قالـ.ـ ابنـ عـبـاسـ.ـ فـقـطـ عـلـيـ الـكـلـامـ،ـ فـقـالـ:ـ وـلـاـ فـيـ اـبـنـ أـبـيـ جـهـلـ لـمـ أـرـادـ أـنـ يـخـطـبـهاـ عـلـىـ فـاطـمـةـ؟ـ

قلـتـ:ـ قـالـ اللهـ تـعـالـيـ فـيـ مـعـصـيـةـ آـدـمـ عـلـيـهـ [وـلـمـ تـجـدـ لـهـ عـزـمـاـ]ـ،ـ وـصـاحـبـنـاـ لـمـ يـعـزـمـ عـلـىـ سـخـطـ رـسـوـلـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـ [وـآـلـهـ]ـ وـسـلـمـ،ـ وـلـكـنـ الـخـواـطـرـ الـتـيـ لـاـ يـقـدـرـ أـحـدـ عـلـىـ دـفـعـهـاـ عـنـ نـفـسـهـ،ـ وـرـبـماـ كـانـتـ مـنـ الـفـقـيـهـ فـيـ دـيـنـ اللهـ،ـ الـعـالـمـ الـعـاـمـلـ بـأـمـرـ اللهـ.ـ

فقال: يا ابن عباس من ظنَّ أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنَّ عجزاً، أستغفر الله لي ولك، خذ في غيرها... الخ^(١).
ومع ذلك فقد روى البيشمي في مجمع الزوائد نقلأً عن الطبراني في
معاجمه الثلاثة... والبزار باختصار. وفيه عبيد الله بن ثام وهو ضعيف^(٢)،
كما أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة عبيد الله بن ثام. وقال ابن
حجر في لسان الميزان: ضعفه الدارقطني وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم.
وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، روى أحاديث منكرة. وقال الساجي: كذاب
يمدح بمناكير^(٣).

وذكره ابن الجارود والعقيلي، وأورد له عن خالد عن عكرمة عن
ابن عباس: أن علياً خطب بنت أبي جهل، فبعث إليه النبي صلى الله عليه
[وآله] وسلم: إن كنت متزوجاً فرد علينا بنتنا.

أقول: ف الحديث يرويه عبيد الله بن ثام الذي مرّ حاله، وينتهي سنته
إلى عكرمة الخارجي الكذاب الذي جسنه علي بن عبد الله بن عباس على

(١) هذه المحاورة رواها الزبير بن بكار في كتابه الأخبار الموقيات، وأخرجهما عنه السيوطي في كتابه جمع الجواجم كما في ترتيبه كنز العمال ٥٣/٧ الطبعة الأولى بميدر آباد، والمتفق الهندي في منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢٢٩/٥. ولكنها لا توجد في المطبوع من الموقيات أخيراً بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني، فهي مما يستدرك عليه مما فاته استدراكه فيما ذكر في آخر النسخة المطبوعة.

(٢) مجمع الزوائد ٢٠٣/٩.

(٣) لسان الميزان ٤/٩٧.

باب الكنيف، لأنه كان يكذب على أبيه، وحديث كذبه شائع ذاتع حتى إن ابن عمر حذر غلامه أن يكذب عليه كما كذب عكرمة على ابن عباس، وقد أكذبه آخرون، مضافاً إلى أنه كان خارجياً يغضض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهل يمكن أن نصدق أن ابن عباس روى ذلك؟

وثمة حديث آخر وهو موضوع، لأنه أشد تعفناً مما سبق، حيث رروا عن علي نفسه إقراره بموجدة النبي عليه السلام منه لذلك، واستشفاعه بأبي بكر... .

إلى غير ذلك مما يستبطن كذبه في سياق ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال^(١) عن الحارث عن علي، قال: لما خطبت بنت أبي جهل بن هشام وجد النبي عليه السلام موجدة، فرأيت في وجهه، فخرجت إلى أبي بكر فأخذت بيده، فأدخلته على رسول الله عليه السلام، فلما رأى النبي عليه السلام أبو بكر مقبلًا تهلل وجه النبي عليه السلام فرحاً، فقلت: يا رسول الله رأيت في وجهك ما أكره، فلما نظرت إلى أبي بكر تهلل وجهك إليه فرحاً! فقال النبي عليه السلام: ما يعني أن تهلل وجهي إلى أبي بكر فرحاً، وأبو بكر أول الناس إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأطولهم سمتاً، وأكثرهم مناقب، رفيقي في الهجرة إلى المدينة، وأنيسي في وحشة الغار، ومن بعد ذلك ضجيعي في قبري، كيف لا يتهلل وجهي إلى أبي بكر فرحاً؟ (الزوذني).

ولا تعليق لنا على ذلك إلا تبيه القارئ على مدى العبث في

(١) كنز العمال ١٤/١٥٨ برقم ٣٣٨ حيدر آباد.

التاريخ، والمغالات في صياغة الشخصية المحبوبة عند النبي ﷺ، والتزعة الخفية في التفضيل، وأن أبو بكر هو الأنموذج الأمثل للصحابة.

ألا سخن عيون البكيرية ما أشد غباءهم، فما داموا استمروا على الكذب، كيف فاتهم أن يضيفوا إلى هذه الحبكة المفعولة جملة (وهو خليفي من بعدي) لتسم لهم الحجة، ولكنهم فيما يندو رأوا سقوط أبي بكر في حماة الحيرة المملاة التي عانها حين سأله الأعرابي وقال له: أنت خليفة رسول الله؟ فقال: لا. فقال: فما أنت؟ قال: أنا الخالفة بعده. فلم يذكروا له ذلك ما دام أبو بكر قال عن نفسه هو الخالفة، والخالفة كما قال ابن الأثير الذي لا غناه ولا خير فيه. وإنما قال ذلك تواضعاً.

وطبيعي أن يقول ذلك أبو بكر، فهو أعرف بنفسه من غيره، وأنه يعلم ذلك من نفسه، كما أنه من الطبيعي أن يقول ذلك ابن الأثير، ويقوله جميع البكريين معه، الذين هم أكثر بكرية من أبي بكر. على مقوله: (ملكيون أكثر من الملك) ..

ولكن ما يصنع ابن الأثير وأضرابه وتفسير قوله تعالى «فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ»، والمفسرون قالوا: فلان خالفة أهل بيته إذا كان فاسداً فيهم، من خلوف فم الصائم. فعلى هذا يكون المعنى فاقعدوا مع الفاسدين^(١).

وخفّف بعضهم تلك اللهجـة الحادة في تفسير الخالـفـ، فجعل معناه

قلة الخير والحمدق. قال أبو هلال العسكري في كتابه الأول: وأما الخلافة بالفتح . فالحمدق وقلة الخير، رجل خالف^(١).

وقال أبو زيد: يعني من لا خير فيه من المنافقين.

ومهما يكن مراد أبي بكر في قوله: (أنا الخالفة) فإن البكرية لم يجعلوه في حديثهم السابق خليفة النبي عليه السلام، ولكن هلم الخطاب في جعلهم له أول الناس إسلاماً وأقدمهم إيماناً، وهذا عين ما قاله رسول الله لابنته فاطمة عليهما السلام: زوجتك أقدم أمّتي سلماً، وأكثرهم علماء، وأعظمهم حلماً^(٢).

وتلكم عائشة ابنة أبي بكر تقول في خطبتها بعد الجمل: وأبي رابع أربعة من المسلمين^(٣).

أما سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة المبشرة - فيقول لابنه محمد وقد سأله: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً^(٤).

وأخيراً كيف يصدق عاقل بما رواه البكريون آنفاً عن علي عليه السلام، من

(١) الأول، ص ١٠٠.

(٢) مستند أحمد ٥/٢٦. الاستيعاب ٣/٣٦. الرياض النصرة ٢/١٩٤. مجمع الزوائد ٩/١١٤، ٦/١٠١٤. بطربيين صحيح أحدهما، ووثق رجال الآخر. كنز العمال ٦/١٥٦.

الأولى. السيرة الخلبية ١/٢٨٩. سيرة زيني دحلان بهامش الخلبية ١/١٨٨.

(٣) كنز العمال ١٤/١٤١.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/٢١٥. وسند صحيح.

موجدة النبي ﷺ عليه، مع أنه القائل كما في نهج البلاغة في خطبة له يصف مقامه عند الرسول ﷺ: وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل^(١).

أليست خطبته بنت أبي جهل خطللة في فعل؟ كيف يصدق ذلك مسلم، حاشا الله ﷺ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ^(٢).



بقيت بعض الأحاديث تلتقي في مودّها مع حديث المسور من غضب فاطمة عليها السلام بسبب الغيرة أيضاً، ولكن لم تكن المرأة التي تاقت نفس علي إليها هي ابنة أبي جهل، وإنما هي حرّة وأمة:

١- أما الحرّة فهي أسماء بنت عميس... وحديثها أخرجه الطبراني في معجمه الكبير^(٣)، وعنه البيشمي في مجمع الزوائد^(٤)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، في إسناده من لم أعرفه.

إذن لا يهمّنا بيان حال إسناده فلتنتظر إلى متنه...

قالت أسماء: خطبني علي، فبلغ ذلك فاطمة فأتت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالت: إن أسماء متزوجة عليه، فقال رسول الله صلى

(١) نهج البلاغة ٣٩٢/١.

(٢) سورة التحل، الآية ١٥٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٢، ٣٣٨/٢٤، ١٢٠/٢٤ ط الثانية بالموصل.

(٤) مجمع الزوائد ٤٠٣/٩.

الله عليه [وآله] وسلم: ما كان لها أن تؤذي الله ورسوله.

فنقول: إن أسماء كانت أولاً عند جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه، فلما كانت غزاة مؤتة سنة ثمان من الهجرة في جمادى الأولى أو الآخرة قُتِلَ فيها جعفر، فتزوجها أبو بكر بعد قتل جعفر وبعد يوم حنين كما عن عمر بن شبة في مكة، وحکاه ابن حجر في الإصابة في ترجمة أسماء، فإن غزاة حنين كانت في شوال سنة ثمان من الهجرة، والرسول عليه السلام خرج إليها لست خلون من شوال، وانتهى إلى حنين في عاشره^(١). فيكون بين الوقتتين أربعة أشهر وأيام هي بمقدار عدة المرأة المتوفى عنها زوجها، ويعني ذلك أن أبو بكر تزوج أسماء عند خروجها من العدة، وعلى هذا دلُّ ما ذكره ابن كثير في سيرته، قال:

ورثت أسماء بنت عميس زوجها - جعفراً - بقصيدة تقول فيها:

فَالَّذِي لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أَغْبَرَا
فَلَلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَىً أَكْرَ وأَحْمَى فِي الْبَيْاجِ وَأَصْبَرَا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها، فخطبها أبو بكر الصديق (رض) فتزوجها، فأولم وجاء الناس للوليمة، فكان فيهم علي بن أبي طالب، فلما ذهب الناس استأذن علي أبو بكر (رض) في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له، فلما اقترب من الستر تفتحَ ريح طيبها، فقال لها علي - على وجه البساط - من القائلة في شعرها:

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٦١٠/٣.

فَالْأَيْتُ لَا تَنْفَكَ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكَ جَلْدِي أَغْبَرَا

قالت: دعنا منك يا أبا الحسن، فإنك امرؤ فيك دعاية^(١).

على أن هناك ما يحمل على الشك بصحة ما رواه ابن كثير، فقد نسب الزمخشري في ربيع الأبرار البيت المذكور إلى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل^(٢)، قالته في رثاء زوجها عبد الله بن أبي بكر، ثم خطبها عمر، فلما أسلم بها قال عبد الرحمن بن أبي بكر: يا أمير المؤمنين أتاذن أن أدخل رأسي على عاتكة؟ فأدخل رأسه فقال:

آلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جَلْدِي أَصْفَرَا

فنشجت نشيجاً عالياً، فقال عمر: ما أردت إلا هذا غفر الله لك.

وهذا الجواب منها ينفي خطبة علي لها، لأن خطبته لها لو كانت لا بد أن تكون قبل خطبة أبي بكر، لأن أبي بكر مات عنها ستة ١٣ من الهجرة، يعني بعد موت فاطمة بثلاث سنين، فلا بد أن يفترض أن خطبة علي لها كانت قبل خطبة أبي بكر لها، فكان عليها أن تجبيه بعد عتابه لها على تناسيها رثائها لأخيه جعفر: أنت أولى مني بالعتاب، ألم تسبق إلى بالخطبة. ولأشارت إلى ما نسب إليها من زعم أن علياً خطبها، وقول فاطمة عليه السلام لأبيها عليه السلام: ما كان لها أن تؤذني الله ورسوله... لا أن يكون جوابها: دعنا منك يا أبا الحسن، فإنك امرؤ فيك دعاية.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤٧٨/٣.

(٢) ربيع الأبرار ٢٧٩/٢.

٢- وأما الأمة فهي جارية أعطاها له أبو بكر، وحديثها أخرجه عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال: أعطى أبو بكر علىًّا جارية، فدخلت أم أيمن على فاطمة فرأت فيها شيئاً كرهته، فقالت: مالك؟ فلم تخبرها. فقالت: مالك.. فوالله ما كان أبوك يكتمني شيئاً.. فقالت: جارية أعطوها أباً حسن. فخرجت أم أيمن فنادت على باب البيت الذي فيه علي بأعلى صوتها: أما رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يحفظ في أهله؟ فقال: ما هذا الصوت؟ فقالوا: أم أيمن تقول: أما رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يحفظ في أهله. فقال علي: وما ذاك؟ قالت: جارية بُعث بها إليك.. فقال علي: الجارية لفاطمة^(١).

فهذا الحديث يرويه ابن عيينة، وهو من رمي بالاختلاط كما في كتاب الاعتbat لسبط ابن العجمي^(٢)، كما ذكره من المدلسين في كتابه الآخر (التبين للأسماء المدلسين)، وابن عيينة يرويه عن عمرو بن دينار، وهذا أيضاً من المgrossين كما في كتاب المgrossين لابن حبان، قال: من كان ينفرد بالموضوعات عن الأثبات، لا يخل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. وسئل ابن معين عنه فقال: ليس بشيء... مضافاً إلى أنه كان يُعرف بقهر مان آل الزبير، فمن كان كذلك هل يقبل حديثه؟^(٣)

(١) المصنف لعبد الرزاق ٣٠٢/٧ - ٣٠٣، وعنه في منتخب كنز العمال بهامش مستند أحمد ٩٩/٥ ولكن بتفاوت.

(٢) كتاب الاعتbat لسبط ابن العجمي، ص ١٢.

(٣) كتاب المgrossين ٧٠/٢ ط حيدر آباد.

على أن في نفس حديثه ما يدل على كذبه، وذلك أن فاطمة عليها السلام التي لم تبق بعد أبيها سوى أيام أو شهور لم تزد على ستة أشهر ثم ماتت عليها السلام، وكان على معها في محتتها، ولم يباع أبا بكر ما دامت فاطمة حية... وقالوا: لم يحضر جمعة ولا جماعة مع القوم إلى أن ماتت فاطمة عليها السلام، فانصرفت وجوه الناس عنه، فباع هو كما بائع معه العباس وبنوه وجماعة بني هاشم وبقية الفئات المعارضة التي اتخذت منه ملجاً يلجأون إليه وسندًا يستندون عليه.

فهل يعقل أن أبا بكر يبعث إليه بجارية ويقبل ذلك على عليها السلام منه وهو بعد لم يزل ساخطاً لما جرى معه ومع فاطمة عليها السلام من بعد النبي؟ ولو سلمنا ذلك فهل أن عليها السلام نسي ما مرّ له في حياة النبي عليه السلام من استشارته في أمر ابنته أبي جهل، وأن ذلك يسيء إلى فاطمة، فقال: لا أفعل شيئاً تكرهه. ثم ها هو الآن يقبل الجارية، ويقيم معها، حتى تكرر ذلك عليه أم أمين!!

ثم ما بال على عليها السلام، وبنيه لم يتبيّنوا تلك الكراهة من فاطمة عليها السلام وهم يعيشون معها في البيت، وتبيّنها أم أمين التي كانت في بيت غير بيتهما؟! دون من كان يزورها من نساء المهاجرين والأنصار، وحتى أسماء بنت عميس التي كانت تمرّضها.

كل ذلك يوحى باختلاف الحديث، ولا نستبعده من عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير الذي قال فيه ابن حبان: كان ينفرد بالموضوعات عن

الأثبات، لا يحمل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب..

وما يدرينا لعل عبد الرزاق إنما كتب حديثه في كتابه (المصنف) على ذلك الوجه.

ثم أعلم أيها القارئ الكريم أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أعطى علياً يوم حنين جارية يقال لها ربيطة بنت هلال بن حيان بن عميرة^(١)، فلا يخلو إما أن يكون ذلك يغrieve فاطمة عليها السلام أو لا يغrieveها، فإن كان يغrieveها فلم فعله النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وإن كان لا يغrieveها فما الفرق بين ربيطة وغيرها من النساء، سواء كانت زوجة أو جارية بملك اليمين، وكلتاهم بحكم الضرائر عند النساء على أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قد دافع عن الإمام في اصطفائه الجارية حينما بعثه إلى اليمن وشكاه بريدة كما في البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهمما قبل حجة الوداع، في الحديث الثاني من الباب بسنده عن بريدة رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه علياً إلى خالد ليقبض الخمس، و كنت أبغض علياً وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ذكرت له، فقال: يا بريدة أتبغض علياً؟ فقلت: نعم. فقال: لا تبغضه، فإن له في الخمس أكثر من ذلك.

أقول: فما بال التسرّي لا يغrieve فاطمة عليها السلام إذا بلغها؟ وينغrieveها إذا كان تزوجها؟

ولا يفوتي تنبئه القارئ إلى أن الحديث السابق عن البخاري رواه غيره بأوسع وأوضح مما ذكره، فراجع فتح الباري في شرح الحديث المذكور^(١).

لماذا وضع هذا الحديث؟

لقد مرّ بنا مراراً تذكير القارئ بأنّ الأمويين عمدوا إلى كثير من فضائل الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، فجعلوا مثلها للخلفاء الآخرين، ولا ننسّ ما ذكره المدائني من كتب معاوية إلى عمّاله ببراءة الذمة من روى في فضل علي شيئاً.

ثم كتابه يأمرهم فيه بوضع الحديث في فضائل الشيوخين.

ثم كتابه يأمرهم فيه بوضع الحديث في فضائل عثمان.

ولما كان عثمان لم يُحمد في مصاہرته للنبي عليهما السلام، وقد أساء صحبة زوجته أم كلثوم ابنة النبي عليهما السلام، فلما ماتت في شعبان سنة تسع من الهجرة فغسلّتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب، وقيل: غسلّها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية.

قال ابن كثير: وهذا ثابت في الصحبيين، وثبت في الحديث أيضاً أنه عليهما السلام، لما صلّى عليهما وأراد دفنهما قال: (لا يدخله أحد قارف الليلة أهله)، فامتنع زوجها لذلك، ودفنتها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

وقال ابن كثير: (ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك

من يتبرع بالحفر والدفن من الصحابة كأبي عبيدة وأبي طلحة ومن شابوهم، فقال: لا يدخل قبرها إلا من لم يقارب أهله من هؤلاء)، إذ يحد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه هذا بعيد، والله أعلم^(١).

وفي شرح المواهب اللدنية للزرقاني تحقيق لا غنى عن مراجعته، فليراجع^(٢).

أقول: ومن البلاية أن نجد بين علماء التبرير من هم عثمانيون أكثر من عثمان، فهذا ابن كثير يذكر هذا الاحتمال البارد الكاسد، ويريد أن يغمض عيون الناس، فلا ينظروا إلى قبح مقارفة عثمان.

ومن جنائية ابن كثير على الحديث وخيانته أنه لم يذكره كما ورد في صحيح البخاري الذي اعتمد وصحيح مسلم في ذكر وفاة أم كلثوم، والى القارئ ما ذكره البخاري في صحيحه في الجنائز، باب يعذب الميت يبكيه أهله، وباب من يدخل قبر المرأة، بسنده إلى أنس بن مالك، قال: شهدنا بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ورسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعن، فقال: هل فيكم من أحد لم يقارب الليلة؟ فقال أبو طلحة (زيد ابن سهل الأنصاري): أنا. قال: فأنزل في قبرها. قال: فنزل في قبرها فقبرها. قال ابن مبارك: قال فليع: أراه يعني الذنب.

(١) السيرة النبوية ٧٤/٤ وجاء في الهاشم أن ما بين القوسين سقط من أ، يعني من نسخة أ.

(٢) شرح المواهب ٢٠١، ٢٠٠/٢

قال أبو عبد الله - هو البخاري - ليقتروا: ليكتسبوا^(١).

أقول: وهذا أخرجه أحمد أيضاً في مسنده^(٢)، وابن سعد في الطبقات في ترجمة أم كلثوم^(٣)، والحاكم في المستدرك^(٤)، والبيهقي في السنن الكبرى^(٥)، وابن حجر في الإصابة^(٦)، والسهيلي في الروض الأنف^(٧) وكثير من المصادر، حتى لم تخل منه كتب اللغة، كنهاية ابن الأثير، ولسان العرب، وتاج العروس^(٨).

ولشرح صحيح البخاري وغيرهم في هذا الحديث تشريف وتغريب عجيب في تبرئة ساحة عثمان من مغبة معنى المقارفة. على أن جماعة من أعلام الحفاظ قد فسّروا المقارفة بالذنب صراحة. فقد مرّ عن فليح قوله: أراه يعني الذنب.

ومرّ في تعقيب البخاري بقوله: (ليقتروا: ليكتسبوا) إشارة إلى قوله تعالى «وَلَيَقْتَرُفُوا مَا هُمْ مُفْتَرُفُونَ» كما فهمه ابن حجر في فتح

(١) صحيح البخاري ٢٢/٢، ٢٤٤.

(٢) مسنـدـ أـحـمـدـ ٣/١٢٦، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٧٠.

(٣) الطبقـاتـ ٨/٣١ في ترجمـةـ أمـ كلـثـومـ.

(٤) المستدرـكـ ٤/٤، ٤٧.

(٥) السنـنـ الـكـبـرـىـ ٤/٥٣.

(٦) الإصـابـةـ ٤/٤٨٩.

(٧) الروضـ الأنـفـ ٢/١٠٧.

(٨) النـهاـيـةـ فـيـ غـرـبـ الـحـدـيـثـ ٣/٢٧٦، ١١/١٨٩، لـسانـ الـعـربـ ٦/٢٢٠.

الباري^(١)، وإلى قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُفُونَ». وجاء في مسند أحمد قول سريج: يعني ذنبًا. وقال الخطابي: لم يقارب معناه لم يذنب^(٢).

ولعل أجرًا من وقفت على كلامه في تفسيره المقارفة تصرحًا لا تلو حمأً هو ابن بطال، قال: أراد النبي عليه السلام أن يحرم عثمان النزول في قبرها، وقد كان أحق الناس بذلك، لأنه كان بعلها، وقد منها علقاً لا عوض منه، لأنه حين قال عليه السلام: (أيكم لم يقارب الليلة) سكت عثمان ولم يقل: أنا. لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، فلم يشغله الهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي عليه السلام عن المقارفة، فحرم بذلك ما كان حقاً له، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره، وهذا بَيْنَ في معنى الحديث. ولعل النبي عليه السلام قد كان علم بذلك بالوحى فلم يقل له شيئاً، لأنه فعل فعلًا حلالاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغلها، حتى حرم ما حرم من ذلك بتعریض غير تصریح، والله أعلم^(٣).

وزاد العیني في عمدة القارئ على ابن بطال أن جمع بين قوله وقول الخطابي - وقد مر - وأدان عثمان في تلذذه بالرفث إلى جارية^(٤).

وهذا الحديث الذي فيه إدانة عثمان حتى حرم من حق الدفن الذي

(١) فتح الباري ١٦٣/٣.

(٢) عمدة القارئ ٨٥/٤.

(٣) الروض الأنف ١٠٧/٢.

(٤) عمدة القارئ ٨٥/٤.

كان هو الأولى به من أبي طلحة، وعلم المسلمين الشيعة يومئذ بذلك، كيف لا يحاول الأمويون وأنصارهم إذ لم يكن تضييعه فلا أقل من تضييعه ولو عن طريق علماء التبرير في مستقبل الزمان، وقد مرّ بنا كلام ابن كثير البارد الكاسد.

إذن فليجتهد الأمويون ومن لفّ لفّهم من بقية أعداء الإمام في خلق حديث أكبر يدينون به الإمام، فكان حديث خطبة ابنة أبي جهل، وقد مرّ بنا كيف حال رواته، وكلهم من زبانية الأمويين وأعداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولنختم الكلام بما قاله ابن أبي الحميد المعتزلي أصولاً والخلفي فروعاً في شرح النهج، قال:

وعندي أن هذا الخبر لو صحّ لم يكن على أمير المؤمنين فيه غضاضة ولا قدح، لأن الأمة مجتمعة على أنه لو نكح ابنة أبي جهل مضافاً إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز، لأنه داخل تحت عموم الآية الميسحة للنساء الأربع، فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة، لأن هذه القصة كانت بعد فتح مكة وأسلام أهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر يوافقون على ذلك.

فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى فاطمة قد غارت، وأدركها ما يدرك النساء، عاتب عليه السلام عتاب الأهل، كما يستثبت الوالد رأي الولد، ويستعطفه إلى رضا أهله وصلاح زوجته. ولعل الواقع كان بعض هذا الكلام، فحرف وزيد فيه.

ولو تأملت أحوال النبي ﷺ مع زوجاته، وما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة والصلح تارة أخرى، والسلط تارة والرضا أخرى، حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة، وإلى الإيلاء مرة، وإلى الهجرمرة والقطيعةمرة، وتدبرت ما ورد في الروايات الصحيحة مما كنَّ يلقينه عليهما وبه ويسمعنه إياه، لعلمت أن الذي عاب الحسنة والشائون على عليهما به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط.

ولو لم يكن إلا قصة مارية وما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين تينك الامرأتين من الأحوال والأقوال، حتى أنزل فيما قرآن يُتلى في المحاريب ويُكتب في الصحائف، وقيل لها ما يقال للإسكندر ملك الدنيا لو كان حيًّا منابذاً لرسول الله صلى الله عليه وآله: «وَإِن تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»، ثم أردف بعد ذلك بالوعيد والتخييف «عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَقَنْ» الآيات بتمامها. ثم ضرب لها مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتان خانتا بعليهما فلم يغنا عنهما من الله شيئاً، و تمام الآية معلوم. فهل ما روي في الخبر من غضب فاطمة على علي عليهما السلام وغيرها من تعريض بنى المغيرة له بنكاح عقليتهم إذا قويس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجري إلا كنسبة التأليف إلى حرب البسوس، ولكن صاحب الهوى والعصبية لا علاج له^(١).
هذا آخر ما أردت بيانه حول نسيج الأفواكين الذين حاولوا الغض

(١) شرح نهج البلاغة ٢٢٩/١ ط مصر الأولى.

من مقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه آذى فاطمة عليها السلام وأساء إليها، تارة خطبة ابنة أبي جهل، وأخرى خطبة أسماء بنت عميس، وثالثة بخارية بعث بها إليه أبو بكر... ولكن كشفنا عورتهم، وزدنا أورهم، وإن أغضب ذلك أنصارهم، انتصاراً للحق المهزوم، ودحضاً للباطل المزعم.
 «ربّنا أفتح بَيْتَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَلْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ».

فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين

١٠٨ - وَفَاطِمَةُ أَفْضَلُ أَفْرَادِ الْبَشَرِ بَعْدَ أَبِيهَا ثُمَّ بَعْلُهَا الْأَغْرَى

١٠٩ - سِيدَةُ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ أَئِتُ صِدِيقَةُ طَاهِرَةٌ قَدْ غُصِّمَتْ

وأشار قدس سره إلى تفضيل الزهراء عليها السلام على جميع أفراد البشر،
إلا من استثنى، وهو أبوها وبعلها. كما أشار إلى أنها سيدة النساء، وأنها
الصِّدِيقَةُ، وأنها الطاهرة، وأنها العصومة، فجمع بين خمس فضائل من
خصائصها عليها السلام، وبيان ذلك كما يلي:

الفضيلة الأولى: تفضيلها على سائر أفراد البشر ذكوراً وإناثاً من
الأولين والآخرين.

وذلك لقوله عليه السلام: «فاطمة بضعة مني» «ما صحَّ عنَّه قوله، وتوافر
تقله، وأخرجَه الحفاظُ من أئمَّةِ الفريقيْنِ، بل لم يشكْ فيه أحدٌ من
الْمُسْلِمِينَ، وبه تمسَّكَ القائلُون بالفضيلَ كَمَا سِيَّاتِي عَرَضَ كلامَهُمْ.

فمن كانت بضعة من النبي عليه السلام سيد الأولين والآخرين من الأنبياء

والمرسلين، فضلاً عن سواهم من العالمين، فلا غرابة في تفضيلها على من سواها إلا من استثنى، فالبضعة - وهي القطعة - بحكم كونها جزءاً منه، فلها مثل ما له من المقام في الشرف والرقة على سائر الناس سوى ما كان من خصائص النبوة، وهذا ما لا شك فيه، لأنها فرع منه، ولا يرقى الفرع إلى جميع مراتب الأصل في الفضل.

أما عن أفضلية زوجها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، فمن نافلة القول الخوض في ذلك بعد أن كان هو إمامها، ولا بد أن يفضل على المؤمن، وإن اشتراكاً في كثير من الفضائل، بل بدءاً من حديث أصل الخلقة، فالنبي وهم ابناهما خلقوا من نور واحد، وقد مر ذكر ذلك في أوائل الكتاب، فراجع^(١). ومروراً بما اشتراكوا فيه مع النبي عليهما السلام من خصائص التي اختصهم الله بها، كآية التطهير، وآية المباهلة، وآية المودة، وسورة (هل أتى)... وغير ذلك، مضافاً إلى الأحاديث النبوية التي شركهم وشاركهم فيها عليهما السلام، كأقواله:

١- «أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلامٌ لمن سالمكم»^(٢)، وفي لفظ آخر:

(١) أخرج أحاديث الخلقة من نور واحد: الإمام أحمد في مناقب الإمام، وابن عساكر في التاريخ (ترجمة الإمام) ١٣٥/١ - ١٣٧، وابن المغازي المالكي في المناقب، ص ٨٧، والخوارزمي الحنفي في المناقب، ص ٨٨، والعمويني في فرائد السمعطين، والكتنجي الشافعى في كفاية الطالب... وغيرهم وغيرهم، فراجع.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ١٤٩/٣. صحيح ابن حبان ١٥/٤٣٤. موارد الظمان ١٠٨/٢ ط مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٤هـ. مجمع الزوائد ٩/١٦٩. مستند أحمد

إني حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم^(١).

٢- «إني وإياك وهذا النائم - يعني علياً - وهما - يعني الحسن والحسين - لفني مكان واحد يوم القيمة»^(٢).

٣- عن علي مرفوعاً: إن أول من يدخل الجنة أنا (وأنت) وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله فمحبونا؟ قال: من ورائكم^(٣).

٤- أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين يوم القيمة في قبة تحت العرش^(٤).

٥- في الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألكم الله فسلوا لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله من يسكن معك فيها؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين^(٥).

إلى غير ذلك مما اشتركتوا فيه من الفضائل، واختصوا به من

= ٤٤٢/٢. المصنف لابن أبي شيبة ٣٨١/٦ ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٦هـ.

(١) مصايم السنّة للبغوي ٢٠٦/٢. المعجم الكبير للطبراني ١٨٤/٥.

(٢) المستدرك للحاكم ١٣٧/٣، وتلخيصه للذهبي، وقد صححه. مسند أحمد ١٠١/١.

أسد الغابة ٥٢٣/٥. مجمع الزوائد ١٧١/٩. كنز العمال ٢١٣/١٢ ط حيد آباد (الثانية)

نقلأً عن الطبراني من حديث علي وأبي سعيد. المعجم الكبير للطبراني ٤٠٦، ٤٠٥/٢٢.

(٣) المستدرك للحاكم ١٥١/٣، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ذخائر العقبى، ص ١٢٣، وقال: أخرجه أبو سعد.

(٤) مجمع الزوائد ١٨٤/٩. وقال: رواه الطبراني.

(٥) كنز العمال ٨٩/١٣ ط حيد آباد (الثانية). تفسير القرآن العظيم ٥٣/٢ عن ابن مردويه.

الخصائص، فالبحث في ذلك نافلة من غير طائل.

على أنه ورد في كل من الزوجين الطاهرين من الحديث ما يزيل الفوارق ويزيد الحقائق، ولا يدع مجالاً للخوض في مسألة المفاضلة، مع وضوح المشابهة والماثلة.

فلشن جاء في حق الزهراء عليها السلام: «فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذني ما آذها» ونحوه^(١). فقد جاء في حق علي عليه السلام: علي مني بمنزلة رأسى من جسدي^(٢).

وفيه: من أحبَّ علياً فقد أحبَّني، ومن أبغضَ علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(٣).

ولشن قال في حقها عليها السلام: فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين^(٤)، وسيدة نساء أهل الجنة^(٥).

فلقد قال في حق علي عليه السلام: إنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الفر المجللين^(٦).

(١) صحيح مسلم: فضائل الصحابة، في باب فضائل فاطمة عليها السلام. سنن الترمذى في فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم.

(٢) ذخائر العقبى، ص ٦٣.

(٣) المستدرك للحاكم ١٥٦/٣.

(٤) نفس المصدر ١٥١/٣. سنن الترمذى، باب فضل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. وغيرهما.

(٥) المستدرك ١٣٨/٣. تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ٢٥٨/٢.

وقال فيه أيضاً: أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوّي، وعدوّي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي^(١).

وقال فيه: «إنه سيد العرب» كما روت له عائشة^(٢).

ولئن قال في حقها عليها السلام: فاطمة روحى التي بين جنبي^(٣).

وقال فيها أيضاً: منوط لحمها بدمي ولحمي^(٤).

فقد قال في حق علي عليه السلام: هذا أخي وابن عمي وختني، لحمي ودمي وشري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكروب عنى، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضيه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريء، فمن أحب أن ييرا من الله ومني فلييرا من علي، وليلبلغ الشاهد الغائب^(٥).

وهكذا نجد كثيراً من الأحاديث المتشابهة في حق كل من الزوجين الكريمين، حتى إنه عليه السلام لم يترك أي مجال للخوض في مسألة التفاضل،

(١) المستدرك ١٢٨/٣ وتلخيصه للذهبي، وصححه الحاكم على شرط الشعبيين، إلا أن الذهبي مع تصرّفه بوثاقة رواه قال: فهو منكر(٦)!.

(٢) نفس المصدر ١٢٤/٣.

(٣) الروضۃ التنیدیة، ص ١٤ ط الخیریة.

(٤) لسان العرب ٣٢٦/٧ ط مصر.

(٥) ذخائر العقبي، ص ٩٢، أخرجه من حديث أنس وقال: وقد أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة.

وذلك حين سأله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: أيها أحب إليك: أنا أم فاطمة؟ فقال عليه السلام: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز علي منها^(١).

وأكَّد ذلك فيما يرويه ابن عباس رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله عليه السلام على علي وفاطمة وهما يضحكان، فلما رأيا النبي عليه السلام سكتا، فقال لهم النبي عليه السلام: ما لكم كتماً تضحكان، فلما رأيتمني سكتماً؟ فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال هذا: أنا أحب إلى رسول الله عليه السلام منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله عليه السلام منك. فتبسم رسول الله عليه السلام وقال: يا بنية، لك رقة الولد، وعلى أعز علي منك^(٢).

وبعد هذه الجولة بين الأحاديث النبوية الدالة على اشتراكهما في الفضائل، فلا يحق لنا أن نفضل أحدهما على الآخر إلا في جانب واحد اختص به الإمام أمير المؤمنين كسائر خصائصه الخاصة، ومنها موضوع (الإمامية)، فهو إمامها، والإمام أفضل من المأمور.

الفضيلة الثانية: كونها سيدة نساء العالمين.

وهذا مما تواتر معناه، وتضافر فحواه، من الأحاديث النبوية التي اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها، وتعددت صورها لتعدد روایتها، وهي

(١) خصائص النسائي، ص ٣٧ ط التقدم بمصر سنة ١٣٤٨هـ. مستدرك الحاكم ١٥٥/٣ وصححه. ذخائر العقبى، ص ٢٩. أسد الغابة ٥٢٢/٥.

(٢) المعجم الكبير للطبرانى ١١/٥٥. مجمع الزوائد ٩/٢٠٢، وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

فيما أحصيت. ولا أدعى الاستقراء التام. قد بلغت عشرين صورة، وإليك عرضها يأيّجها:

١- فاطمة سيدة نساء العالمين: عن ابن عباس وعائشة وبريدة الأسلمي وعمران بن حصين وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجابر بن سمرة، كلهم رواه مرفوعاً عنه عليه السلام.

والحديث برواية عائشة: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء المؤمنين، وسيدة نساء هذه الأمة^(١).

وبرواية عبد الرحمن بن أبي ليلى: فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم بنت عمران وأسمية امرأة فرعون وخدیجة بنت خوبيل^(٢).

وهكذا في أحاديث بقية الصحابة. وتجد أحاديثهم في المصادر التالية:

١- طبقات ابن سعد ٢٧/٨ ط دار صادر، بيروت.

٢- الاستيعاب: في ترجمتها عليها السلام، ١٨٩٤/٤ ط دار الجليل ، بيروت سنة ١٤١٢هـ.

٣- الإصابة: في ترجمتها عليها السلام، ٢٦٦/٨ ط دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٥هـ.

٤- أسد الغابة: في ترجمتها عليها السلام.

٥- تفسير القرطبي ٨٣/٤.

(١) المستدرك للحاكم ١٥٦/٣. تلخيص المستدرك للذهبي، وقد صححه معاً.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٢٧/١٢.

- ٦- السنن الكبرى للنسائي ،٢٥١/٤ ،١٤٧/٥ ط دار الكتب العلمية
سنة ١٤١١هـ.
- ٧- الدر المثور للسيوطى .٢٣/٢
- ٨- مسند الطيالسي ، ص ١٩٧
- ٩- خصائص النسائي ، ص ٣٥
- ١٠- حلية الأولياء .٣٩/٢
- ١١- مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ١٥٦/٣ وقد صححه.
- ١٢- مشكل الآثار للطحاوي .٥١/١
- ١٣- المعتصر لأبي الحasan الحنفي .٢٤٧/٢
- ١٤- الخصائص الكبرى للسيوطى .٣٦٠/٣
- ١٥- ذخائر العقبي ، ص ٤٢.
- ١٦- الشرف المؤبد للنبهاني ، ص ٥٤.
- ١٧- مصابيح السنة للبغوي .٢٠٤/٢
- ١٨- فضائل فاطمة لابن شاهين (مخطوط).
- ١٩- مشارق الأنوار للحمزاوي .
وغيرها.
- ٢- فاطمة سيدة نساء هل الجنة: عن علي وفاطمة وابن عباس
وأم سلمة وعائشة وحذيفة وأبي سعيد الخدري وغيرهم ، رفعوه عنه بأبيه ،

وتجد أحاديثهم في المصادر التالية:

- ١- صحيح البخاري ٢٩/٥ ط بولاق.
- ٢- فتح الباري ١٠٦/٨
- ٣- إرشاد الساري.
- ٤- عمدة القاري.
- ٥- تفسير الطبرى ٢٦٤/٣ ط مصر سنة ١٣٧٣هـ.
- ٦- تفسير القرطبي ٨٣/٤
- ٧- تفسير السيوطي ٢٦٤/٣
- ٨- سنن الترمذى ٧٠١/٥
- ٩- مستند أحمد ٣٩١/٥
- ١٠- جمع الفوائد للروذانى ٣٦٤/٢
- ١١- مصابيح السنة للبغوى ٢٠٨/٢
- ١٢- خصائص النسائي، ص ٣٣
- ١٣- الخصائص الكبرى للسيوطى ٣٦٠، ١٧٨/٣
- ١٤- مشكاة المصابيح للتبزى ٢٠٥/٣ ط دمشق.
- ١٥- مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ١٥١/٣
- ١٦- حلية الأولياء ١٩٠/٤
- ١٧- الصواعق المحرقة، ص ١١٤ ط الميمنية.

- ١٨- تاريخ ابن كثير ٦١، ٦٠/٢.
- ١٩- الاستيعاب: في ترجمتها على لسانها.
- ٢٠- وغيرها.
- ٢١- سيدة نساء المؤمنين:
- عن عائشة، وتجدها في المصادر التالية:
- ١- صحيح البخاري ٢٩/٥ ط بولاق.
- ٢- صحيح مسلم ٢٤٩/٢ ط بولاق. وشرحه للنووي والآبي.
- ٣- سنن ابن ماجة ٥١٨/١ ط سنة ١٣٧٢هـ.
- ٤- مسنن أحمد ٢٨٢/٦.
- ٥- مصايح السنة ٢٠٥/٢.
- ٦- مشكاة المصايح ٢٥٥/٣.
- ٧- جمع الفوائد ٣٦٣/٢.
- ٨- مشكل الآثار ٤٩/١.
- ٩- خصائص النسائي، ص ٣٤.
- ١٠- الخصائص الكبرى للسيوطى ٣٦٠/٣.
- ١١- تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٩٩/١.
- ١٢- الصواعق المحرقة، ص ١١٤ ط الميمنية.
- ١٣- الثغور الباسمة للسيوطى (نسخة مخطوطة).

١٤- الدرة اليتيمة للميرغني (نسخة مخطوطة).

وغيرها وغيرها.

٤- سيدة نساء هذه الأمة:

عن عائشة، وتجد حديثها في المصادر التالية:

١- صحيح البخاري ٤/١٩٧٨، كتاب الاستذان، باب ٤٣، ط المكتبة
العصرية، بيروت سنة ١٤١٧هـ.

٢- صحيح مسلم ٢/٢٤٩ ط بولاق، وشرحه للنووي والآبي.

٣- سنن ابن ماجة ١/٥١٨ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٤- مسنن أحمد ٦/٢٨٢.

٥- مشكل الآثار ١/٤٩.

٦- الاستيعاب ٤/١٨٩٤ في ترجمتها عليها السلام.

٧- مسنن الطيالسي، ص ١٩٧ في أحاديث النساء،.

٨- خصائص النسائي، ص ٣٤ - ٣٥.

٩- الخصائص الكبرى للسيوطى ٣/٣٦١.

١٠- جمع الفوائد ٢/٣٦٣.

١١- تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٢٩٩.

١٢- مستدرك الحاكم ٣/١٥٦.

١٣- المعجم الكبير للطبراني ٢٢/٤١٩.

١٤- السنن الكبرى للنسائي .١٤٦/٥ ، ٢٥٢/٤

١٥- الطبقات الكبرى لأبي سعد .٢٧/٨ ، ٢٤٨/٢

١٦- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .٧٦٢/٢

وغيرها وغيرها.

٥- سيدة نساء أمّتي:

عن أبي هريرة، وتجده حديثه في المصادر التالية:

١- مجمع الزوائد ٢٠١/٩ ، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مروان الذهلي، ووثقه ابن حبان.

٢- خصائص النسائي ، ص ٣٤ .

٣- السنن الكبرى للنسائي .١٤٦/٥

٤- سير أعلام النبلاء ٩٢/٢ .

٥- إسعاف الراغبين (بها مشارق الأنوار للحمزاوي، ص ١٦٢).

٦- المعجم الكبير للطبراني ٤٠٣/٢٢ ، ٤١٦ .

٧- التاريخ الكبير للبخاري ١٣٢/١ .

٨- تهذيب الكمال .٣٩١/٢٦ .

٦- سيدة نساء عالمك:

عن عمران بن الحصين، وحديثه تجده في المصادر التالية:

- ١- مشكل الآثار للطحاوي ٥٠/١.
- ٢- سير أعلام النبلاء ٩١/٢.
- ٣- الشغور الباسمة للسيوطى (مخطوط).
- ٤- ذخائر العقبي، ص ٤٣.
- ٥- حلية الأولياء ٤٢/٢.
- ٦- الاستيعاب ٤/١٨٩٥ في ترجمتها عليها السلام.
- ٧- معتبر المختصر ٢٤٧/٢ ط عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتسبى بالقاهرة.

٧- خير نساء عالمها:
عن عروة رفعه، تجده في المصادر التالية:
١- المطالب العالية لأبن حجر ٤/٦٨. ذكر أنه في مستند الحارث
وقال: هذا مرسلاً صحيح الإسناد.

- ٢- السيرة الدخلانية (بها ملخص السيرة الحلية ٢/٦).
- ٣- الخصائص الكبرى للسيوطى ٣/١٧٨.
- ٤- فيض القدر ٣/٤٣٢.

٨- خير نسائها:
عن علي ، وحديثه تجده في المصادر التالية:
١- المطالب العالية ٤/٦٨.

٢- الخصائص الكبرى للسيوطى .١٧٨/٣

٩- خير نسائكم:

عن ابن مسعود، وحديثه تجد في المصادرين التاليين:

١- تاريخ بغداد ٣٩١/٤

٢- كنز العمال ١٠٢/١٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٣٩٩هـ.

وقال: أخرجه ابن عساكر عن ابن مسعود.

١٠- أما إنها سيدة النساء يوم القيمة:

عن جابر بن سمرة كما في حلية الأولياء .٤٢/٢

هذه عشرة أحاديث خصّتها بالسيادة والأفضلية، وهناك عشرة أخرى شرّكت بينها وبين ثلات من النساء كان لهن من الفضل والجلالة، بمحق ما كان منهن من الرعاية والكافلة لأصحاب النبوة والرسالة، وهن حسب التسلسل الزمني: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخدّيجة بنت خويلد.

وفي جميع هذه العشرة ورد حصر الفضل والكمال بأربع، مما ينبي عن أنّ الخير والسيادة فيهن لا في غيرهن، وذلك الحصر دليل على سمو الانتقاء وعلو الاصطفاء، ولنقراً ما يلي:

١- عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أربعة خطوط، ثم قال: أتدرؤن ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى

الله عليه [وآله] وسلم، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم.
الحديث.

وهذا الحديث أخرجه الحفاظ وأئمة الحديث بأسانيد صحيحة،

فراجع:

- ١- مسند أحمد بن حنبل ١/٣٢٢، ٣١٦، ٢٩٣.
- ٢- المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٢، ٢٦٦ ط الثانية.
- ٣- مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٢/٤٩٧، ٣/١٦٠. قال
الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرطهما ولم يخرجاه. وقد
صححه الذهبي أيضاً.
- ٤- مجمع الزوائد ٩/٢٢٣. وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني،
ورجالهم رجال الصحيح.
- ٥- مشكل الآثار للطحاوي ١/٥٠.
- ٦- المعتصر لأبي المحسن الحنفي ٢/٤٧.
- ٧- فتح الباري ٧/٢٥٨. وقال: أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى
والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد، والحاكم قال: وله شاهد من حديث
أبي هريرة في الأوسط للطبراني، ولا حمد في حديث أبي سعيد.
وقال أيضاً في ص ٢٨٢: وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن
عباس: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة وفاطمة ومريم وآسية.

- ٨- تهذيب التهذيب ٤٤١/١٢.
- ٩- الاستيعاب ٧٥٠/٢ ط حيدر آباد، ٢٧٧/٤، ٣٦٥ بهامش الإصابة.
- ١٠- الإصابة ٣٦٦/٤.
- ١١- أسد الغابة ٤٣٧/٥.
- ١٢- تفسير ابن كثير ٣٩٤/٤ في سورة التحريم.
- ١٣- تفسير السيوطي في السورة المذكورة.
- ١٤- ذخائر العقبي، ص ٤٢.
- ١٥- ينابيع المودة، ص ١٧٢، ١٧٣ وغيرها.
- ٢- حسبك ، بحسبك ، حسبكم، من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وأسيمة امرأة فرعون، وخدجية بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم.
- عن جابر وأنس وأبي هريرة والحسن رفعوه. وأحاديثهم تجدوها في المصادر التالية:

 - ١- المصنف لابن أبي شيبة ١٣٤/١٢ ط باكستان.
 - ٢- مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ١٥٧/٣، ١٥٨.
 - ٣- سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٦/٢، ٩٢ وقال: وصحح الترمذى

هذا ، وهو... ثم ذكر الحديث بدون لفظ (أربع).

٤- مجمع الزوائد ٩/٢٢٣.

٥- تفسير الرازي ٢/٦٧٠ ط دار الطباعة العامرة في الأستانة.

٦- مناقب ابن المغازلي المالكي ، ص ٢٩١ ط دار الأضواء بيروت

سنة ١٤١٢هـ ، ص ٢٢٣ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت.

٧- كفاية الطالب ، ص ٢٦٣.

وورد هذا الحديث بدون لفظ (أربع) في المصادر التالية:

١- سنن الترمذى ٥/٧٠٣. وقال: هذا حديث صحيح.

٢- المعجم الكبير للطبراني ٢/٧.

٣- الجامع الصغير للسيوطى ١/٣٦٩ ط بولاق.

٤- مسند أحمد ٣/١٣٥.

٥- حلية الأولياء ٢/٣٤٤.

٦- تفسير ابن كثير ١/٣٦٢.

٧- صحيح ابن حبان ١٥/٤٦٤.

٨- المستدرك للحاكم ٣/١٧٢. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيختين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

٩- الأحاديث المختارة ٧/٢٣.

١٠- مشكل الآثار ١/٥٠.

- ١١- المصنف لعبد الرزاق .٤٣٠/١١
- ١٢- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .٧٦٠، ٧٥٥/٢
- ١٣- مستند أبي يعلى ١١٥/٣ ط دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤١٨هـ.
- ١٤- شرح ثلاثيات أحمد .٥١١/٢
- ١٥- ذخائر المواريث ، ص ٤٣.
- ١٦- الفصول المهمة ، ص ١٢٧.
- ١٧- تفسير تنوير الأذهان .٢٤٠/١
- ١٨- مصابيح السنة للبغوي .٢١٠/٢
- ١٩- تحفة الأحوذى .٣٨٩/١٠
- ٢٠- بنيابع المودة ، ص ١٦٩ نقلًا عن الترمذى ، وص ١٩٨ .
وغيرها وغيرها.
- ٣- خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد عليه السلام، وآسية بنت مزاحم .
رواہ أنس وآبی هریرة وغيرهما، والحادیث تجده في المصادر التالية:
- ١- الاستیعاب ٧٥٠/٢ ط حیدرآباد، ١٧٦/٤، ٣٦٥ بهامش الإصابة، ط مصطفى محمد .
- ٢- الإصابة ٣٦٦/٤

- ٣- تهذيب التهذيب ٤٤١/٩.
 - ٤- تاريخ بغداد ٤٠٤/٩.
 - ٥- تفسير الطبرى ٣٩٧/٦.
 - ٦- الجامع الصغير للسيوطى ٦٢٩/١، ورمز له بالصحة. ط دار الفكر في بيروت، سنة ١٤٠١هـ.
 - ٧- كنز العمال ١٢٧/١٣.
 - ٨- منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢٨٤/٥.
 - ٩- ينایع المودة، ص ١٧٣، ١٨٤.
 - ١٠- ذخائر المواريث، ص ٤٤.
 - ١١- تفسير البحر المحيط ٤٥٦/٢.
- وورد هذا الحديث بدون ذكر لفظ (أربع) في موارد الظمان بزوائد ابن حيان، ص ٥٤٩. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨٦/٢، ٩٢.
- ٤- أفضل نساء العالمين أربع: مريم بنت مزاحم، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخدجية بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم.

رواه أنس بن مالك، وحديثه في الاستيعاب ٢٧٧/٢ بهامش الإصابة. وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٣٤١/٢ نقلًا عن مسند أبي يعلى بأسناد حسن عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: أفضل نساء أهل الجنة

خدیجہ بنت خوبیلد، وفاطمة بنت محمد صلی الله علیه [وآلہ] وسلم، ومریم بنت عمران، وآسیہ بنت مزارح امرأة فرعون.

وهو عین ما تقدم نقله عن ابن حجر في الفتح ٢٨٢/٧ حيث قال: وعند النسائي ياسناد صحيح عن ابن عباس: أفضل نساء أهل الجنة... الخ. وهو الذي نقله السیوطی في الدر المشور ٢٣/٢، وقال: أخرجه الحاکم وصححه.

٥- سادات أهل الجنة أربع: فاطمة ومریم وخدیجہ وآسیہ.
عن أبي سعید الخدري ، وحدیثه أخرجه الحافظ الزرندي في نظم درر السمعطین، ص ١٧٨ ط النجف.
٦- سيدات نساء أهل الجنة أربع: مریم وفاطمة وخدیجہ وآسیہ.

عن عائشة، وحدیثها مروی في المصادر التالية:
١- مستدرک الحاکم ١٨٥/٣، وتلخیصه للذہبی.
٢- الجامع الصغیر للسیوطی ١٩/٢.
٣- کنز العمال ١٢٧/١٣.
٤- الفصول المهمة لابن الصباغ الصفاقسی المالکی، ص ١٤٨ ط حجریة سنة ١٣٠٣ھ.
٥- فیض القدیر للمناوی ١٢٤/٤.

٦- التيسير للمناوي أيضاً .٦٥/٢

٧- السراج المنير للعزizi .٣٥٣/٢

٨- نور الأ بصار، ص ٤١ ط الميمنية سنة ١٣١٢هـ.

٩- مقتل الحسين للخوارزمي .٢٥/١

وروى الحديث الطبراني في معجمه الكبير ٣٢٨/١٢، ٣٢٨/١٢، ٧/٢٣ بسنده عن ابن عباس، وليس فيه لفظ (أربع)، وكذا في توير الأذهان ٢٤٠/١ وأشار في الهاشم إلى أن الحاكم أخرجه بلفظ: سيدات نساء أهل الجنة أربع...

٧- أربع نسوة سادات عالمهن: مریم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد صلی الله علیه [وآلہ] وسلم، أفضلهن عالماً فاطمة.

عن ابن عباس، وحدیثه مروی في المصادر التالية:

١- الدر المثور للسيوطی ٢٣/٢

٢- کنز العمال .١٢٨/١٣

٣- منتخب کنز العمال بهامش مستند أحمد ٢٨٤/٥ .٢٨٤/٥

٤- فتح القدیر للشوكانی .٣٠٩/١

٥- سیر أعلام النبلاء .٩١/٢

٦- نظم درر السمحان للزرندي، ص ١٧٨ .١٧٨

- ٧- ذخائر المواريث، ص ٤٤.
- ٨- سيدات نساء العالمين أربع: فاطمة و خديجة و آسية و مريم بنت عمران.
- رواه أبو إسحاق الإسفرايني في كتابه التبصير، ص ١١٠. وقال محققه محمد زاهد الكوثري: وبمعناه عند الطبراني في الأوسط وغيره. (راجع الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩هـ، نشر محمد عزت العطار).
- ٩- إن الله اصطفى على نساء العالمين أربعة: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآلها] وسلم.
- عن أنس، وأخرج حديثه ابن مردويه، وعن رواه السيوطي في الدر المنشور ٢٣/٢.
- ١٠- إن الله اختار من الأيام أربعة، ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعاً... وساق الحديث إلى أن قال: وأما النساء فمريم بنت عمران، و خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إيماناً بالله ورسوله، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، و فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة.

عن ابن مسعود، وحديثه في مقتل الحسين للخوارزمي ٢٥/١.

هذه عشرة أحاديث صرّح فيها بذكر العدد (أربع) مع بيان المعدود، تلقي مع تلك العشرة السابقة التي حصرت بها المعدود دون العدد، فيكون

محصل العشرين جميعاً على اختلاف ألفاظها، وتعدد رواتها، وكثرة مصادرها، أن النساء الأربع المذكورات بأسمائهن، المصرح بأعيانهن، هن أفضل النساء جميعاً من الأولين والآخرين، بل وحتى من الحور العين، كما أفاد غير واحد، منهم المناوي، فقد قال في كتابه فيض القدير: (فائدة) ذكره يعني حديث ابن عباس: أفضل نساء أهل الجنة... الخ. بأن هؤلاء الأربع - يعني بها آسية بنت مزاحم - والأولى أفضل من الأخيرة، والأصح تفضيل أفضل حتى من الحور العين، ولو قال: (النساء) لتوهم أن المراد نساء الدنيا فقط^(١).

وبالتالي تكون المفاضلة بينهن على حد كلام آخر للمناوي أيضاً في كتابه الآخر (التسهيل) عقب به على الحديث المذكور، فقال: والثانية والثالثة - يعني خديجة وفاطمة عليهما السلام - أفضل من الأولى - يعني بها مريم - والرابعة - يعني بها آسية بنت مزاحم - والأولى أفضل من الأخيرة، والأصح تفضيل الثالثة. اه^(٢).

و قبل الخوض في تفصيل موضوع المفاضلة بين النساء الأربع المذكورات في جميع ما مرّ من الأحاديث العشرين وغيرها، أودّ تبيه القارئ إلى حديثين وردان في هذا الباب، إلا أن الأحادي الأثيم شوّهتهما بالتحريف، إمعاناً في التّصب، وإنفصالاً في الكذب، وجرأة على حريم الأحاديث النبوية، وهما:

الأول: ما أخرجه السيوطي في الجامع الصغير قبل ذكره حديث

(١) فيض القدير ٢/٥٣.

(٢) التسهيل ١/١٨٩.

سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم وفاطمة وخدیجة وآسیة (ك) عن عائشة، قال: سيدة نساء المؤمنين فلانة، وخدیجة بنت خویلد أول نساء المسلمين إسلاماً (ع) عن حذیفة ياسناد حسن^(١).

هذا هو الحديث الأول الذي اعتدت على حرمي كذبة الرواية، فنسبوا إلى الرسول الكريم ما لم يقله، فقولوه وتقولوا عليه أنه قال: (فلانة)، ولا شك أن الرسول الكريم ﷺ لم يقل ذلك، بل أوضح عنها وسمّاها كما سمي خدیجة بنت خویلد وأطراها بقوله: «أول نساء المسلمين إسلاماً»، وأنها - بلا ريب - مثلها فضلاً ومقاماً.

فيا هل ترى كيف يعقل أنه يكتسم اسم من هي كخدیجة في الفضل والسيادة؟!

فإذا كان لم يرد ذكرها لم يذكرها لا كنایة ولا تصريحًا. وإذا كان أراد ذكرها فلماذا كتى عنها ولم يصرّح باسمها؟!

إذن فاحتمال أن يكون لفظ الحديث وصل إلينا كما قاله ﷺ احتمال واهٍ، ولا بد أن يكون فيه الكتمان غير المستساغ، والكنایة غير المستحبة إنما كان من وضع الرواية، ولقد صدق القائل في مقولته: (وما آفة الأخبار إلا رواتها).

ومهما كان عذرهم أو الاعتذار عنهم بأنه نسيان من غير قصد، أو تناسٍ متعمدٍ كما هو واقع في كثير من الأحاديث، وربما تبئه بعضهم إلى

(١) الجامع الصغير ١٩/٢ ط بولاق.

الخلل، فبرأً نفسه من عهدة الزلل، فيقول مثلاً: (هكذا سمعت)، أو قال: (شكٌ فلان الرواи) ونحو ذلك. لكن في المقام لا يتسمى لهم ذلك.

وهذا الإضمار في الحديث المشار إليه، والكتابية عن اسم السيدة الأولى بـ (فلانة)، قد أربك شرّاح الجامع الصغير، فلم يكن موقفهم صريحاً ولا موحداً، بل ذهب بعضهم فقوع باب الاحتمال تقليداً للقيل والقال.

فقال المناوي في فيض القدير - ولعل كتابه هذا أوسع شروح الجامع الصغير - في شرح قوله (فلانة) أي مريم، ويحتمل عائشة.اه^(١).

لكنه في شرحه الآخر المسماً بـ (التسهيل) ذكر الحديث، ولم يقل شيئاً^(٢).

أما العزيزي في شرحه (السراج المنير) فلم يتجاهل الأمر كالم나وي في التسهيل، بل نقل رأي غيره، فقال: قال الشيخ: قيل: فاطمة. وقيل: مريم^(٣). لكن الحفني في حاشيته على السراج المنير أغرب فقال في هامشه: (قوله: فلانة) إما عائشة وإما مريم.

وهكذا بدأت سُحبُ الأوهام تصاعد من أفواه أولئك غير المهرة^(٤)، بحسبان أنها تقطي أنوار العقول النيرة، ولا أقل من زرع الشك في النفوس الساذجة، لتسمّي من شاء كما شاء، ما دام الأمر بحسبائهم غير

(١) فيض القدير ٤/١٢٥.

(٢) التسهيل ٢/٦٥.

(٣) السراج المنير ٢/٣٥٣.

واضح، وباب الاحتمال واسع، فليقل من شاء ما شاء، وما دروا أن قوله اللهم ليس مبعثه العواطف والأهواء، وإنما هو وحي السماء، «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ».

على أن في الحديث العاشر. وهو آخر الأحاديث العشرة التي تضمنت ذكر فضليات النساء خديجة وفاطمة ومریم وآسیة، فذكر فيهن العدد والمعدود. دلالة على أن حديث الكتمان باسم (فلان) قد استُخرجَ حرمه وحرمه.

فلنقرأ الحديث العاشر ثانية وهو عن ابن مسعود لتنظر إطراء النبي اللهم خديجة ومدى التشابه بين الإطراءين في الحديث معاً، ثم لتنظر من أطري معها من النساء، فكتمت اسمها زوامل الأنبياء.

قال: واختار من النساء أربعاً... وأما النساء فمریم بنت عمران، وخدیجة بنت خوبیلد سابقة نساء العالمين إيماناً بالله ورسوله، وآسیة بنت مزاحم، وفاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة.

فقارن بين قوله اللهم في حديث ابن مسعود هذا: « وخدیجة بنت خوبیلد سابقة نساء العالمين إيماناً بالله ورسوله »، وبين قوله اللهم في حديث حذیفة - حديث الكتمان والكتابية - « وخدیجة بنت خوبیلد أول نساء المسلمين إسلاماً ». فهل ترى كبير فرق في اللفظ أو كثير تفاوت في المعنى؟؟ فبين الحديثين تشابه إلى حد ما، ولا نجد فيمن ذكره اللهم من بقية النساء من خصائصها بالثناء والإطراء غير فاطمة، فقال: « وفاطمة بنت محمد

سيدة نساء أهل الجنة ».

إذن هل هي التي ذُكرت في حديث حذيفة، فحُذف اسمها، وأُبدلت عنـه كنـية بـغلـانـة، لـرضـنـ في قـلـوبـهـمـ زـادـهـمـ اللهـ مـرـضـاـ؟ـ أوـ هيـ إـحـدـيـ الـبـوـاقـيـ؟ـ

وـعـلـىـ كـلـ فـلـاـ يـخـلـوـ الـأـمـرـ مـنـهـ إـنـ لـمـ يـكـنـ كـلـهـ مـذـكـورـاتـ فيـ حـدـيـثـ حـذـيـفـةـ كـمـاـ هـنـ مـذـكـورـاتـ فيـ حـدـيـثـ اـبـنـ مـسـعـودـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ بـقـيـةـ الـأـحـادـيـثـ الـعـشـرـينـ،ـ وـقـدـ قـدـمـتـ ذـكـرـهـاـ مـعـ مـصـادـرـهـاـ،ـ وـفـيـهـاـ جـمـيـعـاـ اـخـتـصـاصـ الـفـضـلـ بـتـلـكـمـ النـسـاءـ الـأـرـبـعـ،ـ وـتـمـيـزـتـ فـاطـمـةـ عليها السلامـ بـالـتـفـضـيلـ عـلـيـهـنـ،ـ وـقـدـ مـرـ بـعـضـ ذـلـكـ،ـ وـسـيـأـتـيـ بـقـيـةـ الـكـلـامـ فيـ الـمـفـاضـلـةـ إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ.

هـذـاـ كـلـهـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـأـوـلـ،ـ وـهـوـ مـاـ أـسـمـيـاهـ بـحـدـيـثـ الـكـنـيـةـ وـالـكـمـانـ،ـ وـأـمـاـ الـحـدـيـثـ الـثـانـيـ،ـ وـهـوـ مـاـ نـسـمـيـهـ بـحـدـيـثـ الـكـمـالـ وـالـنـقـصـانـ،ـ فـلـقـرـأـهـ كـامـلـاـ،ـ ثـمـ لـنـقـرـأـهـ فـيـمـاـ رـوـيـ نـاقـصـاـ،ـ وـلـنـضـعـهـمـاـ فـيـ كـفـتـيـ الـمـيـزـانـ،ـ لـتـبـيـئـ فـيـهـ آـثـارـ الـزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ،ـ وـتـنـلـوـ عـلـيـهـمـ **«ـفـيـأـيـ آـلـاءـ رـيـكـمـاـ ثـكـدـبـانـ»ـ**.

الـحـدـيـثـ الـثـانـيـ:ـ وـهـوـ حـدـيـثـ نـبـوـيـ شـرـيفـ أـضـفـىـ فـيـهـ عليه السلامـ نـعـتـ الـكـمـالـ عـلـىـ أـرـبـعـ نـسـوـةـ مـنـ الـأـوـلـيـنـ وـالـآـخـرـيـنـ،ـ وـهـنـ مـرـيمـ،ـ وـآـسـيـةـ،ـ وـخـدـيـجـةـ،ـ وـفـاطـمـةـ سـلـامـ اللهـ عـلـيـهـنـ أـجـمـعـيـنـ،ـ وـدـلـ بـفـصـيـحـ لـسـانـهـ وـصـرـيـعـ بـيـانـهـ عـلـىـ حـصـصـ الـكـمـالـ فـيـهـنـ دـوـنـ غـيـرـهـنـ مـنـ النـسـاءـ،ـ إـذـ قـالـ عليه السلامـ:

«ـكـمـلـ مـنـ الرـجـالـ كـثـيرـ،ـ وـلـمـ يـكـمـلـ مـنـ النـسـاءـ إـلـاـ مـرـيمـ،ـ وـآـسـيـةـ اـمـرـأـةـ

فرعون، وخدّيجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد عليهما السلام».

هكذا أخرجه إمام المفسّرين والمحدثين والمؤرّخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، كما أخرجه غيره من أئمّة التفسير وأصحاب الصحاح وأرباب السنن وحافظ المسانيد، بل وحتى مُدوّنِي الفضائل والتاريخ، ولعلّ أصحّهم لفظاً في الحصر وأكملّهم حديثاً من دون مذْ وجذر ما رواه نظام الدين النسابورى في تفسيره، قال: إنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلم قال: كمل من النساء أربع: مریم، وأسیة امرأة فرعون، وخدّيجة، وفاطمة.

ولكن للأسف الشديد إنّ هذا الحديث ناله الأيدي الأثيمه، فدخلت حريمه، تارة تحذف منه وأخرى تزيد، فهشّمته كما يخلو لها هشم الشريد، لتلقي في قصاعها من تزيد.

ولم يكن من عزمي مزيداً من التحقيق، في مسالك هذا الطريق، المودي إلى مفترق طرق تسع وتضيق، ولكن الحقيقة هي التي فرضت نفسها، ولا بد أن تظهر، وإن تجلّلها سحاب الصيف، وتخاللها بريق الذهب والسيف، ولكن سحائب الصيف سرعان ما تنقشع وتنكشف، لتظهر الحقيقة بنورها الوضاء، أنسى من نور ذكاء في الضياء.

فهلّم معى مطوقاً بين تلك المصادر المعتمدة، لكي ترى هذا الحديث وما طرأ عليه من زيادة ونقصان، بل وحتى ذكره فيما لم يمت إلّي من عنوان، وعلى ما أسّس الأولون، هملج التالون، فاختلط الحابل بالنابل، ولكلّ وجهة هو مولّيها، فمنهم من ألغى العدد وأبقى المعدود، ومنهم من

ألفى العدد وأتفصل من المعدود، وثالث زاد عليهمما بدليل لم يكن له وجود، وهكذا صاروا شيئاً في تلك المصادر، فأربكوا الباحث الماهر، فضلاً عن القارئ العابر.

والآن لنعرض المواقف المزدوجة، لنرى ما لأصحابها من هملجة، وهي على ثلات أنماط:

النمط الأول: أصحاب المصادر التي أوردت الحديث صحيحاً، ولكن بدون لفظ (أربع)، منها:

تفسير الطبرى ٦٤/٣ الطبعة الأولى باليمنية، و ٢٦٣/٣ ط مصطفى البابي سنة ١٣٧٣هـ، و ٣٩٧/٦ - ٣٩٨ ط دار المعارف بمصر، تحقيق الأخوين الفاضلين: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر. ورد الحديث كما ذكر، وقد لفت نظري ما علق به المحققان في الهاشم على الحديث المذكور، فقالا: والحديث رواه البخاري ٣٤٠/٦ عن آدم ...، ورواه أيضاً ٦٣٢٠ ...، ورواه أيضاً ٨٣/٧ ...، ونقله ابن كثير في التفسير ١٣٩/٢ عن هذا الموضع من الطبرى، ثم قال - يعني ابن كثير - : (وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به). ثم ذكر أنه استقصى طرقه في التاريخ، ولكنه لم يفعل، فإنه ذكره فيه ٦١/٢ منسوباً إلى الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة. وذكره السيوطي ٢٢٣/٢، وزاد نسبته لابن أبي شيبة.

أقول: في كلامهما مواضع للنظر لا يسوغ لي الإغماض عنها، لأن في ذلك إقراراً على الخطأ، وإغراء بالجهل، وقد نهينا عنه:

أولاً: في قولهما: (والحديث رواه البخاري في كذا وكذا وكذا...)، فعَيْنَا ثلاثة مواضع، وقد فاتهما مكان رابع فلم يذكراه، إما لأنهما لم يعثرا عليه، لأنَّه ذكر في غير مظانه، فهو قد ذكر في باب الشريد في الأطعمة ٧٥/٧، أو أنهما لم يرِيا في ذكره كثير مزيد، ما دام الحديث في فضل عائشة كفضل الشريد.

وثانياً: لم يرد في شيء من تلك الموارد الثلاث التي ذكرهاها والرابع الذي لم يذكراه اسم خديجة وفاطمة، بينما ورد ذكرهما في حديث ابن جرير الذي قال عنه: ورواه البخاري في كذا وكذا وكذا... ولزيادة تبصير القارئ نسوق له ما ذكره البخاري في موارده الأربعه من صحيحه ليتحقق بنفسه:

١- في الأنبياء: باب قوله تعالى «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ» إلى قوله «وَكَانَتْ مِنَ الْقَاتِنِينَ»: حدثنا يحيى بن جعفر، حدثنا وكيع عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الهمданى، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام. اهـ^(١).

٢- في الأنبياء: باب قوله تعالى «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيمُ» إلى قوله «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»: حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن عمرو

(١) راجع ٤/١٥٨ ط بولاق، و ١/٤٨٤ ط الهندي بدھلی.

ابن مرّة، قال: سمعت مرّة المداني يحدّث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وأسيّة امرأة فرعون. اه^(١).

ولا يفوّتني تنبّيه القارئ إلى الاختلاف في المتن بين الصورتين مع اتّحاد السند من شعبة إلى أبي موسى. ففي الأولى: قدّم جزء الكمال على الثريد، وفي الثانية: قدّم فضل الثريد على الكمال، مع العلم أنه ليس بينهما سوى ست صفحات في طبعة بولاق، وأربع صفحات في طبعة الهند. فمن أين جاء هذا التفاوت؟

٣- في المناقب: باب فضل عائشة: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، قال: وحدثنا عمرو، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وأسيّة امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. اه^(٢).

وهذا الحديث الذي يتفق سندًا مع الذي قبله، يختلف في المتن في التقديم والتأخير، فلاحظ.

٤- في الأطعمة: باب الثريد: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر،

(١) راجع ٤٨٨/١ ط بولاق، و ١٦٤/٤ ط الهند بدھلی.

(٢) راجع ٥٣٢/١ ط بولاق، و ٢٩٥/٥ ط الهند بدھلی.

حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة الجملي، عن مرة الهمданى، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وأسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. اهـ^(١).

هذه هي الموضع الأربع التي رواها البخاري، وليس في واحد منها ذكر خديجة ولا فاطمة، فإذا كان مراد المحققين الفاضلين هذه الموارد - وذلك قطعاً مرادهما - فain ذكر خديجة وفاطمة فيه كما ورد في حديث ابن جرير، وهو الذي قد علّقا عليه؟

وإذا لم يكن مرادهما ذلك فain هي تلك الموارد التي قالا عنها: ورواه البخاري في كذا وكذا، وصحيح البخاري من أوله إلى آخره خلوًّا سوى ما نقلناه آنفًا؟ فراجع وتحقق بنفسك أيها القارئ الكريم.

وثالثاً: ما نقدا به ابن كثير لنقله الحديث عن ابن جرير في هذا الموضع، وتعقيبه عليه بقوله: (وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طريق شعبة به). ثم ذكر أنه استقصى طرقه في التاريخ، ولكنه لم يفعل، فإنه ذكره فيه ٦١/٢ منسوباً إلى الجماعة إلا أبا داود من طريق شعبة.

أقول: إن نقدهما له بأنه لم يستقص طرقه في التاريخ ليس بشيء مهم، بقدر أهمية ما أغفلاه أو تغافلا عنه، وهو عدم التطابق بين ما نقله ابن كثير عن ابن جرير، وبين ما هو الموجود في تفسير ابن جرير، فإن

(١) راجع ٧٥/٧ ط بولاق، و ٨١٤/٢ ط الهند دهلي.

الموجود فيه ذكر مریم وآسیة وخدیجة وفاطمة، والمنقول عنه في ابن کثیر خلوه من ذكر خدیجة وفاطمة^(١) .. وهذا -أعني عدم التطابق- كان أولى وأهم بالتنبیه عليه مما ذکرناه، فإنه يدل على عدم أمانة النقل عند الرواة وعند المؤلفین.

ورابعاً: إغفالهما أو تغافلهما الإشارة إلى ما ذکرها ابن کثیر في تفسیره وفي نفس الموضع، وذلك قبل نقله لحدیث ابن جریر المشار إليه آنفاً، قال: ومن طریق شعبۃ عن معاویة بن قرۃ، عن أبیه، قال: قال رسول الله صلی الله علیه [وآلہ] وسلم: کمل من الرجال کثیر، ولم یکمل من النساء إلا ثلث: مریم بنت عمران، وآسیة امرأة فرعون، وخدیجة بنت خویلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الشیرد على سائر الطعام. اهـ.

أقول: هذا الحدیث أيضاً رواه من طریق شعبۃ، وإن كان إسناده لا ينتهي إلى أبی موسی الأشعري، بل إلى قرۃ. وهو أبی إیاس. وقد رواه أيضاً في التاریخ^(٢)، وعقب عليه في المقامین بما لا یعنینا في المقام نقله، إلا أنه في المقام الثاني قال: رواه ابن مردویه في تفسیره، وهذا إسناد صحيح إلى شعبۃ. وقال بعده: والقدر المشترک بين الثلث نسوة: آسیة ومریم وخدیجة، أن کلاً منهن کفلت نبیاً مرسلأً، وأحسنت الصحبة في کفالتها وصدقته... ثم بین کفالة کل واحدة منهن...

(١) راجع تفسیر ابن کثیر في سورۃ آل عمران، الآیة ٤٢، واقرأ ما نقله عن ابن جریر، وقارنه بما ذکرها ابن جریر في تفسیر الآیة المذکورة، وقد مر.

(٢) البداية والنهاية لابن کثیر ٦١/٢، ١٢٩/٣.

إلى أن قال: وقوله: (وفضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام) هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة، عن مرة الطيب الهمداني، عن أبي موسى الأشعري... فذكر الحديث الذي مرّ نقله عن ابن جرير، ثم استمر في بيان المفاضلة بينها وبين النسوة المذكورات في حديث قرة.

فكان على المحققين الفاضلين الإشارة إلى هذه الموارد التي صرخ فيها أيضاً بما ذكره ابن جرير، كما كان من الخير التتبّع على ما رواه عن قرة والذي ورد فيه حصر الكاملات من النساء في ثلاثة، فإن في ذلك ما يسلط الضوء على مدى التلاعُب بالأحاديث حسب الأهواء.

وخامساً: قال: وذكره السيوطي ٢٣/٢، وزاد نسبته لابن أبي شيبة. يعني أن السيوطي زاد ابن أبي شيبة مضافاً إلى ما ذكره ابن كثير من تخریج الجماعة إلا أبا داود، والجماعة. كما مرّت الإشارة إليهم. هم البخاري ومسلم والترمذی والنسائي وابن ماجة... مضافاً إلى ابن جرير.

أقول: لم يبعد السيوطي كثيراً عن خط ابن كثير في هذا المقام، بل هو مثيله وسبيله سبيله، في اختزال ذكر خديجة وفاطمة من الحديث، فهو أيضاً صرّح بنسبته في تخریج الحديث إلى ابن أبي شيبة والجماعة وإلى ابن جرير. وقد مرّ بنا مدى التفاوت بين حديث البخاري. وهو أول الجماعة. الحالى عن ذكرهما. خديجة وفاطمة، وبين حديث ابن جرير في هذا المقام. فمن الخطأ الفاحش عند السيوطي كما عند ابن كثير حشر ابن جرير مع

الجامعة في صعيد واحد، لما بينهم وبينه من بون، فهو يذكر خديجة وفاطمة، ولا يذكر حديث الشريد في ذيله، وهم يمحضون اسم خديجة وفاطمة، ويشتبهون حديث الشريد، فما صنيع ابن كثير والسيوطى وأضرابهما من المؤلفين بل وحتى المحققين الفاضلين إلا خلط للأوراق، وتشويش لأذهان السُّلَج البسطاء من القراء، وتعتيم على الحقيقة.

الثاني من النمط الأول: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي الصفاقسي، فإنه قال في فضائل الزهراء: وروي باللفظ الصريح يرويه كل من البخاري ومسلم والترمذى عن النبي ﷺ أنه قال: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وأسيمة بنت مزاحم امرأة فرعون، وخدية بنت خوبلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ.^(١)

الثالث: مطالب السؤول لحمد بن طلحة الشافعى، في فضائل الزهراء قال: وكانت من أكمل النساء عقلاً ودينًا، وقد وصفها رسول الله ﷺ به بالاتفاق، وأثبتت الكمال على الإطلاق، فقال فيما أسنده نقلة الصحاح، وروته من الفاظه الفصاح، يرفعه كل واحد من البخاري ومسلم والترمذى بسنته في صحيحه عنه ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وأسيمة امرأة فرعون، وخدية بنت خوبلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»، فأفاض عليها حلة الكمال، وناهيك بها خلة هي أشرف الخلال.^(٢)

(١) الفصول المهمة، ص ١٤٨.

(٢) مطالب السؤول، ص ١٠ ط حجرية قديمة سنة ١٢٨٧هـ.

تنبيه وإيقاط:

اعلم أن رسول الله ﷺ قد حكم بصفة الكمال لكل واحدة من هؤلاء الأربع: مريم وآسية وخدية وفاطمة. فكل واحدة منهن كاملة في ذاتها، وقد اختصت فاطمة دونهن بحصول أسباب تقتضي علو درجتها في صفتها على رفقتها، لم تحصل لواحدة منهن، ف تكون باعتبار تلك الزيادة أكمل منهن.

وبيان ذلك: أن صفة الكمال ثابتة لكل واحد من أصليتها: رسول الله ﷺ، وخدية رضي الله عنها. أما كمال رسول الله ﷺ فإليه المتنهى، وهو الغاية القصوى، وأما خديجة فقد ثبت كمالها بالحديث المذكور، والولد جزء من الأبوين، فتضاف إلى كمال فاطمة لذاتها زيادة من كمال أبيها وكمال أمها، ف تكون أكمل النساء على الإطلاق، وفي ذلك دلالة شافية وتبصرة كافية.

النمط الثاني: وهم أصحاب المصادر التي ذكرت الحديث مشتملاً على النساء الأربع عدداً ومعدوداً، لكن أضافت إليه ذيلاً ليس منه، بل هو غريب عنه.

1- تفسير أبي السعود. قال: وعن النبي ﷺ: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخدية بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(١).

(١) تفسير أبي السعود (بها مش تفسير الرازي ٢٣٨/٨ ط الأستانة).

٢- تفسير تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ محمد علي الصابوني، ورد فيه عين ما سبق عن تفسير أبي السعود، وعلق في الهاشم بقوله: الحديث أخرجه الشیخان۔ يعني البخاري ومسلم۔ والترمذی وابن ماجة نحوه، وهذه الرواية ذكرها رزین، وانظر جامع الأصول ١٢٤/٩، ومستند الإمام أحمد، ورواية البخاري ومسلم اقتصرت على ذكر مريم وخدیجة. وفي رواية الترمذی: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد صلی الله علیه [وآلہ] وسلم، وآسیة امرأة فرعون»، وانظر فضائل النساء الصحاییات في جامع الأصول ١٢٠/٩^(١).

٣- تفسير البيضاوی، أورد الحديث كما مرّ عن تفسير أبي السعود وتتویر الأذهان^(٢).

٤- تفسير المراغی، قال: روى أحمد في مستنده: سيدة نساء أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة. وفي الصحيح: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومریم ابنة عمران، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام^(٣).

أقول: قد سبق من المراغی قوله: ویؤیده - تفضیل مريم - قوله صلی

(١) تفسير تنویر الأذهان ٤/٣٦٠.

(٢) تفسير البيضاوی ٤/٤٤٠ ط أفتست دار الفكر بلبنان عن المطبعة الميمنية سنة ١٣٣٠هـ.

(٣) تفسير المراغی ٢٨/١٧٠.

الله عليه [وآله] وسلم: «سيدة نساء أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون»^(١). فلم يرد ذكر عائشة في هذا الحديث، فمن أين جاء به أول؟؟

ثم قال: أو المراد نساء زمانها، ويريد ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس أنه قال صلى الله عليه [وآله] وسلم: كمل من نساء العالمين أربع: مريم وآسية امرأة فرعون وخدية وفاطمة.

أقول: وهذا من صور حديث الكمال، ولم يرد فيه ذكر عائشة، لا في الصدر ولا في الذيل، فلاحظ.

النمط الثالث: وهم أصحاب المصادر التي ذكرت الحديث مشتملاً على ذكر النساء الأربع، ولم تذكر العدد، فهم كالنمط الأول لولا إضافتهم إليه الذيل الغريب عنه.

١- جامع الأصول لابن الأثير، في فضائل خديجة بنت خويلد:
 (خ م ت) علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»، أخرجه البخاري ومسلم والترمذى. زاد مسلم في روايته: قال أبو كريب - أحد الرواة - : (وأشار وكيع إلى السماء والأرض). زاد رزين^(٢): أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال:

(١) المصدر السابق ١٥١/٣

(٢) رزين هو معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي، أبو الحسن إمام الحرمين، =

كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وأسية امرأة فرعون، وخدية بنت خوبيلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. اه^(١).

٢- تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الدبيع الشيباني في فضائل خديجة، ورد فيه عين ما تقدّم عن جامع الأصول، وزاد بتعليق مؤلفه على قول ابن الأثير: (زاد رزين) قال الشيباني: قلت: ما زاد رزين أخرجه البخاري بدون ذكر خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، والله أعلم^(٢).

أقول: لم يكن البخاري وحده صنع ذلك، بل حتى البقية الذين ذكرهم أخرجوه بدون ذكر خديجة وفاطمة، فراجع.

٣- شرح ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل للسفاريني، قال: وقد روى الإمام أحمد والطبراني من حديث أنس، وفي الصحيحين من حديث علي، قال: سمعت صلی الله عليه [وآلہ] وسلم يقول: خير نسائهما مريم بنت عمران، وخير نسائهما خديجة بنت خوبيلد.

قال أبو كريب: (وأشار وكيع إلى السماء والأرض). زاد رزين... فذكر ما سبق نقله عنه كما مرّ عن جامع الأصول وتيسير الوصول، ثم عقب السفاريني فقال: رواه - يعني ما زاده رزين - أحمد والشیخان

= جاور مكة وتوفي بها سنة ٥٣٥هـ، له تصانيف منها: (التجريد للصحابي الست)، ويعرف بالجمع بين الصحاح.

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٨١/١٠ الحديث رقم ٦٦٥٧.

(٢) تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٣٤١/٣.

والترمذى وابن ماجة من حديث أبي موسى الأشعري^(١).

هذه هي مصادر الأنماط الثلاثة التي ذكرت حديث الكمال، وصرّحت بأسماء النساء الأربع، تارة مع لفظ العدد (أربع)، وأخرى مع إضافة الذيل في فضل عائشة كفضل الشريد على الطعام، وهي على ما بينها من تفاوت في الإسناد والمعنى تكاد تكون مجمعة على أمر جامع، وهو ذكر خديجة وفاطمة فيه.

وثمة نمط آخر فيه التواه وتضييع ر بما يتعدى من صاحبه، وهو (جمع الزوائد) لنور الدين البيشمى، قال في آخر باب ما جاء من الفضل لمريم وأسيمة وغيرهما: وبقية الأحاديث التي فيها: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربعة» في مواضعها مفرقة: في فضل آدم وفاطمة وخدية وفاطمة. اهـ^(٢).

أقول: لدى مراجعة الموضع التي أشار إليها لم نجد ما أحال عليه، فلم يذكر في (باب نبينا - ظ : أبينا - آدم أبي البشر عليه السلام) شيئاً من ذلك^(٣). كما لم يذكر في باب مناقب فاطمة حديث الكمال، بل ذكر أحاديث أخرى في فضلها منفردة ومجتمعة مع غيرها^(٤).

وكذلك لم يذكر في باب فضل خديجة حديث الكمال، بل ذكر

(١) شرح ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل ٥١١/٢.

(٢) مجمع الزوائد ٢١٨/٩.

(٣) راجع نفس المصدر ١٩٩/٨.

(٤) راجع نفس المصدر ٢٠١/٩ - ٢١٢.

أحاديث أخرى فيها أسماء الأربع، وقد تقدم ذكرها^(١).

فهو لم يذكر حديث الكمال في شيء من الموضع التي أحال عليها، وما أدرى هل أن المؤلف البشمي غفل عنها فلم يف بوعده، أو أن النسخة المطبوعة فيها نقص في الأماكن الثلاثة المشار إليها، وأحال عليها، فالله أعلم.

فانظر أيها القارئ الكريم بعد هذا التطواف بين جميع ما تقدم من الأحاديث ومصادرها، إلى جميع ما أسلفناه من ذكر عشرة أحاديث خاصة بسيادة فاطمة عليها السلام، وعشرة أخرى شاركت في الفضل والسيادة ثلاثة من فضليات النساء، وهن: مریم وآسیة وخدیجة. ثم أتمناها بعشر حصرت الفضل فيهن لا غير، لقوله عليه السلام: «ولم يكمل من النساء إلا أربع». فهل لديك شك أو ريب بغرابة إلحاق الذيل، وأنه لم يكن جزءاً من حديث الكمال، وإنما الحقه من لا حرية له في الدين، بل تجاوز الحد حين خشي أن يفضحه ذكر العدد عند العد، فحذف وغيره، ولكنه باء بالخسران، إذ أنطقه الله بواضح البرهان، فكشف الزيادة والنقصان في تخریج الحديث بصورةه الصحيحة، إذ قال: أخرجه في الصحاح وغيرها فلان وفلان.

ونحن إذا راجعنا المصادر المذكورة نجدها خلواً من ذلك، فإما أن تكون النسبة صحيحة، وطراً الحذف والتغيير في تلك المصادر بعد مؤلفيها، وهذا ما يسلب الثقة بها والاعتماد عليها.. كيف وهي دواوين الإسلام في

(١) راجع نفس المصدر ٢١٨/٩ - ٢٢٥.

التفسير والحديث والتاريخ.

وإما أن تكون النسبة غير صحيحة، وهذا يوهن أولئك الجمهرة من المفتين.. كيف وهم الحفاظ والأئمة، لافتئاتهم على أشياخهم وذوي السابقة منهم. فـأي الحالتين يا ترى ينبغي الالتزام بها؟؟

ولإنماً للفائدة وإكمالاً للعائدة، نذكر ما في تلك المصادر على نحو الإشارة، لترجع إليها وتحكم عليها، فالحق أحق بالإتباع، ولا تكن من المقلدة الرّاع، فاقرأ الحديث منقوصاً ومزيداً في المصادر التالية:

١- صحيح البخاري، وقد ذكر ما فيه في موارد أربعة، وكلها تنتهي بإسنادها إلى أبي موسى الأشعري.

٢- صحيح مسلم ٢٤٣/٢ ط بولاق، و ١٣٢/٧ - ١٣٣ ط مشكول،
محمد علي صبيح، وبأعلا شرح الصحيح للنسووي ٣٨٩/٩ في فضائل
خدجية. ذكر حديث: «لم يكمل من النساء غير مریم بنت عمران، وأسية
امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر
الطعام»، وسند الحديث ينتهي إلى أبي موسى أيضاً كما في البخاري.

أقول: لاحظ مورد الغرابة في هذا، فمسلم يخرج هذا الحديث في
فضائل خديجة، ثم لا يورد لها ذكراً في الحديث المذكور، فمن اعتدى على
ال الحديث؟؟ ومن أين جاءه الخلل؟؟

من المؤلف؟؟ كيف وهو أحد الشيوخين!!

أو من رواة كتابه .. وهو أحد الصحيحين!!

- ٣- سنن الترمذى ٢٧٥/٤، في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل الثريد.
- ٤- سنن ابن ماجة ١٠٩١/٢، ط بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، في باب فضل الثريد على الطعام.
- ٥- سنن النسائي ٦٨/٧، في عشرة النساء، في حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض.
- فهؤلاء الخمسة التي تكاد المصادر المتأخرة تجمع على أن الحديث ورد فيها وفيه ذكر خديجة وفاطمة، ونسخها فعلاً خلو من ذلك.
- ٦- المصنف لابن أبي شيبة ١٢٨/١٢ ط باكستان، في باب فضل عائشة، ولم يرد فيه ذكر خديجة وفاطمة كما في السابق عليه من المصادر.
- ٧- مسند أحمد ٤/٣٩٤، ٤٠٩ ط مصر الأولى.
- ٨- مشكاة المصايب ١١٨/٣، باب بده الخلق وذكر الأنبياء، آخر الفصل الأول، حديث ٥٧٢٤ ط المكتب الإسلامي بتحقيق الألباني.
- ٩- كنز العمال ١٢٧/١٣ ط حيدر آباد (الثانية) سنة ١٣٨٥هـ، وأشار إلى تخریجه عن أحمد والبیهقی والترمذی وابن ماجة عن أبي موسی.
- ١٠- الجامع الصغیر ٢/١٧٧ ط بولاق.
- ١١- حلية الأولياء ٩٩/٥، ذكر في ترجمة عائشة بسنده إلى شعبة، ثم بعين السند والمتنا كما في البخاري وغيره.
- ١٢- صفة الصفوة ١٧/٢، ذكر الحديث كما في الخلية وقال: أخر جاه

في الصحيحين.

- ١٣- تفسير القرطبي ٨٣/٤، نقلًا عن مسلم في الصحيح.
- ١٤- تفسير السيوطي ٢٣/٢، نقله عن ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن جرير، وقد مرَّ الكلام حول حشر الآخر مع الجماعة.
- ١٥- تفسير الخازن ٢٣/١ نقلًا عن ابن ماجة.
- ١٦- فتح القدير للشوكاني ٣٠٩/١، قال: وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى... وذكر الحديث.
- ١٧- تفسير ابن كثير ٣٦١/١، ٣٩٤/٤، وقد مرَّ ما يتعلّق بما فيه من الكلام على ما علّق به محقّقاً تفسير ابن جرير في المقام، فراجع.
- ١٨- تاريخ ابن كثير، ذكره في عدة موارض، وقد تقدّم ذكر بعضها، وما لم نذكره ٩٢/٨ - ٩٣، قال: وفي صحيح البخاري أيضًا عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وخدّيجة بنت خويلد، وأسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام.

أقول: لقد أغرب ابن كثير في هذا المقام بما لم يسبق إليه أحد، ولم يتابعه عليه من بعده أي واحد من مؤلّفي تاريخ الإسلام، فهو ينسب الحديث بهذه الصورة إلى صحيح البخاري، وقد مرَّت بك أحاديث

البخاري في موارده الأربع، فراجع وقارن، فهل تجد حديثاً واحداً يصدق ابن كثير في روايته، بل لا تجد في جميع الصحاح المذكورة وبقية الأسماء المزبورة ما يوافق روايته.

نعم مرّ عنه ذكر حديث قرة بلفظ هذا الحديث، وفيه ذكر النساء الثلاث، ثم حديث الثريد كما هنا. وقد ذكره في تفسير سورة آل عمران، الآية ٤٢، فراجع تفسيره.

فهل اختلط عليه الحابل بالنابل، فذكره في التفسير منسوباً إلى قرة، وفي التاريخ منسوباً إلى أبي موسى الأشعري، ومخرجاً عن صحيح البخاري ؟؟

يبقى الجواب عن ذلك ليوم الحساب..

١٩- مشكل الآثار للطحاوي ٥٢/١، ذكر بسنده حديث أبي موسى، ثم حاول أن يوْفَّقَ بينه وبين ما ورد في فضل فاطمة عليها السلام، ولم يكن موفقاً في محاولته تلك، لأنَّه أتى باحتمالات واهية... منها: احتمال أن يكون حديث الكمال قاله عليه السلام قبل بلوغ فاطمة واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله عليه السلام لها.

ألا مسائل ذلك الإنسان: أي بلوغ يعنيه ؟؟ فهو بلوغ السن، وقد كانت فاطمة أكبر من عائشة سنًا، أم هو بلوغ الرتبة في الكمال، وهل عاقل يذهب إلى بلوغ عائشة رتبة في الكمال لم تبلغها فاطمة ؟؟ وهل ذلك إلا قياس مع الفارق؟

٢٠- سير أعلام النبلاء ٢، ١٠٤/٢، ذكر الحديث عن شعبة إلى أبي

موسى...

هذه أسماء عشرين كتاباً ورد فيها حديث الكمال مهشوماً من صدره، ومزيداً في ذيله سوى المصادر الأخرى التي هي بمثابة ثانوية، مثل: شروح البخاري كالفتح لابن حجر، وإرشاد الساري للقسطلاني، وعمدة القارئ للعيني وغيرها، ومثل شروح مسلم للنووي والأبي والحسيني وغيرها، ومثل شرح سنن الترمذى كتحفة الأحوذى، ومثل شروح الجامع الصغير كفيض القدير والتيسير والسراج المنير.

فكل ما ذكرناه في هذه العجالة وغيره خلو من ذكر خديجة وفاطمة عليهما السلام في ضمن النساء المذكورات في حديث الكمال، ومذيل بحديث فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام.

ولمزيد التحقيق في أن صفة الزيادة ألحقت بعد ذلك ورود حديث الشريد مفرداً دون حديث الكمال في جملة من المصادر بنفس الإسناد المنتهي إلى أبي موسى الأشعري. فراجع الإصابة والاستيعاب وغيرهما.

وظني - وظن الأمعي يقين - أن أبي موسى إن كان روى حديث الكمال فقد رواه بمفرده، وإن كان قد روى حديث الشريد فقد رواه بمفرده، فجمعهما غيره لوحدة إسنادهما، حاجة في نفسه قضاهما. والذي يدل على ذلك ما تجده في معجم الطبراني الكبير حيث ذكر حديث أبي موسى (كمل من الرجال) كما هو في الصحاح وبقية المصادر من ذكر مریم وآسية فقط،

ثم قال بعده: وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: فضل عائشة... الخ حديث الشريد^(١)، وذلك يشعر بتغايرهما، ولو كان ذلك كله حديثاً واحداً لما كانت حاجة إلى قوله ثانياً: (وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم). فالعطف دليل التغاير، فلاحظ.

وبيزدنا اطمئناناً بتغاير الحدثين رواية حديث الشريد مفرداً عن حديث الكمال عن عدّة من الصحابة، فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن قرة بن إياس كما في مجمع الزوائد، وعقب البيشمي على حديثي ابن عوف وسعد بما يشعر بتمريضهما، فراجع^(٢).

كما روي الحديث عن أنس كما في معجم الطبراني، وأسد الغابة، وجامع الأصول، ومصابيح السنة^(٣).

وعن عائشة نفسها، وحديثها في طبقات ابن سعد في ترجمتها^(٤) وغيرها، فراجع.

والآن وقد طالت رحلتنا وتطوافنا في رحاب الفضيلة الثانية من خصائص الزهراء عليها السلام، وتفيّاناً بأفانيها، وتنسمنا عبر أجوانها، وإن لم نُجب جميع أرجائها، لأن الحديث عنها وفيها عريض طويل، فلننعد إلى

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٤/٢٣.

(٢) مجمع الزوائد ٢٤٣/٩.

(٣) المعجم الكبير للطبراني . أسد الغابة ٥٠٣/٥ . جامع الأصول ٨٧/١٠ . مصابيح السنة ٢٠٩/٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥٥/٨ .

بقية الفضائل.

الفضيلة الثالثة: وهي كونها (صِدِيقَة)، ومعنى الصَّدِيقَةِ والصَّدِيقَةِ هو من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فوافق قوله فعله، وطابق ظاهره باطنه، ومنزلته دون النبي وفوق الشهداء والصالحين، لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَيْنِ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١).

قال الألوسي في تفسير الآية المذكورة في (روح المعاني): فالممازل أربعة، بعضها دون بعض.

الأولى: منازل الأنبياء: وهم الذين تقدّهم قوة إلية، وتصبحهم نفس في أعلى مراتب القدسية، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبينا صلى الله عليه [وآله] وسلم ﴿أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾.

والثانية: منازل الصديقين: وهم الذين تأخروا عن الأنبياء عليهم السلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد، وإيّاه عنى علي كرم الله وجهه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد ربّاً لم أره. ثم قال: لم تره العيون بشهادة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيان.

والثالث: منازل الشهداء: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المراة من مكان قريب، كحال من قال: كأنني

أنظر إلى عرش ربّي بارزاً. وإيّاه قصد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بقوله: أعبد الله كأنك تراه.

والرابع: منازل الصالحين: وهم الذين يعلمون الشيء بالتقليد الجازم، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة، وإيّاه قصد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بقوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قاله الراغب، ونقله الطبي وغيرة^(١).

وإذاً عرفنا معنى الصديقية، وأنها مساواة في الكمال المتناهي في النبوة، إلا أنها دونها في الرتبة، مع فارق آخر هو أن النبوة والرسالة لا تكون إلا في الرجال، لأن مبناهما الدعوة والظهور، والنساء لهن الصون، وعليهن الحجاب، فلم تكن لهن رسالة ولا فيهن نبوة، وإن ذهب بعضهم فأغرب وقال بنبوة مريم عليها السلام بل وغيرها، ورد ذلك عليه كما هو الحق.

وما تخيل ذلك إلا من مخاطبة الوحي لها بالاصطفاء والاجتباء والتطهير، ولم يدرك أن ذلك يحصل للصديقين أيضاً كما يحصل للأنبياء عليهم السلام، فقوله تعالى في سورة آل عمران «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»^(٢) لا يدل على نبوتها، ولا غيره من خطاب روح الله القدس لها ومن حال اختصها به، إنما كان ذلك تكريماً لها، وإعراباً عن مكانتها الصديقية، كما سماها

(١) روح البيان ٦٨/٥ ط المتنبي.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٢.

بذلك في قوله تعالى في سورة المائدة «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمَ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَائِنًا يَأْكُلُانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ
تُبَيَّنُ لَهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ»^(١).

فسمّاها الله تعالى صديقة، ولم يسمّها رسولاً كما سمى ابنها المسيح
عيسى عليهما السلام.

فالصادقة مقام سامي في الكمال لا يناله إلا من اختصه بفضله، وذلك
فضل الله يُؤتَيه من يشاء من عباده.

ولأجل هذا كانت فاطمة الزهراء عليها أفضلي من مريم عليها، لأنها
كانت صديقة أيضاً، لاصطفاء الله تعالى لها مع أبيها وبعلها وابنيها، الذين
خصّهم بالتطهير، فعصمهم من كل رجس، وطهّرهم تطهيراً.

وعلى ذلك كافة الشيعة وجمهور كثيرة من أعلام المسلمين من
غيرهم، مستدلين بالأية الكريمة، وقد مر الكلام فيها، ومؤكدين ذلك
بالأحاديث النبوية الشريفة، نحو قوله عليه السلام: أُوتِيتَ ثلاثاً لم
يُؤْتَهُنَّ أَحَدٌ وَلَا أَنَا: صهراً مثلي، ولم أُوتْ أَنَا مثلي، وأُوتِيتَ زوجة صديقة
مثل ابنتي، ولم أُوتْ مثلاً زوجة، وأُوتِيتَ الحسن والحسين من صلبك،
ولم أُوتْ من صلب بي مثلكما، ولكنكم مني وأنا منكم^(٢).

فسمّاها رسول الله عليه السلام (صديقة)، كما أنه شبهها بمريم عليها بقوله

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

(٢) الرياض النصرة ٢٠٢/٢. نقلأً عن أبي سعيد في شرف النبوة.

لها في حديث الجفنة: الحمد لله الذي جعلك شبّهه سيدة نساء بني إسرائيل.

فلنقرأ الحديث كما أخرجه الزمخشري والنظام النيسابوري وابن كثير في تفاسيرهم عن أبي يعلى بسنده عن جابر، واللفظ للأخير:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سهل بن زخالة، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا عبد الله بن لبيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شقَ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجـه فلم يجد عند واحدة منهم شيئاً. فأتى فاطمة فقال: يا بُنْيَة هل عندك شيء أكله، فـإـنـيـ جـائـعـ؟ قـالـتـ: لا والله بـأـيـ أـنـتـ وأـمـيـ. فـلـمـ خـرـجـ مـنـ عـنـدـهـ بـعـثـتـ إـلـيـهـ جـارـةـ لـهـ بـرـغـيفـينـ وـقـطـعـةـ لـحـمـ، فـأـخـذـتـ مـنـهـ فـوـضـعـتـهـ فـيـ جـفـنـةـ لـهـ، وـقـالـتـ: وـالـلـهـ لـأـوـثـرـ بـهـذـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وـآـلـهـ] وـسـلـمـ عـلـىـ نـفـسـيـ وـمـنـ عـنـدـيـ. وـكـانـواـ جـمـيـعـاـ مـحـتـاجـينـ إـلـىـ شـبـعـةـ طـعـامـ، فـبـعـثـتـ حـسـنـاـ أـوـ حـسـيـنـاـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وـآـلـهـ] وـسـلـمـ، فـرـجـعـ إـلـيـهـ فـقـالـتـ: بـأـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ، قـدـ أـتـيـ اللـهـ بـشـيـءـ فـخـبـأـتـهـ لـكـ. قـالـ: هـلـمـيـ يـاـ بـُنـيـةـ. قـالـتـ: فـأـتـيـتـ بـالـجـفـنـةـ، فـكـشـفـتـ عـنـهـ فـإـذـاـ هـيـ مـلـوـءـ خـبـزاـ وـلـحـماـ، فـلـمـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ بـهـثـ، وـعـرـفـتـ أـنـهـ بـرـكـةـ مـنـ اللـهـ، فـحـمـدـ اللـهـ وـصـلـيـتـ عـلـىـ نـبـيـهـ، وـقـدـمـتـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ [وـآـلـهـ] وـسـلـمـ، فـلـمـ رـأـهـ حـمـدـ اللـهـ وـقـالـ: مـنـ أـيـنـ لـكـ هـذـاـ يـاـ بـُنـيـةـ؟ قـالـتـ: يـاـ أـبـتـ «هـوـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ إـنـ اللـهـ يـرـزـقـ مـنـ يـشـاءـ بـغـيـرـ حـسـابـ». فـحـمـدـ اللـهـ وـقـالـ: الحـمـدـ للـهـ الـذـيـ جـعـلـكـ يـاـ بـُنـيـةـ شبـهـهـ سـيـدـةـ نـسـاءـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ، فـإـنـهـ كـانـ إـذـاـ رـزـقـهـ

الله شيئاً وسُئلت عنه قالت: «هُوَ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ»^{١)}. فبعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى علي، ثم أكل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين، وجميع أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً. قالت: وبقيت الجفنة كما هي. قالت: فأوسعت يقينها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً^{٢)}.

وروى الكرامة هذه الصابوني في تفسيره نقاًلاً عن ابن كثير في تفسيره،

ثم قال: والقصة مشهورة^{٣)}.

أقول: ولم يقتصر ابن كثير على إيرادها في تفسيره فحسب، بل أوردها في تاريخه نقاًلاً عن الحافظ أبي يعلى، لكنه هناك لم يستسغ أن يمر حديث الجفنة دون غمز، فقال: وهذا حديث غريب إسناداً ومتناً^{٤)}.

وقد ذكر بعده عدة أحاديث عن سمرة بن جندب وغيره فيها ظهرت بركة الرسول ﷺ في شبه ذلك من تكثير الطعام في قصة بيت الصديق أو غيره، فلم يستغرب ذلك لا سندأ ولا متناً، وكان بركة الرسول ﷺ كانت تعم سائر الناس إلا أهل بيته؟ فالله المستعان.

لا نقول فيه شيئاً إلا ما قاله الخطيب الشربيني وقد ذكر القصة في

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ١/٣٢١. تفسير النظام النيسابوري (بها ملخص تفسير الطبرى

٣/١٨٣ ط الميمنية). تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٦٠.

(٢) تنویر الأذهان ١/٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) تاريخ ابن كثير ٦/١١١.

تفسيره (السراج المنير)، فقال بعدها: (فهذه كرامة لفاطمة رضي الله عنها)^(١)، وبقول الصابوني: (والقصة مشهورة)، وليلقابن كثير ما يقول.

الفضيلة الرابعة والخامسة: وهي كونها عليها السلام طاهرة ومعصومة: ولا نطيل المقام في استيعاب ما ورد في ذلك، وبيننا كتاب الله تعالى يغنينا بواضح بيانه وبيناته، وحسبنا منه آية من آياته، وهي قوله تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا»^(٢).

فهذه الآية الكريمة دالة على طهارة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم من درن الأرجاس، وقد سبق لنا أن ذكرنا مفصلاً ما يتعلق بها، وشأن نزولها، وفيمن نزلت، وأردفناها بأحاديث نبوية وأثار صحابية تغنينا عن التكرار، فمن ابتعى المزيد والاستكثار فليرجع إلى هذا، ففيه الكفاية وبلغ الغاية. بقي علينا أن نختتم الكلام في المقام بعرض أقوال الأعلام من أئمة السنة والتفسير والكلام في المقاصلة بين كل من النساء الأربع، وبينهن وبين عائشة، وفي ذلك مسك الخاتمة.

١- قال الخازن في تفسيره بعد ذكره حديث الكمال ملحاً بحديث الثريد نقاً عن ابن ماجة، فعقب عليه بقوله:

وليس في هذا تصريح بفضيلتها - يعني عائشة - على مريم وآسية، لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة، عن أنس قال: قال رسول

(١) السراج المنير/١٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخدیجة بنت خویلد، فاطمة بنت محمد، وآسیة امرأة فرعون. أخرجه الترمذی^(١).

٢- وقال الخطیب الشیرینی في تفسیره (السراج المنیر): (فائدۃ):
أفضل نساء العالمين مريم كما في الآیة، إذ قيل بنبوتها، ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم خدیجة أمّها، ثم عائشة، ثم آسیة امرأة فرعون.

إن قيل: روى الطبرانی: خیر نساء العالمین: مريم بنت عمران، ثم خدیجة بنت خویلد، ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم آسیة امرأة فرعون.

أجیب: بأن خدیجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة. اهـ^(٢).

أقول: لقد أغفل تقدیر السؤال والجواب عن تفضیله عائشة على آسیة، مع أنها لم يرد ذکرها في حديث الطبرانی ضمن النساء اللاتی هن خیر نساء العالمین.

٣- وقال ابن جزی في تفسیره (التسهیل) في تفسیر آیة اصطفاء مريم في سورة آل عمران، آیة ٤٢: يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصاً بأن

(١) تفسیر الخازن ١/٢٣.

(٢) السراج المنیر ١/١٧٦ ط الخیریة.

و هب لها - يعني مريم - عيسى من غير أب ، فيكون «على نساء العالمين» عاماً، أو يكون الاصطفاء عاماً، فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى: على نساء زمانها. وقد قيل بفضلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيّة لتكليم الملائكة لها. اهـ^(١).

٤- وقال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير): وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث علي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خوبيلـ.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أفضل نساء العالمين: خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون.

وأخرج ابن مردويه عن أنس مرفوعاً نحوه، وأخرج أحمد نحوه، والترمذى وصححه، وابن المنذر وابن حبان والحاكم من حديثه مرفوعاً.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وفي المعنى أحاديث كثيرة كلها تفيد أن مريم سيدة نساء عالمها، لا نساء جميع العالم، ورؤيده ما أخرجه ابن

(١) التسهيل ١٠٦/١ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٥هـ.

عساكر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: أربع نسوة سادات نساء عالمهن: مريم بنت عمران، وأسية بنت مزاحم، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد، وأفضلهن عالماً فاطمة^(١).

٥- وقال الصابوني في تفسيره (تغیر الأذهان): وعن النبي ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية بنت مزاحم، ومریم بنت عمران، وخدیجة بنت خویلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وإنما شبّهت عائشة بالثرید لأن العرب كانوا لا يؤثرون على الثريد شيئاً...

واستمر في بيان فضل الثريد وأوجه الشابه بين عائشة وبين الثريد، إلى أن قال: لكن الكمال المطلق إنما هو لفاطمة الزهراء رضي الله عنها كما دل عليه الحديث المذكور^(٢).

٦- وقال الألوسي في تفسيره (روح البيان) بعد إيراد معاني اصطفاء مریم ﷺ، وما قيل في تفضيلها على سائر نساء العالمين، وما استدل به على أفضليتها بعد خدیجة وفاطمة ﷺ، قال: والذی أميل إلیه أن فاطمة البطل أفضل النساء المتقدمات والتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله صلی الله تعالیٰ علیه [وآله] وسلم، بل ومن حیثيات آخر أيضاً، ولا يعکر على ذلك الأخبار السابقة، لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها من

(١) فتح القدير ٣٠٩/١. وط مصر أفت دار المعرفة بيروت ٣٤٠/١.

(٢) تغیر الأذهان ٤/٣٦٠ - ٣٦١.

بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات، وبه يجمع بين الآثار، وهذا سائغ على القول بنبوة مريم أيضاً، إذ البعضية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء، وأين الشريان من يد المتناول؟؟

ومن هنا يعلم أفضليتها على عائشة رضي الله عنها الذاهب إلى خلافها الكبير، محتاجين بقوله صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم: «خذلوا ثلثي دينكم عن الحميراء»، قوله عليه الصلاة والسلام: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وبأن عائشة يوم القيمة في الجنة مع زوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وفاطمة يومئذ فيها مع زوجها علي كرم الله تعالى وجهه، وفرق عظيم بين مقام النبي صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم، ومقام علي كرم الله تعالى وجهه^(١).

(١) قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٢٥٨/٧ في شرحه وتعليقه على حديث الكمال المتصور على ذكر آسية ومريم، والمذيل بحديث الثريد كما رواه البخاري وقد مر في المورد الأول من موارد الحديث عنه، فراجع.

قال ابن حجر: استدل بهذا الحصر على أنها نبيّان، لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء ثم الصديقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيّين للزم لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة، فكأنه قال: (ولم ينبع من النساء إلا فلانة وفلانة). ولو قال: (لم تثبت صفة الصديقية أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة) لم يصح، لوجود ذلك في غيرهن، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء، فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك، والله أعلم. وعلى هذا فالمراد من تقدّم زمانه صلى الله عليه [وآله] وسلم، ولم يتعرّض لأحد من نساء زمانه إلا لعائشة، وليس فيه تصريح بأن فضليّة عائشة رضي الله =

قال: وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال، وأنه ليس بنص على أفضلية الحمire على الزهاء.

أما أولاً: فلأن قصارى ما في الحديث الأول على تقدير ثبوته إثبات أنها عالمة من حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدل على نفي العلم المماطل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله تعالى

عنها على غيرها، لأن فضل التبريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المونة وسهولة الإساغة، وكان أجل أطعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى، وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله: «ومريم ابنة عمران، وخدجية بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»، أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا - يعني في صحيح البخاري -، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواته عند الطبراني بهذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجية وفاطمة على غيرهما، وذلك فيما سيناتي في قصة مريم من حديث علي بلفظ: «خير نسائها خديجة»، وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجية وفاطمة، وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد والحاكم، كلهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وأasisية امرأة فرعون»، وله شاهد من حديث أبي هريرة في الأوسط للطبراني، ولأحمد في حديث أبي سعيد رفعه: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»، وإنسادة حسن.

عليه [وآله] وسلم أنها لا تبقى بعده زمناً معتدلاً به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربما قال: (خذوا كل دينكم عن الزهراء)، وعدم القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليتها، وإنما كانت عائشة أفضل من أبيها رضي الله تعالى عنه، لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل، لقلة لبته وكثرة غاثته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم.

على أن قوله عليه الصلاة والسلام: «إني تركت فيكم الثقلين: كتاب الله تعالى وعترتي، لا يفترقان حتى يردا على الحوض»، يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى، كيف لا وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة.

وأما ثانياً: فلأن الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضلية غيرها رضي الله تعالى عنها عليها، فقد أخرج ابن جرير عن عمار بن سعد أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم: فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية، وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف، لأن ذلك الخبر وإن كان ظاهراً في الأفضلية لكنه قيل - ولو على بُعد - إن (أل) في (النساء) فيه للعهد، والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار، ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث.

وأما ثالثاً: فلأن الدليل الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبي صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين

عليهم الصلاة والسلام، لأن مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم، فلو كانت الشركة في المنزل مستدعاً للأفضلية لزم ذلك قطعاً، ولا قائل به.

ثم قال: وبعد هذا كله، الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة، ثم أمها، ثم عائشة، بل لو قال قائل: (إن سائر بنات النبي صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم أفضل من عائشة) لا أرى عليه بأساً، وعندى بين مريم وفاطمة توقف، نظراً للأفضلية المطلقة، وأما بالنظر إلى الحيادية فقد علمت ما أميل إليه.

ثم قال: وقد سُئل الإمام السبكي عن هذه المسألة، فقال: الذي يختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم أفضل ثم أمها ثم عائشة.

ووافقه على ذلك البلايقيني، وقد صحَّح ابن العماد أن خديجة أيضاً أفضل من عائشة، لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة حين قالت: قد رزقك الله خيراً منها. فقال لها: «لا والله ما رزقني الله تعالى خيراً منها، آمنت بي حين كذَّبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس». وأيدَّ هذا بأن عائشة أقرأها السلام النبي صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم من جبريل، وخدبيجة أقرأها السلام جبريل من ربها.

ثم قال: وبعضهم لما رأى تعارض الأدلة في هذه المسألة توقف فيها، وإلى التوقف مال القاضي أبو جعفر الأستروشني منا. وذهب ابن جماعة

إلى أنه المذهب الأسلم (١).

وأشكل ما في هذا الباب حديث التزييد، ولعل كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهون تأويله، وتأويل واحد لكثير أهون من تأويل كثير لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل. اهـ (٢).

٧- وأخرج الموفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن عبيد الله القواريري، قال: اختلف أصحابنا - يعني يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي - في عائشة وفاطمة أيهما أفضل؟ فأرسلوني إلى عبد الله بن داود الخزبي، فسألته فقال: أما فاطمة فإن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّمَا فاطمة بضعة مني»، ولم أكن أَكُنْ أَفْضَلَ عَلَى بضعةٍ مِّنْ رَسُولِ اللهِ أَحَدًا (٣).

٨- وقال السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوى) في مسألة المفاضلة بين فاطمة وعائشة: وأما أيهما أفضل ثلاثة مذاهب: أصحها أن فاطمة رضي الله عنها أفضل (٤).

٩- وقال القاضي زكريا الأنصاري الشافعى في (شرح البهجة) في زوجاته صلوات الله عليهن: وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضلهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة، لما ثبت من قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها: لا والله ما رزقني خيراً منها... الحديث، وعائشة أقر أنها النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم السلام من

(١) روح المعانى ١٣٧/٣ ط المنيرية.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي، ص ١١٢ ط دار أنوار الهدى في قم سنة ١٤١٨هـ.

(٣) الحاوي للفتاوى ١٨٦/٢.

جبريل، وخدیجہ أقرّاها جبریل من ربّها السلام على لسان محمد صلی الله عليه [وآلہ] وسلم، فھی أفضل.

قیل له: من أفضل خدیجۃ أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلی الله عليه [وآلہ] وسلم قال لفاطمة: «بضعة مني»، فلا أعدل ببضعة رسول الله صلی الله عليه [وآلہ] وسلم أحداً، وعليه فھی أفضل أيضاً من عائشة^(١).

١٠- وقال السبکی: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد أفضل من أمّها خدیجۃ ثم عائشة^(٢).

١١- وقال ابن العماد: وإنما فضلت خدیجۃ على فاطمة باعتبار الأئمۃ لا باعتبار السيادة^(٣).

١٢- وقال الفقیہ عماد الدین یحییی بن أبي بکر العامری في (بھجة المخالف): ومذهب المحققین أنها - يعني خدیجۃ - أفضل من عائشة، وأن فاطمة أفضل من الجميع^(٤).

وأقرّه على ذلك جمال الدین محمد الأشخر الیمنی في شرحه على ذلك، واستدل على صحته بنحو ما مرّ عن القاضی زکریا الانصاری.

١٣- وحکی السهیلی في الروض الأنف ما قاله أبو بکر بن داود وقد سُئل: عائشة أفضل أم خدیجۃ؟ فقال: عائشة أقرّاها رسول الله صلی الله

(١) شرح ثلاثیات أحمد ٥١٠/٢ ط المکتب الإسلامی، بيروت سنة ١٣٨٠ھ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) بھجة المخالف ١٣٩/٢.

عليه [وآلها] وسلم السلام من جبريل، وخديجة أقرّاها جبريل السلام من ربّها على لسان محمد صلى الله عليه [وآلها] وسلم، فهي أفضل.

قيل له: فمن أفضل: خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه [وآلها] وسلم قال: «إن فاطمة بضعة مني»، فلا أعدل بضعة من رسول الله صلى الله عليه [وآلها] وسلم أحداً.

قال السهيلي: وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه [وآلها] وسلم، فجاءت فاطمة لتحله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآلها] وسلم: «إنما فاطمة بضعة مني»، فحلّت، وقال: ويدل على تفضيل فاطمة قوله عليه السلام، لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم، فدخل في هذا الحديث أمّها وأخواتها...^(١) إلى آخر ما قال.

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة

١١٠- وفي الجنانِ سيّدا شبابِها الحسنانِ يملكانِ بابَها^(١)

إشارة منه قدس سره إلى الحديث النبوي الشريف: (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة)، وهذا الحديث جاز في شهرته حدّ التواتر، ولا أكاد أحصي له عدد المصادر، وحسب القاريء مني أن أطلعه على أسماء بعض الصحابة الذين وقفت على روایاتهم لهذا الحديث الشريف.

١- فمنهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، وقد أخرج حديث الخطيب البغدادي في تاریخه بسنده عنه عليهما السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما

(١) لم أقف على ما أشار إليه سيدنا الناظم قدس سره من أنهما يملكان باب الجنة فيما رأيت من الأحاديث (و فوق كل ذي علم عليم)، ولو قال: (أبوهما خير، زعيم بابها) لكن استوفى نظم الحديث بلفظه، وزاد ما دلّ على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان بيده براءة من علي عليهما السلام بولايته (راجع فرائد السمعطين ٢٩٢/١).

خير منها^(١).

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه بدون الزيادة في آخره، لكنه ذكرها في روايته الحديث في ترجمة عبد الله بن الحسن بن فضيل البزار^(٢)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بخمسة طرق^(٣)، متون أربعة منها متقدمة بلفظ (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، ومتن الخامس: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لفاطمة: والله ما من نبی إلا وولد الأنبياء غيري، وإن ابنيك سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة يحيى وعيسى.

وأخرجه أيضاً المتقي البندي في كنز العمال، وقال: أخرجه الطبراني^(٤). وأخرجه ثانياً عن علي عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال لفاطمة عليه السلام: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، وابنيك سيدا شباب أهل الجنة. وقال: أخرجه البزار^(٥).

٢- و منهم: الحسين بن علي عليهما السلام: وأخرج حديثه البدخشي في (مفتاح النجا) نقاً عن ابن عساكر وابن النجار، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لا تسبوا الحسن

(١) تاريخ بغداد ١٤٠/١. وأخرجه ثانياً ١٨٥/٢، وثالثاً ٤/١٢ بسندين آخرين عنه عليهما السلام بدون ذكر لأبيهما.

(٢) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٤١، تحقيق المحمودي.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٥/٣.

(٤) كنز العمال ٩٧/١٣ ط الثانية، حيدر آباد.

(٥) المصدر السابق ٢٨٧/١٦.

والحسين، فإنهما سيداً شباباً أهل الجنة من الأولين والآخرين^(١).

٣ - ومنهم: ابن عباس حَبْرُ الأُمَّةِ، وحديثه أخرجه ابن عساكر في تاريخه، والمتقي الهندي في كنز العمال، ولفظه: الحسن والحسين سيداً شباباً أهل الجنة، من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني^(٢).

٤ - ومنهم: أبو بكر بن أبي قحافة: وحديثه أخرجه المحب الطبرى في ذخائر العقبي، وقال: خَرَجَهُ أَبُو السَّمَانَ فِي الْمَوْافَقَةِ، وَلَفْظُهُ: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ سِيدَاً شَبَاباً أَهْلَ الْجَنَّةِ^(٣).

٥ - ومنهم: عمر بن الخطاب: وحديثه أخرجه ابن عساكر في تاريخه، والطبراني في معجمه الكبير، ولفظه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ سِيدَاً شَبَاباً أَهْلَ الْجَنَّةِ^(٤).

وأخرجه البيهقي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني^(٥).
وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال عن الطبراني في الكبير^(٦).

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ٥٧٩/١٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٤٥، تحقيق المحمودي. كنز العمال ١٣/١٥.

(٣) ذخائر العقبي، ص ١٢٩.

(٤) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٤٥، تحقيق المحمودي. المعجم الكبير للطبراني ٣/٣٥.

(٥) مجمع الزوائد ٩/١٨٢، وهو في المعجم الكبير للطبراني ٣/٣٥ ط الموصل.

(٦) كنز العمال ١٣/٩٧.

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء، ووكيع في أخبار القضاة، وابن العماد الحنفي في شذرات الذهب وغيرهم حديث تخاصم الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، مع اليهودي في درع له عند شريح، وتبخّط شريح في الحكم، وورد في الحديث أن علياً عليهما السلام قال لشريح: أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة؟ قال: اللهم نعم. قال أبو نعيم: رواه أولاد شريح عنه، عن عليٍّ^(١).

٦ - ومنهم: عبد الله بن عمر: وحديثه أخرجه ابن ماجة في سنته، ولفظه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منها^(٢).

وأخرجه الحاكم في المستدرك^(٣)، والذهبي في تلخيصه، غير أنه أعلمه بقوله: (معلّى متروك).

ونحن نقول له: قولك هو المتروك، فالحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه بعدة طرق^(٤). كما أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) وعقب عليه بقوله: هذا حديث حسن ثابت، لا أعلم أحداً رواه

(١) حلية الأولياء ١٣٩/٤. أخبار القضاة ٢٠٠/٢ ط السعادة بمصر. شذرات الذهب

٨٥/١

(٢) سنن ابن ماجة ٤٤/٤ تحقّيق محمد فواد عبد الباقي.

(٣) المستدرك ١٦٧/٣

(٤) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٤١، تحقّيق المعمودي.

عن ابن عمر غير نافع، تفرد به المعلّى عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذيب، رُزقاه عالياً بحمد الله ومنه.

ثم قال: وجمع إمام أهل الحديث أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة الحسين عليه السلام، طرقه عن غير واحد من الصحابة... ثم ذكر أسماء جماعة منهم وطرق أحاديثهم، وقال: وانضمام هذه الأسانيد بعضها إلى بعض دليل على صحته^(١).

فهل بعد هذا من أثر لقول الذهبي؟؟

٧ - ومنهم: جابر بن عبد الله: أخرج حديثه الطبراني في معجمه الكبير، وعنه البشمي في مجمع الزوائد، والمتقي الهندي في كنز العمال، ولفظه: الحسن والحسين سيداً شباباً أهل الجنة^(٢).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بعده طرقاً حديثاً عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسين بن علي.

قال ابن عساكر: وقد أخرجه في ترجمة الحسن^(٣).

وهذا يكشف عن أن جابراً كان يروي ذلك في الحسن أيضاً.

٨ - ومنهم: عبد الله بن مسعود: وقد أخرج حديثه الحاكم في

(١) كفاية الطالب، ص ٣٤١ ط الثانية، الحيدرية، النجف.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣٩/٣، مجمع الزوائد، ١٨٣٢/٩، كنز العمال ٩٧/١٣.

(٣) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٥٧، تحقيق المحمودي.

المستدرك، ولفظه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، وأبواهما خير منها.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه^(١). وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

كما أخرجه أبو نعيم في الخلية، بدون ذكر الزيادة: (أبواهما خير منها)^(٢).

٩ - ومنهم: حذيفة: وحديثه أخرجه الترمذى في سنته بسنده عن زر ابن حبيش عن حذيفة، قال: سألتني أمي متى عهدهك - تعنى بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم؟ فقلت: مالي به عهد منذ كذا وكذا. فقالت مني. فقلت لها: دعيني آتى النبي صلى عليه [وآله] وسلم فأصلى معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك. فأتت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فصلت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم انقتل فتبتعه فسمع صوتي فقال: من هذا؟ حذيفة؟ قلت: نعم. قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك. قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استاذن ربّه أن يسلم عليّ ويشرّني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة.

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا

(١) المستدرك ٣/١٦٧.

(٢) حلية الأولياء ٥/٥٨.

من حديث إسرائيل^(١).

وأخرجه أحمد في مسنده^(٢)، والحاكم في المستدرك^(٣)، والذهبي في تلخيصه، وقال: صحيح.

وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء^(٤)، والخطيب البغدادي في تاريخه^(٥)، والطبراني في معجمه الكبير مكرراً بأربعة طرق، في ثالثها زيادة (وأبوهما أفضل منها)^(٦)، وأخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء^(٧)، والهيثمي في جمجم الزوائد، وقال: قلت: رواه الترمذى باختصار، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط^(٨).

وأخرجه المتقي في كنز العمال ٨٨/١٣ نقلأً عن الروياني وابن حبان والمستدرك. وفي ٩٣/١٣ نقلأً عن ابن عساكر. وفي ص ٩٧ نقلأً عن ابن سعد والمستدرك وأيضاً عن أحمد والترمذى والنسائي وابن حبان، وفي ٢٧٣/١٦ نقلأً عن الطبراني وابن أبي شيبة...

(١) سنن الترمذى ٦٦٠/٥ تحقيق إبراهيم عطوه عوض، تحفة الأحوذى ٢٨٤/١٠.

(٢) مسنند أحمد ٣٩١/٥، ٣٩٢.

(٣) المستدرك ٣٨١/٣.

(٤) حلية الأولياء ١٩٠/٤.

(٥) تاريخ بغداد ٣٧٢/٦، وفي ٢٣٠/١٠ بزيادة (وأبوهما أفضل منها).

(٦) المعجم الكبير للطبراني ٣٧/٣ - ٣٨.

(٧) تاريخ الإسلام ٩٠/٢. سير أعلام النبلاء ١٦٨/٣.

(٨) جمجم الزوائد ١٨٣/٩.

إلى غير ذلك من المصادر التي ستأتي الإشارة إليها.

١٠- جهم - غير منسوب : وحديشه أخرجه ابن حجر في الإصابة^(١) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إن حسناً وحسيناً سيداً شباب أهل الجنة.

وقال ابن حجر: أخرجه ابن منده، ورواه ابن أبي عزرة في مسنده. أقول: وأخرجه المتقي في كنز العمال نقلأً عن ابن منده وأبي نعيم وابن عساكر^(٢).

١١- و منهم: مالك بن الحويرث الليثي: وقد أخرج حديشه ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن البغوي إلى مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث قال: حدثني أبي عن جدي قال: قال رسول الله: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، وأبواهما خير منهما^(٣).

وأشار الحق إلى أن البغوي ترجم مالك بن الحويرث في معجم الصحابة وذكر الحديث^(٤). وأخرج الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد عن مالك بن الحويرث، وقال: رواه الطبراني، وفيه عمران بن أبان ومالك بن الحسن، وهو ضعيفان وقد وثقا^(٥). وأخرجه المتقي في كنز العمال نقلأً عن

(١) الإصابة/١ ٢٥٦/١ ط مصطفى محمد.

(٢) كنز العمال/١٦ ٢٧٣/١٦ ط الثانية حيدر آباد.

(٣) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٤٨.

(٤) معجم الصحابة، ص ٢٢، الورق ٤٢/ب.

(٥) مجمع الزوائد ١٨٣/٩.

الطبراني في الكبير^(١)، وأخرجه أبو القاسم السهمي في تاريخ جرجان^(٢)، والنبهاني في الفتح الكبير^(٣).

١٢- و منهم: قرة بن أبياس: و حدیثه أخرجه البیشمي في مجمع الزوائد، قال: قال رسول الله صلی الله علیه [وآلہ] و سلم: الحسن والحسین سیداً شباباً أهل الجنة وأبواهما خیر منها.

وقال: رواه الطبراني^(٤)، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وفيه خلاف، وبقية رجال الصحيح^(٥).

وأخرجه المتنبي في كنز العمال نقلأً عن الطبراني^(٦)، وأخرجه ابن حجر البیتمي في الصواعق المحرقة^(٧)، والسيوطی في الجامع الصغیر^(٨)، والنبهاني في الفتح الكبير^(٩).

١٣- و منهم: أسامة بن زيد: و حدیثه أخرجه البیشمي في مجمع

(١) كنز العمال ١٣/١٠٠.

(٢) تاريخ جرجان، ص ٣٩٥، ط عالم الكتب، بيروت.

(٣) الفتح الكبير ٢/٨٠.

(٤) راجع المعجم الكبير للطبراني ٣/٣ ط الموصل.

(٥) مجمع الزوائد ٩/١٨٣.

(٦) كنز العمال ١٣/١٠٠.

(٧) الصواعق المحرقة، ص ١١٤ ط مصر ١٣١٢ھ، ص ١٨٩ ط عبد اللطیف بمصر.

(٨) الجامع الصغیر ١/٣٧٩ ط بولاق.

(٩) الفتح الكبير ٢/٨٠.

الزوايد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة. رواه الطبراني في الكبير^(١) والأوسط، وفيه زياد الجصاص وهو متوك، ووثقه ابن حبان وقال: ربما يهم^(٢). وأخرجه المتقي نقلأً عن الطبراني في الأوسط^(٣)، وأخرجه ثانياً بزيادة (اللهم إني أحبّهما فأحّبّهما) نقلأً عن الطبراني^(٤).

١٤ - ومنهم: أنس بن مالك: وحديشه أخرجه ابن عساكر في ترجمة الحسين من تاريخه، بسنده عن أنس، قال: قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة^(٥).

وأخرجه المتقي في كنز العمال نقلأً عن أبي نعيم^(٦)، غير أنه سبق منه ذكر الحديث عن أنس بصورة أخرى نقلها عن الديلمي^(٧)، وهي: هبط ملكان لم يهبطا مذكانت الأرض، فبشراني أن الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، فقلت: أبوهما خيرهما، وعثمان شيه إبراهيم خليل الرحمن^(٨).

(١) راجع المعجم الكبير ٤٠/٣.

(٢) مجمع الزوائد ١٨٣/٩.

(٣) كنز العمال ٩٧/١٣.

(٤) راجع المعجم الكبير ٤٠/٣.

(٥) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين)، ص ٥٩.

(٦) كنز العمال ٢٦٩/١٦.

(٧) فردوس الأخبار ٧٦/٥ نشر دار الكتاب العربي.

(٨) كنز العمال ١٠٧/١٣.

أقول: ولنا عودة مع أنس في حديثه هذا، وحديث آخر سيأتي.

١٥ - و منهم: أبو سعيد الخدري: وحديثه أخرجه الترمذى في سُنته، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة.

ثم ذكره بسند آخر وقال: هذا حديث صحيح حسن^(١).

وأخرج الحديث عنه كذلك ابن أبي شيبة في مصنفه^(٢).

وأخرجه أحمد في مسنده كذلك^(٣) إلا أنه رواه في ص ٦٤ بلفظ: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران.

وأخرجه غير هؤلاء كذلك.

وفي بعض أسانيدهم بزيادة (الابنى الخالة عيسى ومحى عليهما). فمن رواه بالصورتين الخطيب في تاريخ بغداد^(٤)، وكذلك ابن عساكر في تاريخه^(٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء^(٦) وأخبار

(١) راجع تحفة الأحوذى، ٢٧٢/١٠.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٩٦/١٢.

(٣) راجع مسند أحمد ٣/٣، ٦٤، ٣٢، ٣٢، ٨٢.

(٤) تاريخ بغداد ٩/٢٣١ - ٢٣٢، ١١/٩٠ بدون الزيادة، وفي ٤/٢٠٧ مع الزيادة.

(٥) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الحسين عليهما)، ص ٥٤ - ٥٦ بدون الزيادة وفي ص ٥٢ - ٥٣ مع الزيادة.

(٦) حلية الأولياء ٥/٧١ مع الزيادة.

أصبهان^(١)، وكذلك الطبراني في معجمه الكبير بستة طرق^(٢). وأخرج النسائي في الخصائص بستين، قال في آخر الثاني: ما استثنى من ذلك^(٣).

وهذه من النسائي شهادة على نفي الزيادة.

ثم رواه بسند ثالث ينتهي إلى الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وفيه الزيادة، وكذلك الحاكم في المستدرك أخرج الحديث مع الزيادة، وقال: هذا حديث قد صحَّ من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب أنهم لم يخرجوا^(٤).

كما أخرجه كذلك البهيمي في موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان^(٥).

أقول: وسيأتي منا تعقيب على هذه الزيادة وغيرها بعد هذا.

١٦ - و منهم: أبو هريرة: وحديثه أخرج النسائي في الخصائص، ولفظه: قال أبطأ علينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يوماً صبور النهار^(٦)، فلما كان العشي، قال له قائلنا: يا رسول الله قد شقَّ علينا لم نرك

(١) أخبار أصبهان ٣٤٣/٢ بدون الزيادة.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٨/٣.

(٣) الخصائص، ص ٣٦ ط التقدم.

(٤) المستدرك ١٦٦/٣.

(٥) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ص ٥٥١.

(٦) لم أقف على معنى له ب المناسب المقام، ولا يبعد أن يكون (صبور النهار) تصحيفاً عن (صبور النهار) أي بكرة، ومنه أتيته ذا صبور، أي بكرة، ولا يستعمل إلا ظرفاً (قطر المحيط).

اليوم. قال: إن ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن الله في زيارتي، فأخبرني وبشرني أن فاطمة بنتي سيدة نساء أمتي، وأن حسناً وحسيناً سيداً شباب أهل الجنة^(١).

وأخرجه أيضاً المتقد في كنز العمال نقاً عن الطبراني في الكبير وابن النجاش^(٢).

١٧ - ومنهم: البراء بن عازب: وحديثه أخرجه البهشمي في مجمع الزوائد، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة^(٣).

وأخرجه أيضاً المتقد الهندي في كنز العمال، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط^(٤).

١٨ - ومنهم: علي الهلالي: وأخرج حديثه البهشمي في مجمع الزوائد، وهو حديث طويل جاء فيه: قال صلى الله عليه [وآله] وسلم لابنته فاطمة: ومنا سبطاً هذه الأمة وهم أبناءك الحسن والحسين، وهم سيداً شباب أهل الجنة، وأبواهما - والذى بعثني بالحق. خير منها... إلى آخر الحديث.

وقال البهشمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط^(٥).

(١) الخصائص للنسائي، ص ٣٤.

(٢) كنز العمال ١٣/١٠٣. راجع المعجم الكبير للطبراني ٣/٣٦، ٣٧، ٢٢/٣٣٦.

(٣) مجمع الزوائد ٩٤/١٨٤.

(٤) كنز العمال ١٣/٩٧. ط حيدر آباد الثانية.

(٥) مجمع الزوائد ٩٦٥/١٦٦.

وأخرجه المحب الطبرى في ذخائر العقبي^(١)، وابن عراق في تزيه
الشريعة نقلًا عن الطبرانى^(٢).

١٩. و منهم: أبو رمثة: وحدىته أخرجه ابن عساكر كما في كنز
العمال، ولفظه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: حسين
مني وأنا منه، هو سبط من الأسباط، أحب الله من أحب حسيناً، إن الحسن
والحسين سيدا شباب أهل الجنة^(٣).

ورواه البدخشى في مفتاح النجاة كما في ملحقات الإحقاق^(٤).

٢٠. و منهم: بريدة: وحدىته أخرجه المتقي في منتخب كنز العمال،
نقلًا عن أحمد وابن حبان والطبرانى والحاكم. ولفظه: قال صلى الله عليه
[وآله] وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة
عيسى بن مريم ويعينى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان
من مريم بنت عمران^(٥).

هذه أحاديث عشرين صحابيًّاً ممن روى حديث الحسن والحسين
(سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)، وهم إن اتفقوا على رواية
صدره، فلم يتفقوا على شطره الآخر، كما قرأنا عند بعضهم زيادات لم

(١) ذخائر العقبي، ص ١٣٥.

(٢) تزيه الشريعة ٤٠٣ - ٤٠٢.

(٣) كنز العمال ١٣/١٠٦.

(٤) ملحقات الإحقاق ١٠/٥٧٩.

(٥) منتخب كنز العمال (بها مش مستد أحمد) ٥/١٠٥ - ٦/١٠٦.

ترد عند بعضهم الآخر، ولدى تدقيق النظر في تلك الزيادات وذلك الاختلاف وجدنا أن ذلك إنما هو محاولات من ذوي التنصب المبطن لتضييع معالم الفضيلة.

محاولات بائسة يائسة:

لقد حاول ذو التنصب المبطن الغرض من سيادة السبطين على أهل الجنة من الأولين والآخرين، فسلكوا مسالك وعرة لم تبلغ بهم إلى غایاتهم، بل كشفوا بذلك عن سوء نياتهم.

وقد تبيّنت منهم فعلاً ست محاولات، هي كما يلي:
المحاولة الأولى: إلحاقي الاستثناء في آخر الحديث بلفظ (إلا ابني
 الحالة عيسى بن مريم ويعيسي بن زكريا).

المحاولة الثانية: وضع حديث (سيدا كهول أهل الجنة).

المحاولة الثالثة: بيان معنى الكهولة بما يتلاءم وجو صدور الحديث؟

المحاولة الرابعة: إضافة الشباب إلى الكهول في حديثهم.

المحاولة الخامسة: حذف السيادة تماماً، وقصر الشباب في الجنة على
 خمسة فقط.

المحاولة السادسة: حذف (وأبوهما خير منهما) من الحديث.

ولننظر إلى تلك المحاولات الفاشلة، هل أجهزت على كيان الحديث
 كما يريدون؟

المحاولة الأولى:

لقد مررت بنا صور الحديث (سيدا شباب أهل الجنة)، فرأينا في بعضها زيادات خلت منها بقية الصور. ومن الملفت للنظر أن وجدنا بعض تلك الإضافات مروية عن الصحابي من بعض طرق حديثه، وغير مروية في بقية الطرق عنه، ولا بد أن يكون التزييد من صنيع الرواة من بعده، وكمثال على ذلك نستعرض زيادات في الحديث حسب تسلسل رواته من الصحابة.

فلاحظ ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وردت جملة (وأبوهما خير منهما)، كجزء من الحديث في بعض الطرق عنه، بينما خلت بقية الطرق عنه من ذلك.

ولاحظ أيضاً في المروي عنه عليه السلام إضافة الاستثناء (إلا ابني الخالة يحيى وعيسى).

وفي المروي عن عبد الله بن مسعود وجدنا إضافة (وأبوهما خير منهما) مذكورة في بعض طرق الحديث عنه، وأصرّ الحاكم في المستدرك على إثباتها، فقال: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه. وأقرَّ الذهبي في التلخيص على تصحيحه. بينما نجد تلك الزيادة محذوفة من الحديث فيما أخرجه أبو نعيم في الخلية، فراجع.

وفي المروي عن حذيفة وجدنا الإضافة بلفظ (وأبوهما أفضل منهما) مروية في بعض طرق الحديث عنه، ومحذوفة في بعضها الآخر، فراجع.

وفي المروي عن أنس نجد في بعض الطرق عنه قلب المعنى رأساً على عقب - كما يقال - مع إضافة عنصر غريب في الحديث، فقد روى أن المكين لما هبطا أخيراً النبي ﷺ بأن (الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة) (وقلت - والسائل هو النبي ﷺ: أبوهما خير منهما، وعثمان شبيه إبراهيم خليل الرحمن)، ولما كان هذا المروي عن أنس لم يصلنا مستنداً، بل أخرجه المتفى الهندي في كنز العمال^(١) نقلأً عن الديلمي، وهو صاحب كتاب فردوس الأخبار، وقد ورد الحديث فيه كذلك^(٢)، فهو يارساله ساقط لا يضارع المسند عن أنس، الذي ليس فيه تلكم الإضافة، كما رواه أبو نعيم في الخلية وأخرجه عنه المتفى الهندي في كنز العمال^(٣)، فراجع.

وفي المروي عن أبي سعيد الخدري نجد إضافة الاستثناء (إلا ابني) في حالة عيسى ويحيى عليهما السلام في بعض طرق الحديث عنه، وخلو بعضها الآخر عن تلك الإضافة.

هذا عن بعض الزيادات في الحديث التي رويت عن الصحابي الواحد في بعض الطرق، ولم ترد في طرق أخرى عنه.

أما عن الزيادات الأخرى التي وردت في أحاديث الصحابة، في

جميع الطرق عنهم:

(١) كنز العمال ١٣/١٠٧.

(٢) فردوس الأخبار ٥/٧٦ نشر دار الكتاب العربي.

(٣) كنز العمال ١٦/٢٦٩.

- ١- ففي حديث ابن عباس وردت جملة: من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.
- ٢- وفي حديث ابن عمر: وردت جملة: (وأبوهما خير منهما) وكذلك في حديث مالك بن الحويرث، وحديث قرة بن إياس.
- ٣- وفي حديث حذيفة: وردت جملة: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.
- ٤- وفي حديث أسامة بن زيد وردت جملة: (اللهم إني أحبهما فأح悲هما) في بعض طرق الحديث عنه.
- ٥- وفي حديث أبي سعيد في بعض طرقه: وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمریم بنت عمران.
- ٦- وفي حديث أبي هريرة: إن فاطمة بنتي سيدة نساء أمتي.
- ٧- وفي حديث أبي رمثة: حسين مني وأنا منه، هو سبط من الأسباط، أحب الله من أحب حسيناً.
- ٨- وفي حديث بريدة: وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مریم بنت عمران.

وإذا نظرنا إلى تلکم الزيادات فكلها يمكن صحة ورودها لکثرة شواهدها، وتعدد أسانیدها، إلا ما ورد من الاستثناء (إلا ابني الحالة عيسى ويحبي) وإلا الزيادة في حديث أنس.

ولما كان حديث أنس مرسلأ كما يبنا، وهو معارض بما روی عنه

مسنداً من دون تلك الزيادة، فلا حاجة إلى الوقوف عنده، إنما الذي ينبغي أن نبحث عنه هو الاستثناء، وهو لم يرد مسندأً إلا في حديث مروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في بعض طرقه، فيما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، ثنا علي بن ثابت، حدثنا أسباط بن نصر، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن علي رضي الله عنه^(١).

ويكفينا مؤنة البحث في جميع رجال السنده وجود أسباط، فهو سقط الأساطاط.

قال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعّفه، وقال: أحاديث عامية سقط مقلوب الأسانيد.

وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال الساجي في الضعفاء: روى أحاديث لا يتّبع عليها.

وقال ابن معين: ليس بشيء^(٢). وقال ابن حجر في التقريب: صدوق كثير الخطأ يُغُرِّب^(٣). وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد: وسألته عن أسباط بن نصر، فقال: ما كتبت من حديثه عن أحد شيئاً. ولم أره عرفة، ثم قال: وكيع وأبو نعيم يحدثان عن مشايخ الكوفة، ولم أرهما يحدثان عنه^(٤).

(١) المعجم الكبير ٣/٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ١/٢١٢.

(٣) تقريب التهذيب، ص ٥٣.

(٤) العلل ومعرفة الرجال، ص ٢٤٨، أقرة ١٩٦٣م.

وذكره الذهبي في كتاب المغني في الضعفاء^(١) وفي ديوان الضعفاء والمتروكين^(٢).

والحاديـث الثانيـ الذي وردـ فيـ الاستـئـاءـ مـروـيـ عنـ أبيـ سـعـيدـ الـخـدـريـ فيـ بـعـضـ طـرـقـهـ كـمـاـ مـرـتـ الإـشـارـةـ إـلـيـهـ.

فـقـدـ روـاهـ الطـبـرـانـيـ فـيـ مـعـجمـ الـكـبـيرـ بـسـنـدـ يـتـهـيـ إـلـىـ الـحـكـمـ بـنـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ بـنـ أـبـيـ نـعـيمـ الـبـجـلـيـ،ـ عـنـ أـبـيـهـ،ـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ^(٣).ـ وـرـوـاهـ كـذـلـكـ النـسـائـيـ فـيـ الـخـصـائـصـ بـسـنـدـ يـتـهـيـ إـلـىـ الـحـكـمـ...ـ اـلـخـ^(٤)،ـ وـكـذـلـكـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ فـيـ تـرـجـمـةـ الـإـمـامـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ الـأـلـيـلـ،ـ مـنـ تـارـيخـهـ،ـ وـأـبـوـ نـعـيمـ فـيـ الـحـلـيـةـ^(٥)،ـ وـالـخـطـيـبـ فـيـ تـارـيخـهـ^(٦)،ـ وـالـحـاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ^(٧).

فـكـلـ هـؤـلـاءـ روـيـ الـاسـتـئـاءـ فـيـ حـدـيـثـ أـبـيـ سـعـيدـ بـسـنـدـ يـتـهـيـ إـلـىـ الـحـكـمـ الـمـذـكـورـ،ـ وـالـحـكـمـ هـذـاـ لـيـهـ الـذـهـبـيـ فـيـ التـلـخـيـصـ،ـ وـعـقـبـ عـلـىـ تـلـكـ الـزـيـادـةـ بـقـوـلـهـ:ـ وـلـيـسـ عـنـدـ اـبـنـ عـمـرـ وـابـنـ مـسـعـودـ:ـ إـلـاـ اـبـنـيـ الـحـالـةـ.

(١) المغني في الضعفاء .٦٦/١.

(٢) ديوان الضعفاء والمتروكين، ص ١٦، مكة ١٣٨٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني .٣٨/٣.

(٤) الخصائص، ص .٣٨.

(٥) حلية الأولياء .٧١/٥.

(٦) تاريخ بغداد .٢٠٧/٤.

(٧) المستدرك .١٦٧ - ١٦٦/٣.

وقد ضعَّف ابن معين: الحكم بن عبد الرحمن^(١)، وقال ابن حجر: صدوق سمع الحفظ^(٢). وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين، وقال: ليس بالقوى ولا المتروك^(٣).

ونحن إذا رجعنا إلى بقية الأسانيد عن أبي سعيد عن غير طريق الحكم لا نجد هذه الزيادة، مع العلم أن الحديث رواه عن أبي سعيد عطية بدون زيادة، ورواه عنه عطاء بن يسار بدون زيادة، ورواه عنه عبد الرحمن بن أبي نعيم والد الحكم الآتف الذكر، وعنه الفضل بن دكين بدون زيادة، ولم يروِ الزيادة إلا الحكم، فتكون الآفة منه وفيه، ولا اعتبار بما يتفرد بروايته دون بقية من سميئاته من الرواية عن أبيه وعن أبي سعيد، وهم غير مقدوح فيهم.

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/١٢٣، تهذيب التهذيب ٤٣١/٢.

(٢) تقريب التهذيب ١/١٩١.

(٣) ديوان الضعفاء والمتروكين، ص ٦٩ ط مكة المكرمة.

المحاولة الثانية:

وضع حديث (سيّدا كهول أهل الجنة)، وهذا بالرغم من استبطانه بطلانه، لكن أصرّ غير واحد على تصحيحه سندًا، ووجه آخرون متّه ليتلامم وحقيقة أهل الجنة، ولا يصادم الحديث المواتر (سيّدا شباب أهل الجنة)، ونحن لا بد لنا من عرض الحديث ب تمام صوره المسندة والمرسلة المثبتة في دواوين الحديث وغيرها، لينظر القارئ بعينه إلى ما في أسانيده من آفات سينات، وفي متّه من تناقضات بینات.

والى القارئ الحديث بأسانيده عند من رواه، وهم كما يلي:

الأول: الترمذى: فقد روى الحديث في سنته بثلاثة أسانيد:

السند الأول: حدّثنا علي بن حُجر، أخبرنا الوليد بن محمد الموقري عن الزهرى عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب، قال: كتّت مع رسول الله صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما.

قال الترمذى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والوليد بن محمد الموقري يضعف في الحديث، وقد روى هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه، وفي الباب عن أنس وابن عباس^(١).

أقول: قال البخارى في كتابه الضعفاء الصغير: الوليد بن محمد

الموقري في حديثه مناكير، قال علي بن حجر: كنيته أبو بشر مولى يزيد بن عبد الملك، كثير الغلط، وكان لا يقرأ من كتاب، فإذا دفع إليه كتاب قرأه^(١).

إذا كان كذلك كما يقول علي بن حجر فلماذا روى هو عنه هذا الحديث؟ ولماذا أخرجه عنه الترمذى؟

ولنقرأ طائفه من أقوال علماء الجرح والتعديل في الوليد بن محمد الموقري مولى يزيد بن عبد الملك الأموي:

قال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال ابن حبان: روى عن الزهري أشياء موضوعة لم يحدث بها الزهري قط كما روى عنه، وكان يرفع المراسيل، ويسند الموقوف، لا يجوز الاحتجاج به بحال. وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه.

وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين، وقال: كذبه يحيى، وقال الدارقطني: ضعيف^(٢).

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: سمعت علياً - ابن المديني - يقول: الوليد بن محمد الموقري ضعيف ليس بشيء، وكان قد روى عن الزهري ولا نروي عنه شيئاً^(٣).

(١) الضعفاء الصغير، ص ١٦٦ ط دار الوعي بحلب.

(٢) ديوان الضعفاء والمتروكين، ص ٣٣٢.

(٣) سوالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلى المديني في الجرح والتعديل، ص ١٢٣، تحقيق موفق بن عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٤هـ.

وقال ابن خزيمة: لا أحتاج به، وقال النسائي: متروك الحديث، وكذبه يحيى بن معين.

قال ابن حبان في كتاب المجموعين^(١): قال: سمعت الدارمي: قلت ليعين بن معين: فالوليد بن محمد الموقري؟ قال: ليس بشيء^(٢).
فحديث يرويه هكذا إنسان كيف يكتب ويحتاج به، ويودع في كتب الحديث المعتبرة؟

مضافاً إلى أن الموقري المذكور يرويه عن الزهري الذي كان معبني مروان، يضلع معهم في ركابهم، وحتى قيل: إنه صاحب الشرط لبعضهم^(٣).

وقد فسّّرته لذلك أخته^(٤)، وزاد على ذلك وصف الشافعى

(١) كتاب المجموعين ٣/٧٧.

(٢) تاريخ البخاري الكبير ٨/٥٥. ميزان الاعتدال في ترجمته. الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص ٤١٤ ط دار الوعي بحلب. ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي، ص ٢٨٦.

(٣) جاء في جامع فهارس الثقات صنعة حسين إبراهيم زهران، ص ١٢٢ ط مؤسسة الكتب الثقافية، أنه ورد في (٨/٥) عن خارجة يقول: قدمت على الزهري وهو صاحب شرط لبعضبني مروان، قال: فرأيته يركب وفي يده حربة وبين يديه الناس بأيديهم كافر كوبات، فقلت: قبح الله ذا من عالم! فانصرفت فلم أسمع منه.

(٤) ذكر ابن عساكر في تاريخه (ترجمة الإمام) ٢/٦٥ بسنده عن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال: كنت عند الزهري أسمع، فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت: يا جعفري لا تكتب عنه، فإنه مال إلىبني أمية وأخذ جوازهم. قللت: من هذه؟ قال: أختي رقية خرفت. قالت: بل خرفت أنت، كمنت فضائل آل محمد...

والدارقطني له بالتدليس، وعده ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين^(١)، وهذا عيب على عيب.

مضافاً إلى آفة الانقطاع في سنته، حيث لم يدرك الإمام علي بن الحسين جده علي بن أبي طالب عليهما السلام في سن يتحمل عنه ويسمع منه كما هم يقولون. فالحديث ساقط بالمرة من هذا الطريق.

السند الثاني: حديث الحسن بن الصباح البزار، أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لأبي بكر وعمر: هذان سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تغبرهما يا علي.

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

أقول: ويكفينا في إسقاط سنته وعوار رجاله وجود محمد بن كثير وهو المصيصى، الذى قال فيه علماء الجرح والتعديل ما يلى: قال البخارى: ضعفه أحمد. وقال أيضاً: لين جداً.

وقال عبد الله بن أحمد: ذكر أبي محمد بن كثير ضعفه جداً، وضعف حديثه عن معمر جداً. وقال: هو منكر الحديث. وقال: يروى أشياء منكرة.

وقال صالح بن أحمد عن أبيه: لم يكن عندي ثقة، بلغنى أنه قيل: له كيف سمعت من معمر؟ قال: سمعت منه باليمن، بعث بها إلى إنسان من

(١) طبقات المدلسين لابن حجر، ص ٢٧ ط الحمودية بصر.

اليمن.

وقال حاتم بن الليث عن أحمد: ليس بشيء، يحدث بأحاديث مناكير ليس لها أصل.

وقال يونس بن حبيب: قلت لأبن المديني: إن محمد بن كثير حدث عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس قال: نظر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أبي بكر وعمر فقال: هذان سيداً كهول أهل الجنة. الحديث.

فقال علي - ابن المديني -: كنت أشتتهي أن أرى هذا الشیخ، فالآن لا أحب أن أراه.

وقال الأجربي عن أبي داود: لم يكن يفهم الحديث. وقال ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد.

وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوى عندهم. وقال النسائي: ليس بالقوى، كثير الخطأ.

وقال أبو حاتم: دفع إلى محمد بن كثير كتاباً من حديثه عن الأوزاعي، فكان يقول في كل حديث منها: ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي، وهو محمد ابن كثير^(١).

أضف إلى هذه الطامة في السند آفة أخرى هي روايته عن قتادة.

(١) راجع بشأن هذه الأقوال ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب ولسان الميزان في ترجمته.

وقتادة: إمام التدلisis كما في نصب الراية للزيلعي^(١)، وقال الدارقطني: مدلس^(٢). وعده ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين، وقال: هو مشهور بالتدليس، وصفه بذلك النسائي وغيره^(٣). وقال الذهبي في كتاب المغني: حافظ ثقة، لكنه مدلس، وقد رُمي بالقدر!^(٤).

أقول: كيف يكون حافظاً ثقة وهو مدلس، وهل التدلisis إلا الكذب؟

وكان طاووس يفرّ من قتادة، وكان قتادة يُرمى بالقدر^(٥).

قال الذهبي: وقد رُمي بالقدر، وقد وقع في القدر كبار، حتى إن الحسن لطخ به، والله المستعان...

إلى أن قال: فأما الغلاة من الناصبة والشيعة والخوارج والقدرية والجهمية والدعاة من هذه الفرق فكان جمهور السلف يحدّرون منهم، ولا يرون الرواية عنهم^(٦).

بعد هذا العرض لأحوال اثنين من رجال السندي يسقط الحديث بالمرة، ويكتفي في سقوطه محمد بن كثير الذي أعرض ابن المديني عنه بسبب

(١) نصب الراية ٣/١٥٥.

(٢) تحقيق الغاية، ص ٣٠٩.

(٣) طبقات المدلسين لابن حجر، ص ١٦ ط محمودية بمصر.

(٤) المغني ٢/٥٢٢.

(٥) تهذيب التهذيب في ترجمته.

(٦) المغني ٢/٥٢٢.

هذا الحديث.

السند الثالث: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، أخبرنا سفيان بن عيينة، قال: ذكره داود عن الشعبي عن الحارث عن علي أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ماخلاً النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي.

ففي هذا السند سفيان بن عيينة، وهو على ما وصف به من العلم، فقد وصفوه بالتدليس كما عن النسائي وغيره، وعده ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين، وخفف اللهمجة فقال: وكان يدلّس، لكن لا يدلّس إلا عن ثقة^(١).

وما دام كذلك فلماذا التدليس إذن؟ والتدليس على أية حال وأية

(١) نفس المصدر، ص ١٠. أقول: ذكر الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الرواية، ص ٣٥٩ بسنده عن إبراهيم بن بشار الرمادي، قال: ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن علي، قال: كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا جاءه مال لم يبيّنه ولم يقيّله. قال فقال له رجل: يا أبا محمد سماع من عمرو بن دينار؟ قال: دعه لا تفسده. قال: يا أبا محمد سماع من عمرو بن دينار؟ قال: ويحملك لا تفسده، ابن جريج عن عمرو بن دينار. قال: يا أبا محمد سماع من ابن جريج؟ قال: ويحملك لم تفسده؟ الصحاك بن مخلد أبو عاصم عن ابن جريج. قال: يا أبا محمد سماع من أبي عاصم؟ قال ويحملك لم تفسده؟ حدثني علي بن المديني عن الصحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عمرو بن دينار. قال ابن عيينة: تلوموني على علي بن المديني، لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني. اهـ. وحسبنا بهذا، فهو يكتفي في كشف ابن عيينة وأماته في الحديث.

صفة فهو من أنواع الكذب^(١).

وفي هذا السنّد أيضاً داود، وهو ابن أبي هند، وهذا بالرغم من توثيقه عن جماعة، إلا أنّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ قَالَ: كَثِيرُ الاضطراب والخلاف^(٢). وسواء صَحَّ توثيقه أَمْ لَمْ يَصُحُّ، فِيكَفِي فِي توهين هَذَا الْحَدِيثِ بِهَذَا السَّنْدِ رِوَايَةُ الشَّعْبِيِّ لَهُ عَنِ الْحَارِثِ . وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ، لَأَنَّ الشَّعْبِيَّ نَفْسَهُ يَصِفُّ الْحَارِثَ بِالْكَذْبِ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَيْفَ يَسْتَحْلِمُ هُوَ الْرِوَايَةُ عَنْهُ؟

ولما كانت رواية الشعبي عن الحارث ستائي أيضاً عند ابن ماجة فرجئ بقية الكلام إلى هناك.

ثانياً: ابن ماجة: فقد روى الحديث في سنته بسندتين كما يلي:

السنّد الأول: حَدَّثَنَا هَشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثُنَّا سَفِيَانُ عَنِ الْحَسْنِ بْنِ عُمَرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ الْحَارِثِ عَنِ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ سَيِّدَا الْكَهُولِ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمَرْسُلِينَ، لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيٌّ مَادَامَا حَيَّيْنَ^(٣).

وهذا السنّد أولاً: فيه سفيان بن عيينة، وقد مرّ عدّه من المدلّسين في المرتبة الثانية عند ابن حجر.

(١) في الكفاية للخطيب البغدادي، ص ٣٥٥ قول شعبة بن الحجاج: التدليس أخو الكذب. وفي ص ٣٥٦ قول حماد بن يزيد: التدليس كذب.

(٢) تهذيب التهذيب ٢٠٥/٣

(٣) سنن ابن ماجة ١/٣٦ - ٣٨

وثانياً: فيه الحسن بن عماره، وهو كسابقه معدود من المدلسين، بل هو أسوأ حالاً من سفيان، فقد ذكره ابن حجر في طبقات المدلسين في المرتبة الخامسة، وقال: ضعفه الجمورو. وقال ابن حبان: بلئته التدلسي^(١). وقال البيهقي: وهو متزوك لا يحتاج به^(٢). وقال الدارقطني: والحسن بن عماره ضعيف^(٣). وذكره ابن حبان في كتاب المجرورين^(٤)، وقال: وكان ابن عينية إذا سمعه يروي عن الزهري وعمرو بن دينار جعل إصبعيه في أذنيه... وعن يحيى بن معين قال: الحسن بن عماره ليس بشيء. وحكى ابن حبان قول شعبة فيه: ما أبالي حدثت عن الحسن بن عماره بمحدث أو زنست زنية في الإسلام.

وثالثاً: فيه فراس - وهو ابن يحيى - وئته بعضهم، فقال عثمان بن أبي شيبة: صدوق، قيل له: ثبت؟ قال: لا. وقال يعقوب بن أبي شيبة: وكان فراس - مكتباً وفي حديثه لين وهو ثقة^(٥).

ورابعاً: فيه الشعبي، وهو عامر بن شراحيل، وهو الطامة الكبرى، وفي كتب الجرح والتعديل قد بالغوا في توثيقه، وليس هناك، ونحن يكفينا أن

(١) طبقات المدلسين، ص ٢٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٦٦/٣ وقال: الحسن بن عماره فهو متزوك، متهم بالكذب. وقال ٢٠/٢: وفي الحسن بن عماره، وهو يضع.

(٣) نفس المصدر ٥/٣٤.

(٤) كتاب المجرورين ١/٢٤٠.

(٥) نفس المصدر ٨/٢٦٠.

نعرف القارئ بأنه كان مؤدباً لولد عبد الملك بن مروان^(١)، وأنه كان قاضياً أيضاً لعبد الملك بالكوفة أيام الحجاج ومن بعده لبني أمية.

قال العلاء بن هارون: ولِي الشعبي القضاء فما قام له ولا قوى عليه^(٢).

ومن قبيح قوله وقد أنكر عليه جوره في القضاء، فاته الأحنف ليفهمه، وقال له: فاقض بينهما بما أراك الله. قال: لست برأي ربِّي أقضي، إنما أقضي برأيِّي^(٣).

وفي أيام قضاوته لعبد الملك حدثت قصة تخاصم رجل مع زوجته عنده، فنظر إليها الشعبي وكانت جميلة وتحاولت له، فحكم للزوجة على زوجها، فقال زوجها - البارقي:

رَفَعَ الْطَرْفَ إِلَيْهَا	فُتَنَ الشَّعْبِيُّ لَمَا
وَبَخْطَىْ حَاجِبَهَا	قَتَّلَهُ بِقَوَامٍ
وَبَحْسَنَ مَقْلُتَهَا	وَبِنَانَ كَالْمَدَارِيِّ
نَحْرَهَا أَوْ سَاعِدَهَا	كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا
سَاجِدًا بَيْنَ يَدِيهَا	لَصْبَاحَتِي تَرَاهُ
ظَلِمَ الْخَصْمُ لَدِيهَا	بَنْتُ عَيْسَى بْنِ جَرَادٍ

(١) أخبار القضاة لوعي ٤٢١/٢.

(٢) نفس المصدر ٤٢٦/٢.

(٣) نفس المصدر ٤٢٧/٢.

فَقَضَى جُورًا عَلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا
قَالَ لِلْجَلْوَازِ قَدَّمْهَا وَأَحْضَرَ شَاهِدِيهَا

فشاءت القصة والأبيات حتى بلغت عبد الملك، وروى وكيع أن الشعبي أتى قصر عبد الملك فقرع الباب، فقال الآذن: من هذا؟ فقال: الشعبي. فقال: (فُتَنَ الشَّعْبِيُّ لَمَا) إلى آخر ما جرى بينهما بدون أي حياء، كما ذكر مرور الشعبي بأمرأة فسمعها تشد (فُتَنَ الشَّعْبِيُّ لَمَا) (١).

(١) وروى ابن أبي الحميد في شرح النهج ٦٦/١٧ تحقيق محمد أبو الفضل، فقال: ارتفعت جميلة بنت عيسى بن جراد. وكانت جميلة كاسمها. مع خصم لها إلى الشعبي. وهو قاضي عبد الملك. فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي:

فُتَنَ الشَّعْبِيُّ لَمَا رَفَعَ الْطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَشَّهَ بِثَابِيَا هَا وَقُوسِيِّ حَاجِيَهَا
وَمَشَتْ مُشِيَا رَوِيَّدَا ثُمَّ هَرَّتْ مُنْكِيَهَا
فَقَضَى جُورًا عَلَى الْخَصْنَ لَمْ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثة سوطاً.

قال ابن أبي ليلي: ثم انصرف الشعبي يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات وتناشدتها الناس ونحن معه، فمررنا بخادم تفسل الثياب وتقول: (فُتَنَ الشَّعْبِيُّ لَمَا). ولا تحفظ تتمة البيت، فوقف عليها ولقنتها وقال: (رفع الطرف إليها) ثم ضحك وقال: أبعده الله، والله ما قضينا لها إلا بالحق. أخبار القضاة لوكيع ٤١٦/٢ فما بعدها، العقد الفريد ١٠٦/١٠٧. وذكر محقق كتاب العقد الفريد في الهاشمية أن القصة وردت في كتاب التمثيل والمحاصرة للشعابي، ولم أقف عليها في المطبوع بتحقيق عبد الفتاح محمد الخلو بمصر.

إلى غير ذلك مما يروى عن مجونه كحضوره وليمة فرأى أهلها سكوتاً،
فقال: مالي أراكم كأنكم في جنازة؟ أين الغناء؟ وأين الدف؟^(١).

فالرجل أموي الهوى والنعمـة، وما جن الأخـلـق خسيـس الـهـمـة^(٢)،
ناصـبي العـقـيـدة، وقد بلـغـ من نـصـبـهـ أنهـ كانـ يـحـلـفـ بالـهـلـهـ:ـ لقدـ دـخـلـ عـلـيـ
حـفـرـتـهـ وـمـاـ حـفـظـ الـقـرـآنـ^(٣).

قال الصـاحـبـيـ فيـ فـقـهـ الـلـغـةـ:ـ وـهـذـاـ كـلـامـ شـنـيعـ جـداـ فـيـمـ يـقـولـ:ـ سـلـوـنـيـ
قـبـلـ أـنـ تـفـقـدـوـنـيـ،ـ سـلـوـنـيـ فـمـاـ مـنـ آـيـةـ إـلـاـ أـعـلـمـ بـلـلـيـلـ نـزـلـتـ أـمـ بـنـهـارـ أـمـ فـيـ
سـهـلـ أـمـ فـيـ جـبـلـ^(٤).

وروى السـلامـيـ عنـ عـبـدـ خـيـرـ عـنـ عـلـيـ:ـ أـنـ رـأـيـ مـنـ النـاسـ طـيـرـةـ عـنـدـ
وـفـاةـ رـسـوـلـ اللهـ صلـيـلـهـ عـلـيـهـ السـلـيـنـ وـلـدـهــ،ـ فـأـقـسـمـ أـنـ لـاـ يـضـعـ عـلـىـ ظـهـرـهـ رـدـاءـاـ حـتـىـ يـجـمـعـ
الـقـرـآنـ.ـ قـالـ:ـ فـجـلـسـ فـيـ بـيـتـهـ حـتـىـ جـمـعـ الـقـرـآنـ،ـ فـهـوـ أـوـلـ مـصـحـفـ جـمـعـ فـيـ
الـقـرـآنـ،ـ جـمـعـهـ مـنـ قـلـبـهـ،ـ وـكـانـ عـنـدـ آـلـ جـعـفـرـ.

فالـرـجـلـ مـعـ مـاـ ذـكـرـنـاهـ مـنـ حـالـهـ وـفـعـالـهـ كـانـ كـاذـبـاـ فـيـ أـقـوـالـهـ،ـ وـهـوـ

(١) لطائف اللطف للشعالبي، ص ٢٩ ط دار المسيرة بيروت.

(٢) لاحظ أخبار مجونه في كتاب الأغاني ١٢١/١، ٧١/٢، ١٣٣ فستجد الرجل يمتهن
الخـسـةـ فـيـ النـسـقـ.

(٣) كتاب القرطين ١٥٨/١. المعرفة والتاريخ للفسوسي ٤٨٣/١. وفي مصنف ابن أبي شيبة
٣١٢/٢ قال: مات أبو بكر وعمر ولم يجمعوا القرآن. لكن ابن سعد في ٣ ق ٥٢١/١٠
نقله عن ابن سيرين اقتصر على عمر وحده.

(٤) فـقـهـ الـلـغـةـ،ـ صـ ١٧٠ـ.

القاتل: (لم يشهد الجمل من الصحابة إلا أربعة، فإن جاؤوا بخاتم فأنا كذاب: علي وعمار وطلحة والزبير) كما في الفصول المختارة، في حين أنا إذا رجعنا إلى كتب التاريخ نجد أن الصحابة الذين جاؤوا مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا بالثات.

قال المسعودي في مروج الذهب: وسار علي من المدينة... في سبعمائة راكب، منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سبعون بدرية، وباقיהם من الصحابة^(١).

وذكر أسماء بعض أصحاب الرأيات الذين رتبهم الإمام في القيادات فكان منهم: أبو أيوب الأنصاري، وخرزيمة بن ثابت، وأبو قتادة بن ربيع، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله وعبيد الله ابنا العباس، سوى الذين كانوا مع الإمام عليه السلام، وحوله كالحسنين وابن جعفر وولد عقيل وغيرهم من بني هاشم والشافعية من أهل بدر من المهاجرين والأنصار^(٢). وهؤلاء كلهم من الصحابة الذي كانوا مع الإمام.

وأما الذين كانوا مع طلحة والزبير فيكفي أن تعرف أسماء من قُتل معهم وهو من الصحابة، فقد قُتل سليمان بن مطبع مع عائشة^(٣)، وعبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة^(٤)، وعبد الرحمن بن عتاب

(١) مروج الذهب ٢/٣٦٧ ط السعادة بمصر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(٢) نفس المصدر ٢/٣٦٨.

(٣) أسد الغابة ٢/٣٤٥.

(٤) نفس المصدر ٣/٣٠٨.

الأموي^(١)، وعبد الله بن أبي خلف^(٢)، وعبد الله بن حكيم من مسلمة الفتح^(٣)، وعبد الله بن خلف والد طلحة الطلحات^(٤)، وعمرو بن عبد الله^(٥)، ومجان بن مسعود^(٦)، وأخوه مجالد بن مسعود^(٧)، والحرز بن حارثة^(٨)، ومحمد بن طلحة^(٩)، ومعبد بن زهير^(١٠)، ومعرض بن علاط السلمي^(١١)، وهلال بن وكيع الدارمي^(١٢).

والآن وبعد هذا العرض تبيّن للقارئ أن الشعبي (هو من الكذابين)، فقد أتينا له بكثير من الصحابة الذين حضروا يوم الجمل.

إذا كان هذه حاله كيف يصدق في حديثه؟ ولو أغمضنا النظر عن جميع ما تقدم، فكيف قبل روايته للحديث المذكور وهو يرويه عن الحارث

(١) نفس المصدر ٣٠٨/٣.

(٢) نفس المصدر ١١٤/٣.

(٣) نفس المصدر ١٤٥/٣.

(٤) شذرات الذهب ٥١/١.

(٥) أسد الغابة ١١٩/٤.

(٦) نفس المصدر ٣٠٠/٤.

(٧) نفس المصدر ٣٠١/٤.

(٨) نفس المصدر ٣٠٦/٤.

(٩) نفس المصدر ٣٢٢/٤.

(١٠) نفس المصدر ٣٩١/٤.

(١١) نفس المصدر ٣٩٦/٤.

(١٢) نفس المصدر ٦٩/٥.

وهو الذي كان يكذب؟ فاقرأ ما يقوله علماء الجرح والتعديل في ذلك.

قال مسلم في مقدمة صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال: حدثنا الحارث الأعور الهمданى وكان كذاباً^(١).

حدثنا أبو عامر عبد الله بن براد الأشعري، حدثنا أبوأسامة عن مفضل عن مغيرة قال: سمعت الشعبي يقول: حدثني الحارث الأعور، وهو يشهد أنه أحد الكذابين.

وقال ابن حبان في كتاب المgrohين: قال الشعبي: حدثنا الحارث وأشهد أنه أحد الكذابين^(٢).

وقال ابن حجر في التقريب: كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف^(٣).

وقال النووي في الخلاصة: مجمع على ضعفه فإنه كان كذاباً^(٤).

وقال الفتني في كتابه تذكرة الموضوعات: الحارث بن عبد الله الهمданى الأعور من كبار علماء التابعين، كذبه الشعبي وابن المدينى، وأبطل ابن سيرين عامّة ما يرويه عن علي^(٥).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٧/١.

(٢) كتاب المgrohين ١/٢٦.

(٣) تقريب التهذيب ١/٤١.

(٤) تحقيق الغاية بترتيب الرواة المترجم لهم في نصب الراية، ص ١٢٠ ط جامعة العلوم الأخرى بجهم باكستان ١٤٠٧هـ.

(٥) تذكرة الموضوعات، ص ٢٤٨ ط دمشق.

وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن حبان: كان غالباً في التشيع، واهياً في الحديث. مع أنه أخرج له في صحيحه، وقيل: كان أفقه الناس، وأفرض الناس، وأحسب الناس.

وفي الثاني المصنوعة: كذاب يروي عن علي.

أقول: فإذا كان الشعبي يشهد على الحارث أنه أحد الكاذبين، وعلى شهادته تلك جرى من بعده، فلماذا لم يتجلب الأربعة من أصحاب السنن رواية حديثه؟ فقد أخرج له الترمذى والنسائي وأبو داود وابن ماجة.

ولما كان كذاباً بشهادة الشعبي ومن تبعه فرواية الشعبي عنه حديث الكهول إذن تكون ساقطة، ولا يُحتاج بحديث الكاذبين. ولقد أخرج تبريجهم للحارث مع تبريرهم لحديثه في صحاحهم جماعة من أتباعهم، ولا بد لهم من إبداء عذر عن ذلك التناقض.

فقال السنوسي الحسيني في مكمل إكمال الإكمال:

فإن قيل: فإذا كان - الحارث - أحد الكاذبين فما بال الشعبي حديث عنه؟

فالجواب: أن الأئمة رضوان الله عليهم إنما حدثوا عن مثل هؤلاء مع اعتراضهم بكتابهم لأوجهه: منها: أن يعلموا طرق حديثهم وضرورب روایاتهم، لثلا يأتي مجھول أو مدلس فيبدل اسم الضعيف ويجعل مكانه قوياً، فيعلم الحق بمعرفته طرق الضعفاء ذلك.

والثاني: أن يكون الرجل إنما ترك لأجل غلطه وسوء حفظه، أو

يكون من أكثر فاصلات وأخطاء، والحفظ يعرفون خطأ من صوابه، فيدعون تخلبيطه، ويستظهرون صحيح حديثه لموافقة غيره، وبهذا احتج الثوري حين نهى عن الكلبي، فقيل له: وأنت تروي عنه؟ فقال: أنا أعلم صدقه من كذبه، وهم لا يرون منها شيئاً للحججة بها والعمل لمقتضاه^(١).

وهذا الجواب كما ترى ليس بمقنع، ولو سلمناه إذن لا حجة في رواية الشعبي عن الحارث لحديث الكهول ما داموا يررون عن الكذابين لا للحجية بها والعمل بمقتضها كما يقول السنوسي الحسيني.

ولكن غيره سلك طریقاً آخر في توجیه تخریج أحادیثه عند الأربعة مع تخریجهم له.

فقال ابن شاهين في الثقات: قال أحمد بن صالح المصري: الحارث الأعور ثقة ما أحفظه، وما أحسن ما روى عن علي وأثنى عليه. قيل له: فقد قال الشعبي: كان يكذب؟ قال: لم يكن يكذب في الحديث، إنما كان كذبه في رأيه^(١).

وقال الذهبي في ميزانه: وحديث الحارث في السنن الأربعة: والنسائي
مع تعنته في الرجال، فقد احتاج به وقوى أمره، والجمهور على توهين أمره
مع روایتهم لحديثه في الأبواب، فهذا الشعبي يكذبه ثم يروي عنه، والظاهر
إنه كان يكذب في لهجته وحکاياته، وأما في الحديث النبوي فلا، وكان من

١) مكمل إكمال الإكمال .٢٩/١

٢) تهذيب التهذيب ١٤٧/٢

أوعية العلم^(١).

أقول: وليس توجيه ابن شاهين والذهبي بمحبوب، وإن خففاً لهجة التجريح ومنحاه بعض بركات التوثيق، لأن الكاذب سواء في رأيه كما يقول ابن شاهين أو في لهجته وحكاياته، هو كذاب على كل حال ولا يوثق بنقله، فلا يجوز الاحتجاج بمحديه.

ولما كان الحارث من مقدمي أصحاب علي عليهما السلام في الفقه والعلم بالفرائض والحساب كما يقول ابن جرير^(٢)، وقال: وروي عن الشعبي أنه تعلم منه الفرائض والحساب.

فلم لم يرع الشعبي ذمة للعلم ولا حرمة للعالم، فكذب الحارث لماذا؟ لأنه وإياه مختلفان في العقيدة؟

هذا ما أشار إليه من طرف خفي أحمد بن صالح المصري بقوله: وإنما كان كذبه في رأيه؟ وإنما معنى ذلك؟

لكن القرطبي كشف دخلة الأمر في تفسيره في باب فضائل القرآن، فقال: وأسند عن الحارث عن علي رضي الله عنه وخرجه الترمذى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول:

ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم،

(١) ميزان الاعتدال ٤٣٧/١ ط محققة.

(٢) الكامل لابن عدي ١٨٦/٢ ط دار الفكر.

وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يعله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تقتضي عجائبها، وهو الذي لم تتبه الجن إذ سمعته أن قالوا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَابًا»، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور^(١).

قال القرطبي: (الحارث) رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء، ولم يبن من الحارث كذب، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله له على غيره، ومن ه هنا - والله أعلم - كذبه الشعبي، لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أول من أسلم^(٢).

قال أبو عمر بن عبد البر في جامع بيان العلم^(٣) عن الأعمش قال: ذكر إبراهيم النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعور الذي يستفتيني بالليل ويجلس يفتى الناس بالنهار. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: ذاك الكذاب لم يسمع من مسروق شيئاً...

(١) سنن الترمذى ١٤٩/٢ ط بولاق بتفاوت، فراجع.

(٢) تفسير القرطبي ٥/١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٨٩/٢ ط الثانية بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان نشر المكتبة السلفية سنة ١٣٨٨هـ.

إلى أن قال: وأظنن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني:
حدثني الحارث وكان أحد الكاذبين. ولم يبن من الحارث كذب... إلى آخر
ما مرّ عن القرطبي.

ونحن أيضاً نهني مقالنا في هذا المقام بعد أن تبيّن لنا من هو الكذاب
الأشر.

السند الثاني: عند ابن ماجة: حدثنا أبو شعيب صالح بن الهيثم
الطائي، حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس، حدثنا مالك بن مغول عن
عون بن أبي جحيفة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا
النبيين والمرسلين.

ويكفي في إسقاط الحديث وجود عبد القدوس بن بكر بن خنيس
الذي قال فيه ابن حجر: وذكر محمود بن غيلان عن أحمد وابن معين
وخيثمة أنهم ضربوا على حديثه...^(١)

ونحن أيضاً تبعاً لمؤلء الأعلام نضرب على حديثه.

أقول: وقد ذكر الحديث بهذا السند في مصباح الزجاجة فضائل
 أصحاب النبي ﷺ (فضل أبي بكر)^(٢).

ثالثاً: ومن روى الحديث مستنداً الهيثمي في موارد الظمان، قال:

(١) تهذيب التهذيب ٣٦٩/٦.

(٢) مصباح الزجاجة زوائد ابن ماجة باب ٨ حديث ٣٦.

أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، حدثنا محمد بن عقيل بن خويلد، حدثنا خنيس بن بكر بن خنيس، حدثنا مالك بن مغول عن عون ابن أبي جحيفة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمسلحين^(١).

ففي السندي خنيس بن بكر بن خنيس وهذا ضعفه صالح بن جزرة كما في الميزان ولسانه والمغني^(٢).

رابعاً: ومن روى الحديث مسندأً الدولابي في كتابه الكنى والأسماء: أخبرني أحمد بن شعيب قال: أباً محمد بن عقيل قال: أباً خنيس بن بكر، حدثنا مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة الأولين والآخرين إلا النبيين والمسلحين^(٣).

وهذا السندي فيه خنيس بن بكر بن خنيس أيضاً، وقد تقدم فيما قبله تضييف صالح بن جزرة له.

خامساً: ومن روى الحديث مسندأً أحمد بن حنبل في مسندته: قال عبد الله بن أحمد: حدثني وهب بن بقية الواسطي، حدثنا عمر

(١) موارد الظمان إلى زوايد ابن حبان، ص ٥٣٨.

(٢) ميزان الاعتدال ٦٦٩/١. لسان الميزان ٤١١/٢. المغني للذهبي، ص ٢١٥.

(٣) الكنى والأسماء ١٢٠/١ ط حيدر آباد.

ابن يونس - يعني اليمامي - عن عبد الله بن عمر اليمامي عن الحسن بن زيد، حدثني أبي عن أبيه عن علي، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال: يا علي هذان سيداً كهول أهل الجنة وشياطينها بعد النبئين والمرسلين^(١).

ففي السنّد عبد الله بن عمر اليمامي الذي قال ابن حجر فيه: ويقال:
ابن محمد ليس معروفة، وقال: ضرب عليه الحسيني. وقال: هو ابن محمد
الذى أخرج له مسلم^(٢).

ولذا كان هو این محمد فقد قال الذهبي فيه: مجهول^(۳).

وقال الفتني: ضعيف روی عن أبيه معضلات ومناکير^(۵).

ومن الغريب تصحيح أحمد محمد شاكر لهذا السندي هامش المسند^(٦).

(1) مسند أحمد بن حنبل ٨٠/١ ط الأولى، ٣٨/٢ تحقيق أحمد محمد شاكر.

٢٣٠) تعيين المنفعة، ص

(٣) المغني، ص ٣٥٥. ديوان الضعفاء، ص ١٧٥ ط مكة سنة ١٣٨٧هـ.

٤) ميزان الاعتدال / ٤٩٢

(٥) قانون الموضوعات، ص ٢٤٩.

(٦) مستند أحمد ٣٧/٢ - تحقیق محمد شاکر.

سادساً: ومن روى الحديث مسنداً للخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أخرجه بأربعة أسانيد، وهي كما يلي:

السند الأول: قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض بن أبي عقيل القاضي بصور، أخبرنا محمد بن أحمد بن جميع، أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن مخلد، حدثنا محمد بن سعيد بن عبد الله أبو عبد الله الخزاز السوسي، حدثنا يحيى بن عنبرة المصيصي - أصله بصري -، حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم: سيداً كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر، وإن أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء.

قال يحيى: وأبعد فوق ذاك^(١).

أقول: ولا نطيل الوقوف عند رجال السند، ويكفينا بيان حال واحد منهم يكفي في سقوطه جملة وتفصيلاً. وذلك هو: يحيى بن عنبرة الذي ذكره ابن حبان في المجموعين، وقال: شيخ دجال يضع الحديث على ابن عينة وداد وابن أبي هند وأبي حنيفة وغيرهم من الثقات، لا تخل الرواية عنه بحال، ولا كتبة حديثه إلا للاعتبار^(٢).

وقال الدارقطني: دجال يضع الحديث.

وقال ابن عدي: منكر الحديث مكشوف الأمر^(٣).

(١) تاريخ بغداد ٥/٣٠٧.

(٢) كتاب المجموعين ٣/١٢٤.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/٤٠٠.

وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين^(١).

أضف إليه روايته عن حميد الطويل الذي قال عنه الذهبي: **شيخ لا يُدرى من هو^(٢).**

السند الثاني: بشار بن موسى الخفاف، حدثنا شريك عن فراس عن الشعبي عن الحارث عن علي، قال: نظر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أبي بكر وعمر وهمما مقبلان فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين من خلا في الأمم الغابرين ومن يأتي، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي.

قال علي: فلو كان حيّن ما حدثت به^(٣).

وعقب الخطيب على ذلك حكاية قول عبد الله بن علي بن المديني، قال: سمعت أبي يقول: كان بشار الخفاف يحدث عن شريك، قال: حدثنا فراس عن الشعبي عن الحارث عن علي (سيدا كهول أهل الجنة). فقلت له: هذا الحديث إنما روى شريك عن الحسن بن عمارة، فكان يقول فيه: شريك عن فراس.

أقول: ولم يقل الخطيب شيئاً يكشف به حال الرجل، ولكن من راجع كتب الجرح والتعديل يجد فيها ما ينفع.

(١) ديوان الضعفاء والمتروكين، ص ٣٣٩.

(٢) المغني، ص ١٩٦.

(٣) تاريخ بغداد ١١٨/٧.

قال البخاري: منكر الحديث، قد رأيته وكتب عنه، وتركت حديثه.
وقال الغلاني عن ابن معين: من الدجالين. وقال ابن معين أيضاً: ليس بثقة.
وقال أبو زرعة: ضعيف. ومثله عن أبي داود، وعمرو بن علي وغيرهم^(١).
هذا كله مضافاً إلى ما تقدم من حال الشعبي والحارث، فكيف يقبل
الحديث بسند كهذا؟

السند الثالث: عبد الله بن هارون بن أبي عصمة الشيعي، حدثنا
الأزهر بن جعفر، أخبرني عبيد الله بن موسى عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي.

وطحة بن عمر وعن عطاء عن ابن عباس عن علي، قال: دخل أبو
بكر وعمر المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: هذان
سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ماخلا النبيين والمرسلين، لا
تغبرهما بذلك يا علي. قال: فما أخبرتهما حتى ماتا^(٢).

أقول: وحيث أن الخطيب روى الحديث بطريقين، وفي رجال كل
منهما آفة، بل فيهم آفات، وسنختار من الطريق الأول:

١ - عبيد الله بن موسى: وهو شيخ البخاري، وقد وثق في نفسه، لكنه
شيعي متفرق، وكذا قال أبو داود.

وروى الميموني عن أحمد قوله: كان عبيد الله صاحب تخليط، حدث

(١) تهذيب التهذيب ٤٤١/١.

(٢) تاريخ بغداد ١٩٢/١٠.

بأحاديث سوء، وأخرج تلك البلايا، وقد رأيته بمكة فما عرضت له، وقد استشار محدثه أحمد بن حنبل في الأخذ عنه فنهاه^(١).

٢- يonus ابن أبي إسحاق. قال الساجي فيه: صدوق، كان يقدّم عثمان على علي. وضعفه بعضهم، فقد قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: حديثه مضطرب^(٢).

وقال أبو حاتم: لا يُحتج به وضعفه أحمد^(٣).

فانظر بربك هل يمكن أن تصدق بأن شيئاً متحرقاً. لتشيّعه طبعاً. مثل عبيد الله بن موسى يروي عن رجل مثل يonus ابن أبي إسحاق الذي يقدم عثمان على علي، يروي عنه حديث (سيّدا كهول أهل الجنة)؟ حدث العاقل بما لا يُعقل، فإن صدّق فلا عقل له. مضافاً إلى جهالة الراوي عن عبيد الله بن موسى، وهو جعفر الأزهري.

أما الطريق الثاني: وبيّن بطلحة بن عمرو، وهذا متوكلاً لا تخل الرواية عنه كما في قانون الموضوعات^(٤).

فقد قال أحمد: لا شيء متوكلاً في الحديث.

وقال ابن معين: ليس بشيء ضعيف.

(١) ميزان الاعتدال ١٦/٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٤٣٤/١١.

(٣) ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثوق، ص ٢٠٤.

(٤) قانون الموضوعات، ص ٢٦٤.

وقال الجوزجاني: غير مرضي في حديثه.

وقال أبو حاتم: ليس بقوى.

وقال البخاري: ليس بشيء.

وقال النسائي: متزوك الحديث ليس بثقة.

وقال ابن المديني: قال عبد الرحمن: قدم طلحة بن عمرو فقعد على مصتبة واجتمع الناس، قال، فخلوت به وقلت: ما هذه الأحاديث؟ فقال: أستغفر الله وأتوب إليه منها. فقلت له: أقعد على المصتبة واحذر الناس. فقال: أخبروهم عنني. وساق له ابن عدي جملة، وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

وقال ابن المديني أيضاً: ضعيف ليس بشيء.

وقال ابن حزم: ركن من أركان الكذب متزوك الحديث.

وقال ابن حبان: كان من يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يخل كتبة حديثه ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب^(١).

فحديث يرويه مثل بشار بن موسى وطلحة بن عمرو بعد معرفة

(١) تهذيب التهذيب ٨/٥. كتاب المกรوحين لابن حبان ٨/٢ ط دار الوعي مجلب. الإحکام لابن حزم ١٠١/٧. المخلی ٢٧٦/١١. تجرید أسماء الرواة الذي تكلم فيهم ابن حزم، ص ١٣٧ ط مكتبة المنار. تاريخ البخاري (الكبير) ٣٥٠/٤. ميزان الاعتدال ٣٤٠/٢. الضعفاء الصغير للبخاري، ص ٦١. كتاب الضعفاء والمترؤكين للنسائي، ص ٦٠. سوالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني، ص ١١٢ مكتبة المعارف الرياض.

حالهما كيف يقبل؟!

السند الرابع: قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض القاضي - بصور - أخبرنا محمد بن أحمد بن جميع الفساني، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مخلد، حدثنا محمد بن حارثة أبو زكريا، حدثنا عبد الله بن موسى، حدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة^(١).

ويكفي في توهين السند وجود طلحة بن عمرو، الذي تقدم بعض ما قيل فيه، فقالوا: مترونك الحديث، ليس بثقة، غير مرضي في حديثه، لا تخل كبة حديثه ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب.

وأخرجه الخطيب أيضاً بسند خامس في كتابه (موضع أوهام الجمع والتفرق) في ذكر طاهر بن عمرو بن الربيع بن طارق المصري - وهو جبشي ابن عمرو -، قال: أخبرني الحسن بن علي الجوهري، حدثنا عمر بن أحمد الوااعظ، حدثنا الحسن بن حبيب بن عبد الملك بدمشق، حدثني جبشي بن عمرو، حدثنا أبي، حدثنا عكرمة - يعني ابن إبراهيم - قال: حدثني رجل من بجيلة عن الشعبي عن الحارث، قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان عند رسول الله ﷺ جالساً ليس عنده غيره إذ أقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا علي هذان سيداً كهول أهل الجنة إلا النبيين والمرسلين^(٢).

(١) تاريخ بغداد ١٤٢٦ - ٢١٧.

(٢) موضع أوهام الجمع والتفرق ١٧٨/٢ - ١٧٩. ط حيدر آباد ١٣٧٩هـ.

أقول: ولدى مراجعة كتب الجرح لم أقف على من ذكره باسميه، نعم ذكرروا أباه عمرو بن الريبع ووثقواه، فهو مجهول، مضافاً إلى وجود عكرمة بن إبراهيم الذي قال ابن حبان: كان من يقلب الأخبار ويرفع المراasil، لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن معين: ليس بشيء. وكذا قال فيه أبو داود، وضيقه النسائي، وقال العقيلي: في حفظه اضطراب^(١). ثم جهالة الرجل البجلي الذي لا يدرى من هو، وأخيراً انتهاء السندي إلى الشعبي عن الحارث وقد مر الكلام في ذلك. فالسندي ساقط على كل حال.

سابعاً: من روى الحديث مسندأ ابن حجر.

فقد روى الحديث في لسان الميزان في ترجمة عبد الرحمن بن مالك ابن مغول فقال: داود بن مهران الدباغ، حدثنا عبد الرحمن بن مالك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما بحديث: هذان سيدا كهول أهل الجنة.

وذكر قول العقيلي في الضعفاء في حديث ابن عمر وقال: ليس بمحفوظ عن عبيد الله.

ثم ذكر ابن حجر قول أحمد: حرقتنا (حرقنا) حدثه منذ دهر. وقول الجوزياني: ضعيف الأمر جداً... وذكر أقوال آخرين في تضييفه فلتراجع^(٢).

(١) كتاب المجرورين لابن حبان، ميزان الاعتدال في ترجمته.

(٢) لسان الميزان ٤٢٧/٣.

وقال أبو داود: كان يضع الحديث^(١). وقال: كذاب^(٢).

ثامناً: ومن روى الحديث مسندأ ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد،

قال:

أخبرنا عبد الواحد بن عبد السلام بن سلطان الأزجي، قال: أبأنا أبو الفضل محمد بن عمر الأرموي، ثنا أبو الحسين محمد بن علي المهتمي من لفظه، قال: أبأنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد المالكي الفقيه، ثنا علي بن الفضل ابن إدريس السامرائي، ثنا إبراهيم بن البيش البلدي، ثنا محمد بن كثير، ثنا الأوزاعي عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين^(٣).

أقول: ولا نطيل الوقوف عن رجال إسناده، فهم على ما فيهم يكفي وجود محمد بن كثير بينهم، وهذا قد تقدّم حاله في رجال السنن الثاني من روایة الترمذی، فراجع ستجد قول ابن المديني فيه بسبب روایته لهذا الحديث.

تاسعاً: ومن روى الحديث مسندأ ابن عساكر في تاريخه^(٤).

(١) تزيه الشريعة المرفوعة ٧٩/١.

(٢) الكشف الحيث للحلبي، ص ٢٥٩، تحقيق صبحي السامرائي، الأوقاف العراقية.

(٣) تاريخ بغداد ٢٤٦/١٦.

(٤) تاريخ دمشق (ترجمة الحسين عليه السلام).

قال: أخبرنا أبو الفتح أحمد بن عقيل بن محمد بن علي بن نافع الفارسي، أبناً عبد العزيز الكتاني، أبناً أبو عصمة نوح بن نصر بن محمد ابن عمرو بن الفضيل، عن العباس بن الحارث الفرعاني من لفظه ببغداد، أبناً أبو الحسن علي بن أبي بكر الوراق، أبناً أبو عبد الله محمد بن موسى الرازى الضرير إملاءً، أبناً أبو العباس محمد بن يونس القرشى، أبناً محمد بن عاصم السلمى، أبناً هارون بن مسلم الخنائى عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن علي عن أبي محمد الأنصارى عن الحسين بن علي، قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: لا تسبوا أبا بكر وعمر، فإنهما سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، ولا تسبوا الحسن والحسين، فإنهما سيداً شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، ولا تسبوا علياً فإن من سبَّ علياً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله عذبه الله.

وهذا الحديث يكفي في سقوطه سندًا وجود محمد بن يونس القرشى وهو الكديمى الذى قال في ترجمته ابن حجر في تهذيب التهذيب: كان أبو داود سئى الرأى فيه^(١). وقال الدارقطنى: كان يتهم بوضع الحديث، وما أحسن القول فيه إلا من لم يخبر حاله.

ثم قال الدارقطنى: قال لي أبو بكر أحمد بن المطلب الهاشمى: كنا يوماً عند القاسم بن زكريا المطرز، فمرَّ في كتابه حديث عن الكديمى،

فامتنع عن قراءته، فقام إليه محمد بن عبد الجبار وكان أكثرَ عن الكديمي، فقال: أيها الشيخ أحب أن تقرأه. فأبى وقال: أجائيه بين يدي الله غداً، وأقول: إن هذا كان يكذب على رسولك وعلى العلماء^(١).

وقال ابن حبان: كان يضع الحديث، قد وضع على الثقات أكثر من ألف حديث. وقال ابن عدي: قد أثُرَهم بوضع الحديث، ترك عامة مشايخنا الحديث عنه، وكان مع وضعه الحديث وادعائه ما لم يسمع علّق لنفسه شيوخاً، وكان ابن صاعد وعبد الله بن محمد لا يمتنع عن كل ضعيف إلا عن الكديمي، وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث تركه ابن صاعد وابن عقدة، ولم يحدُث عنه ابن خزيمة.

فهذا حال واحد من رواة الحديث وما قيل فيه يكفي في سقوطه، وسيأتي في المحاولات البائسة اليائسة ما يتعلق بهذا الحديث أيضاً.

عاشرًا: ومن روى الحديث مسندًا ابن أبي شيبة في كتابه المصنف، قال: حدثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال أخبرنا أبو معاذ عن خطاب أو أبي الخطاب عن علي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر فقال: يا علي هذان سيدنا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الأنبياء فلا تخبرهما^(٢).

الآن يكفي في سقوط السنن وجود موسى بن عبيدة وهو الربذى؟ قال

(١) الكشف الخيث عن رمي بوضع الحديث لبرهان الدين الحلبي، ص ٤١٧ تحقيق صبحي السامرائي، ط وزارة الأوقاف العراقية.

(٢) كتاب المصنف ١١/١٢.

أحمد: لا يكتب حديثه. وقال النسائي وغيره: ضعيف. وقال ابن عدي: الضعف على روایاته بین. وقال ابن معین: ليس بشيء. وقال مرة: لا يحتاج بحديثه. وقال مجیی بن سعید: كنا نثني حديثه. وقال ابن سعد: ثقة وليس بحجۃ (١)، وقال يعقوب بن شیة: صدوق ضعیف الحديث (١) (١).

وذکرہ الذهبی فی دیوان الضعفاء والمتروکین، وقال: ضعفوه، وقال
أحمد: لا تخل الروایة عنه (٢).

مضافاً إلى روایته عن أبي معاذ، وهو سلیمان بن أرقم البصري الذي
قال فيه أحمد: لا يروى عنه. وقال عباس وعثمان عن ابن معین: ليس
بشيء. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال أبو داود والدارقطني: متروک. وقال
أبو زرعة: ذاہب الحديث.

وقال محمد بن عبد الله الانصاری: كنا نتهى عن مجالسة سلیمان بن
أرقم. فذكر منه أمراً عظیماً (٣).

وزاد في الطین بلة روایة أبي معاذ عن خطاب أو أبي الخطاب المجهول
النكرة الذي لا يعرف من هو؟ وربما لم تره الدنيا أصلاً.

الحادي عشر: ومن روی الحديث مسندأ الطحاوی فی كتابه مشکل

(١) میزان الاعتدال ٤/٢١٣.

(٢) دیوان الضعفاء والمتروکین، ص ٣١١ تحقيق الشیخ حماد بن محمد الانصاری ط مکة
١٣٨٧هـ.

(٣) میزان الاعتدال ٢/١٩٦.

الآثار^(١)، أخرجه بأربعة أسانيد:

السند الأول: حدثنا علي بن زيد الفرائضي والحسن بن عبد الله بن منصور البالسي، ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: هذان سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

وهذا السند يكفي في سقوطه وجود محمد بن كثير وهو الصناعي، وقد مر تجريح الأعلام له في سند الحديث الثاني عند الترمذى، فراجع.

السند الثاني: حدثنا بكار بن قتيبة، ثنا إبراهيم بن أبي الوزير، ثنا محمد بن أبان عن أبي جناب الشعبي عن زيد بن يشيع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا علي هذان سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي. فما حدثت به حتى ماتا.

وهذا السند يكفي في سقوطه وجود أبي جناب، وهو يحيى بن أبي حيّة الكلبي الذي قال عنه يحيى القطان: لا أستحل الرواية عنه. وقال الفلاس: متوك. وضعفه النسائي والدارقطني وعثمان بن أبي شيبة^(٢).

قال ابن حبان: وكان من يدلّس على الثقات ما سمع من الضعفاء، فالتزق به المناكير التي يرويها عن المشاهير، فوهأه يحيى بن سعيد القطان،

(١) مشكل الآثار ٢/٣٩٢-٣٩١ ط حيدر آباد.

(٢) ميزان الاعتدال ٤/٣٧١.

وحمل عليه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ حَمْلًا شَدِيدًا^(١).

مضافاً إلى وجود الشعبي الذي مرّ عنه ما أُسْقَطَه، فـالـحـدـيـثـ بـهـذـاـ السـنـدـ أـيـضـاـ سـاقـطـ.

الـسـنـدـ الثـالـثـ: حـدـثـنـاـ اـبـنـ أـبـيـ مـرـيـمـ،ـ ثـنـاـ جـدـيـ،ـ ثـنـاـ سـفـيـانـ بـنـ عـيـنـةـ عن إـسـمـاعـيـلـ بـنـ أـبـيـ خـالـدـ عـنـ الشـعـبـيـ عـنـ الـحـارـثـ عـنـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ...ـ فـذـكـرـ مـثـلـهـ غـيـرـ أـنـهـ لـمـ يـذـكـرـ قـوـلـهـ:ـ فـمـاـ حـدـثـ بـهـ حـتـىـ مـاتـاـ.

وـيـكـفـيـ فـيـ سـقـوـطـهـ رـوـاـيـتـهـ عـنـ الشـعـبـيـ عـنـ الـحـارـثـ،ـ وـقـدـ مـرـّـ فـيـ تـزـيـفـ الـسـنـدـ الـأـوـلـ عـنـ اـبـنـ مـاجـةـ مـاـ يـغـيـرـ عـنـ الـإـعـادـةـ،ـ فـرـاجـعـ.

الـسـنـدـ الـرـابـعـ: حـدـثـنـاـ الرـبـيعـ الـجـيـزـيـ،ـ ثـنـاـ أـصـبـغـ بـنـ الـفـرـجـ،ـ ثـنـاـ عـلـيـ اـبـنـ عـاـبـسـ عـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ أـبـيـ سـلـيـمـانـ الـعـرـزـمـيـ وـمـحـمـدـ وـأـبـيـ الـجـحـافـ وـكـثـيرـ بـيـاعـ النـوـيـ،ـ سـمـعـ عـطـيـةـ الـعـوـفـيـ يـذـكـرـ عـنـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ،ـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ قـالـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ:ـ إـنـ هـذـيـنـ سـيـدـاـ كـهـوـلـ أـهـلـ الـجـنـةـ مـنـ الـأـوـلـيـنـ وـالـآخـرـيـنـ،ـ لـأـخـبـرـهـمـاـ يـاـ عـلـيـ.ـ يـعـنـيـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـرـ.

وـهـذـاـ السـنـدـ فـيـ أـصـبـغـ بـنـ الـفـرـجـ الـأـمـوـيـ الـوـلـاءـ كـمـاـ فـيـ تـهـذـيـبـ التـهـذـيـبـ فـيـ تـرـجـمـتـهـ،ـ وـفـيـ عـلـيـ بـنـ عـاـبـسـ الـذـيـ ذـكـرـهـ اـبـنـ حـبـانـ فـيـ كـاتـبـهـ الـمـجـرـوـحـيـنـ،ـ فـقـالـ:ـ رـوـيـ عـنـ الـعـرـاقـيـوـنـ،ـ كـانـ مـنـ فـحـشـ خـطـوـهـ،ـ وـكـثـرـ وـهـمـهـ فـيـمـاـ يـرـوـيـهـ،ـ فـبـطـلـ الـاحـتـاجـاجـ بـهـ^(٢).

(١) المجرحين لابن حبان ١١١/٣.

(٢) المجرحين ١٠٤/٢.

وفيه كثير النوّا، قال الجوزجاني: زائغ. وذكره الذهبي في ديوان الصنفاء والمتروكين، وقال: عن عطية، ضعفوه، زائغ^(١).

وفيه عطية العوفي الذي ذكره ابن حبان في المجموعين، وقال سمع من أبي سعيد الخدري أحاديثاً [كذا]، فلما مات أبو سعيد جعل ي مجلس الكلبي ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله (ص) بكتدا يحفظه، وكذاه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد. فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد به الكلبي، فلا يحمل كتبة حديثه إلا على جهة التعجب^(٢).

الثاني عشر: ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث، فقد روى الحديث بثلاثة أسانيد:

الأول: سألت أبي عن حديث رواه علي بن عابس عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال لأبي بكر وعمر: هذان سيداً كهول أهل الجنة. قال أبي: هذا خطأ يرويه تليد بن سليمان عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم. قال: إذ أهل الدرجات العلي. فاحسب علي بن عابس أراد هذا الحديث^(٣).

الثاني: قال: سئل أبو زرعة عن حديث رواه داود بن مهران عن عبد

(١) ديوان الصنفاء والمتروكين، ص ٢٥٦.

(٢) المجموعين لابن حبان ١٦٦/٢.

(٣) علل الحديث ٣٨٢/٢ ط السلفية مصر ١٣٤٣هـ.

الرحمن بن مالك بن مغول عن عبيد الله بن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال لأبي بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي.

قال أبو زرعة: هذا حديث باطل يعني بهذا الإسناد، وامتنع أن يحدثنا، وقال: اضرروا عليه^(١).

الثالث: قال أبو محمد - ابن أبي حاتم - ذكرت لأبي فقلت: سمعت يونس بن حبيب قال: ذكرت لعلي بن المديني حديثاً حدثنا به محمد بن كثير المصيفي [كذا] عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس، قال: نظر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أبي بكر وعمر، فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة.

فقال علي: كنت أشتتهي أن أرى هذا الشيخ، فالآن لا أحب أن أراه.

فقال أبي: صدق، فإن قتادة عن أنس لا يجيء هذا المتن^(٢).

الثالث عشر: ومن روى الحديث مستنداً الطبراني في معجميه الكبير والصغرى.

فقد أخرج الحديث بسنددين، وهما كما يلي:

السند الأول: ما أخرجه في معجمه الكبير، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن العباس البجلي الكوفي، قالا: ثنا زكريا بن يحيى الأكفاني، ثنا خنيس بن بكر ثنا مالك بن مغول عن عون بن أبي

(١) نفس المصدر ٣٨٩/٢

(٢) نفس المصدر ٣٩٠/٢

جحيفة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين^(١).

وقد علق المحقق على الحديث (في الهاشم) فذكر رواية ابن ماجة وابن حبان والدولابي في الكنى والأسماء من طرق عن خنيس به، ثم نقل عن شيخه الألباني قوله: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات غير خنيس هذا. قال صالح جزرة: ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات، وسكت عليه البوصيري في الزوائد^(٢)، لكنه نص في المقدمة أن من سكت عليه ففيه نظر...

ثم قال المعلق: وللحديث شواهد ذكرها شيخنا في سلسلته الصحيحة برقم (٨٤)، فراجعه.

السند الثاني: أخرجه في المعجم الصغير^(٣)، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عنابة البزار... حدثنا محمد بن كثير الصنعاني، حدثنا الأوزاعي عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة. ثم قال: لم يروه عن الأوزاعي إلا محمد بن كثير.

أقول: ولما كان قد مرّ بنا حال محمد بن كثير وتجريمه للأعلام له في

(١) المعجم الكبير ٢٢، ٨٥/٨٦ ط الموصل بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

(٢) الزوائد ١/٨.

(٣) المعجم الصغير ٢/٧٧.

سند الحديث (الثاني) عند الترمذى فلا حاجة إلى النظر في بقية رجال السنن، وذلك يكفى في سقوط سند الحديث عن الاعتبار.

الرابع عشر: ومن روى الحديث مسنداً ابن قتيبة في (الإمامية والسياسة).

أخرجه في أول كتابه، وهو أول حديث فيه فقال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا وكيع عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: كت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليهما السلام: هذان سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهما السلام، لا تخبرهما يا علي.

ويكفى في سقوط الحديث بهذه الإسناد رواية ابن أبي مريم له فاقرأ ما قيل فيه:

ابن أبي مريم هو نوح أبو عصمة الجامع. قال ابن حبان: وكان من يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات ما ليس من حديث الأئمّة، لا يجوز الاحتجاج به بحال^(١).

وقال مسلم وغيره: مترونك الحديث. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل^(٢).

(١) المبروحين ٤٨/٣.

(٢) ميزان الاعتلال ٤/٢٧٩.

وروى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات بسنده إلى أبي عمار المروزي يقول: قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومتنازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة^(١).

وذكر ابن الجوزي حديثه في الموضوعات في عدة موضع، وأغلظ فيه القول.

وقال الحاكم: أبو عصمة مقدم في علومه إلا أنه ذاهم الحديث بمرة، وقد أفحش أنثمة الحديث القول فيه ببراهين ظاهرة^(٢).

وقال أيضاً: لقد كان جاماً، رُزق كل شيء إلا الصدق، نعوذ بالله من الخذلان^(٣).

ونحن نقول أيضاً: نعوذ بالله من شر هكذا إنسان.
ولنختم بهذا بختنا عن المصادر التي روت الحديث مستنداً.
أما من روى الحديث مرسلاً وعزاه إلى غيره فهم جماعة:
أولاً: البيشمي في مجمع الزوائد، فقد رواه أولاً:

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]

(١) الموضوعات ٤١/١.

(٢) تهذيب التهذيب ٤٨٨/١٠.

(٣) المصدر السابق ٤٨٨/١٠.

وسلم لأبي بكر وعمر: هذان سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين. وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه علي بن عابس، وهو ضعيف^(١).

أقول: لقد تقدّم ما قاله ابن حبان في كتاب المبروحين في علي بن عابس هذا، فراجع^(٢).

ورواه ثانياً عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، لا تخبرهما يا علي. وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود، وقد قال ابن دقيق العيد: إنه وثيق، وضيقه النسائي وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

أقول: لقد ذكر الذهبي في ميزانه قول النسائي فيه: ليس بثقة. وقول ابن يونس وغيره: تكلموا فيه. وقول محمد بن يوسف الكندي: كان فقيهاً مفتياً، ولم يكن بالمحمود في الرواية^(٣).

ورواه ثالثاً عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال بمثل حديث منته أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا

(١) مجمع الزوائد ٥٣/٩.

(٢) المبروحين ١٠٤/٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/١٧٦.

تُخبرهما يا علي.

وقال: رواه البزار، وقال: لا نعلم رواه عن عبيد الله بن عمر إلا عبد الرحمن بن مالك بن مغول. قلت: وهو متزوك.

أقول: ذكره ابن حجر في لسان الميزان، وذكر قول أحمد والدارقطني في عبد الرحمن بن مالك بن مغول: متزوك. وقول أبي داود: كذاب. وقوله الآخر: يضع الحديث. وقول النسائي وغيره: ليس بثقة. ومع ذلك كله فقد ذكر ابن حجر عن ابن عدي قوله: عبد الرحمن مع ضعفه يكتب حديثه^(١).

يا لله!! لماذا يُكتب حديث وضائع كذاب متزوك؟ ولعل ابن عدي يرى البركة في كتابة حديث الوضائعين.

ثانياً: ابن الدبيع الشيباني في تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث أنس عن الترمذ^(٢)، وقد تقدم منا ما فيه.

ثالثاً: السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له نقاً عن أحمد والترمذى وابن ماجة عن علي.

وعن ابن ماجة وحده عن أبي جحيفة.

وعن أبي يعلى والضياء في المختارة عن أنس.

(١) لسان الميزان ٣/٤٢٧. وذكر ذلك ابن عدي في خاتم ترجمة الرجل في كتابه الكامل ٤/٢٨٩ بعد أن ذكر فيه من الأقوال في تبريره ما يسقطه عن الاعتبار.

(٢) تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٣/٢١٢ ط موسعة الحلبي بصر.

و عن معجم الطبراني الأوسط عن جابر وعن أبي سعيد^(١).

أقول: وأصناف المناوي في فيض القدير إلى الآخرين عن جابر رواية الحاكم في تاريخه وقال: قال البيشمي: رواه عن شيخه المقدام بن داود، وقد ضعفه النسائي، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وقال: عن أبي سعيد: قال البيشمي: فيه علي بن عابس وهو ضعيف^(٢).

واعتذر المناوي عن رمز السيوطى له بالصحة فقال: فرمز المؤلف لصحته ينزل على الطريق الأول أو مراده المتن^(٣).

وقال المناوي في كتابه التيسير تعليقاً على تخريج السيوطى الحديث عن أبي يعلى والضياء في المختارة عن أنس قال: وفيه مختلط^(٤).

رابعاً: العجلوني في كشف الخفا، وقال: رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبي جحيفة، وأبو يعلى والضياء وابن عساكر عن أنس، وروى عن غيرهم، وقد رمز في الجامع الصغير لصحته^(٥).

أقول: لقد وهم العجلوني في قوله: (رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبي جحيفة)، فإن الحديث عند الترمذى - كما مرّ - مروي عن

(١) الجامع الصغير ١٠/١ ط بولاق.

(٢) فيض القدير ١/٨٩.

(٣) المصدر السابق ١/٨٩.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٨.

(٥) كشف الخفاء ١/٣٢.

علي وعن أنس، وليس عن أبي جحيفة، فراجع، كما أنه عند أحمد مروي عن علي فقط.

خامساً: الخطيب التبريزي في مشكاة المصايح: وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين. رواه الترمذى، ورواه ابن ماجة عن علي رضي الله عنه^(١).

سادساً: ابن عساكر روى الحديث في تاريخه في ترجمة إبراهيم بن محمد بن أمية.

قال: وروينا من طريقه عن أنس بن مالك مرفوعاً: أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما عدا النبيين والمرسلين^(٢).

سابعاً: ضياء الدين الكشمخانوى، روى الحديث في راموز الأحاديث، ورمز له نقلأً عن أحمد وابن ماجة والترمذى عن علي، وابن ماجة والطبرانى عن أبي جحيفة^(٣).

ثامناً: النبهانى في الفتح الكبير، رواه نقلأً عن المصادر الآتية الذكر: أحمد والترمذى وابن ماجة عن علي، وابن ماجة عن أبي جحيفة، والأربعة والضياء عن أنس، والطبرانى في الأوسط عن جابر وأبي سعيد.

(١) مشكاة المصايح ٢٣٢/٣ ط المكتب الإسلامي.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٥٥/٢.

(٣) راموز الحديث، ص ٩ ط إسلامبول ١٢٧٥هـ.

تاسعاً: المتقى الهندي في كنز العمال، تقلّاً عن مرّ ذكره عند النبهاني^(١).

والآن وبعد هذا العرض الشامل لصور الحديث برواياته المسندة والتي بلغت ستّاً وعشرين سندًا، ولم يسلم منها سند واحد كما مرّ في بيان حال رواتها المبروحةين، ثم رواياته المرسلة المعزوة إلى مصادرها ذات الإسناد، وإذا قد تبين أن المسندة لم تسلم أسانيدها من جرح رجالها جرحًا يسقطها عن الاعتبار فضلاً عن الاحتجاج بها. فكيف بالمرسل منها، ولقد تهافت المرسلات تبعًا لمصادرها المعزوة إليها للعلة في أسانيدها.

إذن لم تسلم صورة واحدة من صور الحديث سندًا، للقبح في إسنادها قدحًا بينما كما مرّ، فهي بالمواضيع أشبه منها بالواهيات فضلاً عن عدّها من الأحاديث الضعيفة.

ولست أدرى كيف استساغ السيوطي أن يرمز لبعضها برمز الصحة، وإن حاول بعض شرّاح جامعه الصغير توجيه ذلك، ولكن بوجه غير وجيء، وقد مرّ بيان ذلك أيضًا. كما لا ينقضي العجب من الشيخ الألباني كيف أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة وهو لم يسلم له سند من أسانيده(؟!).

هذا كله فيما يتعلق بالحديث من ناحية الإسناد وما فيه.

متن الحديث:

إذا راجعنا المتن فقيه من العلة لاسقاطه ما تكتفيه، لأنه ليس بين أهل الجنة كهل واحد فضلاً عن كهول حتى تكون السيادة عليهم، بل أهل الجنة كلهم جُرد مُرد أبناء ثلاثة سنّة، لا يفني شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، فهم وأقرأ ما روي في سنّ أهل الجنة، وقد عقد الترمذى باباً خاصاً في ذلك، أورد فيه وفي غيره عدة أحاديث دلت على أن ليس في الجنة إلا جرد مرد أبناء ثلاثة سنّة، وإلى القارئ بعض ذلك:

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يدخل أهل الجنة جرداً مرداً جعداً مكحّلين أبناء ثلاثة وثلاثين، لا يفني شبابهم، ولا تبلى ثيابهم.

قال البشّي في مجمع الزوائد: قلت: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن^(١).

أقول: أخرجه الترمذى في سنّته^(٢)، والدارمى في سنّته^(٣).

٢- عن معاذ بن جبل أنه سأله النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أو سمع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحّلين بني ثلاثة سنّة.

قال البشّي في مجمع الزوائد: رواه كله أحمد، وإسناد الرواية الأولى

(١) مجمع الزوائد ٣٩٨/١٠

(٢) سنن الترمذى ٦٨٣/٤ تحقيق إبراهيم عطوه عوض.

(٣) سنن الدارمى ٣٣٥/٢

حسن متصل^(١).

٣. عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَفِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرْدَوْنَ أَبْنَاءَ ثَلَاثَيْنَ فِي الْجَنَّةِ، لَا يُزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبْدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ.

أقول: روى هذه الثلاثة الترمذى في سُنته بتفاوت يسير، وأخرجها الشيخ منصور على ناصف في كتابه التاج الجامع للأصول، وقال: الثالث بسند غريب، والأولان بسنددين حسنين^(٢).

٤. عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحلين.

قال البهشى في المجمع: رواه الطبرانى في الأوسط، وإن سناه جيد^(٣).
إلى غير لك مما دلَّ على أنَّ أهلَ الجنةِ هُمْ شَبَابٌ، وَلَيْسَ فِيهِمْ كَهْلٌ
أَوْ شَيْخٌ، وَمَا دَامُوا كَذَلِكَ فَتَسَقَّطُ السِّيَادَةُ الْمُزَعُومَةُ، لَأَنَّهَا سَالَةٌ بِانْتِفَاءِ
الْمَوْضُوعِ.

وعلى ضوء تلك الأحاديث التي مرَّتْ وَغَيْرُهَا مَا دلَّ على أنَّ أهلَ
الجنةِ شَبَابٌ لَا غَيْرَ، قال المأمون العباسي لِمَنْ احْتَجَ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ (سِيدَا)
كَهْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ): هَذَا الْحَدِيثُ مَحَالٌ، لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ كَهْلًا.

(١) مجمع الزوائد ٣٩٨/١٠.

(٢) التاج الجامع للأصول ٣٧٥/٥ الطبعة الثالثة ط دار أحياء الكتب العربية.

(٣) مجمع الزوائد ٣٩٩/١٠.

ويروى أن أشجعية كانت عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: لا يدخل الجنة عجوز. فبكت، فقال لها صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن الله يقول: إِنَّا أَنْشَأْنَا هَنَّ إِنْشَاءٌ فَجَعَلْنَا هَنَّ أَنْبَكَارًا عَرَبًا أَثْرَابًا^(١).

ثم قال: فإن زعمتم أن أبا بكر ينشأ شاباً إذا دخل الجنة، فقد رويت أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال للحسن والحسين: إنهما سيداً شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، وأبواهما خير منهما^(٢).

ومعنى استدلاله أن السيادة للحسينين، ولما كان أبوهما خير منهما فتكون جهة التفضيل له لا لغيره، وهذا هو الذي نفر عنه النصاب، فحاولوا دفع الخرج عنهم، فصاروا يتلمسون للكهولة معنى يدحرجونه درجة الدباب، عسى أن يفتح لهم الباب، فيوغلوا في الجنة الكهول مع الشباب.

المحاولة الثالثة:

قال الحبي في كتابه (جني الجنتين): (سيداً كهول أهل الجنة) الشيخان الأكبران رضي الله عنهم، هكذا جاء في الحديث في فضلهم (هذان سيداً كهول أهل الجنة)، وفي رواية (كهول الأولين والآخرين)، الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين. وقيل: من ثلاثين إلى تمام الخمسين، وقد اكتهلَ الرجلُ وكاهلَ إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً. وقيل: أراد بالكهل هنا الحليم العاقل، أي أن الله تعالى يُدخل أهل الجنة حلماء

(١) سورة الواقعة، الآيات ٣٥ - ٣٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليهما السلام ١٨٧/٢ ط الحيدرية ١٣٩٠هـ.

عقلاء^(١).

وما ذكره المحببي إنما هو ترد يد البيغاء لما قاله من سبقة، فهو موجود في حاشية السندي على سنن ابن ماجة^(٢)، واقتبسه بتحوير محمد فواد عبد الباقي في هامش الطبعة الحديثة من سنن ابن ماجة، فقال: (سيدا الكهول) الكهل من خالطه الشيب، والمعنى هنا سيدا من مات كهلاً، وإنما ليس في الجنة كهل^(٣).

ونحو هذا ما ورد في النهاية لابن الأثير وغيرها من المعاجم اللغوية، وكرر ذكره شراح الحديث، وهو كما ترى لا يسمن ولا يغنى من جوع، وعلى المستحب في إثبات الحديث أن يجد مكاناً غير الجنة للكهول، وما دام على إصراره في مراغمة الشباب في سيادتهم ومزاحمتهم في جهنّم، لا بد له من وضع حديث يعم الكهول والشباب، وهذا ما كان في المحاولة الآتية.

المحاولة الرابعة:

الجمع بين حديث (سيدا كهول)، وحديث (سيدا شباب أهل الجنة) وحديث (لا تسبوا علياً) بسند واحد كما مرّ نقل ذلك عن ابن عساكر في (ترجمة الحسين) من تاريخه، وقد مرّ سقوط إسناده لوجود محمد بن يونس القرشي، وهو الكديني الذي مرّ فيه من أقوال علماء الجرح والتعديل ما يكفي لسقوطه، وقد ظن واضعه أن يجعله مقبولاً لدى عامة المسلمين، فمن

(١) جنى الجلتين في تغيير نوعي المثنين، ص ١٣٩ مط الترقى بدمشق ١٣٤٨هـ.

(٢) سنن ابن ماجة بحاشية السندي ٢٥١/٢٦ - ٢٦١٣ ط ٢٦.

(٣) سنن ابن ماجة ٣٦/١.

يقبل صدر الحديث لا بدّ له من قبول باقيه، ومن يقبل توالي الحديث فليُذْعِن بقبول أوله، إذ السنّد واحد، ولكنه غفل أو تغافل واستغفال القراء عن وجود التناقض والتنافي بين الصدر والذيل، فإِنَّا كهول في الجنة فلا شباب، وإنما شباب في الجنة فلا كهول.

وعلى هذا النحو ما رواه عبد الله بن أحمد في زياداته على مستند أبيه حيث روى الحديث بلفظ (سيِّدا كهول أهل الجنة وشبابها)، وهذا أيضاً قد مرّ ذكرنا ما في رجال إسناده من تجريح، ويكتفي قول الذهبي في أحد رجال الإسناد وهو عبد الله بن عمر اليمامي أنه شيخ مجهول.

وقول ابن حجر: يقال: ابن محمد ليس بمعروف، ضرب عليه الحسيني. وقال: هو أب محمد، أخرج له مسلم.

وقول ابن عدي في آخرِ من رجال السنّد وهو الحسن بن زيد: أحاديثه معضلة، وأحاديثه عن أبيه أنكر ما روی عن عكرمة.

وقول الفتني فيه: ضعيف، روى عن أبيه معضلات ومناكير.

وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين: وقال ضعْفَه ابن معين.

ومع هذا كله فيحاول الشيخ أحمد محمد شاكر أن يرتفع به مرقى صعباً فيحكم بتصحّحه بهذا الإسناد الموقوف، المشتمل على الضعيف وغير المعروف.

ولم تقف محاولة الجمع بين سعادتي الكهول مع الشباب عند هذين الحديثين، ولشنّ مِرْأَةً فيها أن ذلك الجمع في الجنة، وحيث إن الجنة لا كهول بين أهلها، فشّمة حديث يقسم السيادة في الدنيا حيث يوجد بين أهلها

الكهول والشباب.

فقد روى ابن عساكر في تاريخه، فقال:

أخبرنا أبو القاسم بن الحسين، أبناً أبو غالب بن غيلان، أبناً أبو بكر الشافعي، أبناً بشر بن موسى، أبناً إبراهيم بن زياد، أبناً خلف بن خليفة، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: بلغني أن عائشة نظرت إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالت: يا سيد العرب. فقال: أنا سيد ولد آدم، وأبوك سيد كهول أهل العرب، وعلى سيد شباب أهل العرب.

ثم قال: رواه عبد الملك بن عبد ربه الطائي عن خلف عن إسماعيل عن قيس عن عائشة مرسلاً، وقد مضى في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١).

أقول: ولما كان ما ذكره بالسند أيضاً مرسلاً من مرسلات إسماعيل ابن أبي خالد الذي صرّح بمحبته بأن مرسলاته ليست بشيء كما في تهذيب التهذيب^(٢)، وكتاب المراسيل لابن أبي حاتم^(٣)، فلا عبرة بالمرسلات مع جرح بعض رجاله لما فيهم من الآفات، كخلف بن خليفة الذي كذبه ابن عيينة كما في ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي، وكذا المغني^(٤). وعن ابن سعد: ثقة تغير قبل موته واختلط.

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٢٦٣/٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١/٢٩٢.

(٣) المراسيل، ص ١٢ ط بغداد.

(٤) ديوان الضعفاء والمتروكين، ص ٨٨. المغني ١/٢١٢.

ثم إن ابن عساكر نفسه روى حديث (علي سيد العرب) بأسانيد
جihad عن عائشة نفسها، وليس فيها ذكر الكهول، فراجع.

المحاولة الخامسة:

ما تفتقّت عنه ذهنية رواة السوء بعد أن فشل كل ما سبق من محاولات،
فرووا حديثاً يطوي السيادة في شباب أهل الجنة بالمرة، فلا سيادة ولا تفضيل،
وحسماً للقال والقيل فقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن أنس،
والديلمي في الفردوس عنه أيضاً، وعن النبهاني في الفتح الكبير مرفوعاً:

شباب أهل الجنة خمس: حسن وحسين وابن عمر وسعد بن معاذ
وأبي بن كعب^(١).

ولما كان الراوي لهذا الحديث قد أتى بها صلوات شوهاء، فلم يسع
بعض شرّاح الحديث السكوت عليه، فقال المناوي في فيض القدير: وفيه أبو
شيبة الجوهري، قال الذهبي: قال ابن حبان: يروي عن أنس ما ليس من
حديثه، لا تخل الرواية عنه. وقال أبو حاتم: ضعيف، عنده عجائب، واسمه
يوسف بن إبراهيم التميمي^(٢).

وذكره الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين وقال: لا يُعرف وليس
بشيء.

أقول: ولست أدرى - ولا النجم يدرى - لماذا لم يفند الحديث متناً،

(١) الجامع الصغير ٢٨/٢ ط بولاق. الفردوس ٤/٢ - ٥. الفتح الكبير ١٧٥/٢.

(٢) فيض القدير ٤/٤٦١. راجع ميزان الاعتدال ٤/٤٦١.

كما يفتَّن سندًا، وهو أوضح بطلاناً، أليس قد مرَّ بنا أنَّ جميع من يدخل الجنة هم شباب، فلَمَّا فضيلة تبقى أو تُرجى لِهؤلاء الخمسة، ما داموا هم كفِيرُهم من في الجنة وكلُّهم شباب؟ فتخصيصهم بأنَّهم شباب لا معنى له ما دام الحديث المزعوم لم يذكر لهم أيَّ سِيادة أو زِيادة.

نعم، خُصّصت السِيادة بالحسينين - كما مرَّ في حديث (سيِّدا شباب أهل الجنة) فقط وفقط من دون أيَّ زيادة، فأراد أصحاب النصب المبطن أن يطمسوا فضل السِيادة، ويشرِّكوا معهما غيرَهما من لا يساويهما في منكب ولا موكب، والتَّشريك لا يُعرف له أيَّ وجه جامع، فأصحاب الأسماء الخمسة ليسوا متساوين أحْسَاباً ولا أَنْسَاباً، ولا صفة ولا سناً، ولم يكونوا أَنْراباً.

فالحسن والحسين عليهما السلام سبطاً رسول الله ﷺ من بنى هاشم، مات جدُّها وهما دون الثامنة، وعبد الله بن عمر من بنى عديٍّ، لم يكن له يوم صدور الحديث - على فرض التسليم به - أيَّ مكانة يضاهي بها الحسن والحسين عليهما السلام، وقد مات رسول الله ﷺ وعمره عشرون سنة، وسعد بن معاذ رجل أنصاري، شهد بدرًا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة، وأُجِيَت دعوته، ثم انقضى جرحه فمات، وذلك سنة خمس من الهجرة.

وأبيَّ بن كعب أنصاري من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا والشاهد كلُّها، فهو أكبرُ أصحاب الأسماء المذكورة سناً، فقد كان أيضًا

اللحية لا يغّير شيء كما في الإصابة وغيرها.

ولو أغمضنا النظر عن هذا التفاوت في الأسنان والأنساب والأحساب، وسقط وجه التفضيل المذكور، فلا بد أن يكون هناك غرض توخّاه رواة الحديث من وضعه، فما هو ذلك؟

أظن أنهم أرادوا وضع ابن عمر وسط القلادة بين الحسينين وبين الأنصاريين البدريين، وحيث إن الحسن والحسين ثابت فضلهما بحكم كونهما بضعة النبي ﷺ، ومن أضيف إليهما وإن لم يبلغ شاؤهما، إلا أن في الإضافة ما يترشح عليه من فضلهما، خصوصاً مع إضافة مثل سعد بن معاذ البدري، وأبي بن كعب العقبي البدري مع ما لهما من فضل الجهاد والمشاركة في مشاهد النبي ﷺ وإن كانوا لا يلган شاؤ الحسينين، لكن دسّ اسم ابن عمر بين الطرفين ربما يتزاحم عليه من فضلهما، ولست أدرى يا أنصار ابن عمر كيف ترجون له المساواة والتشريك وهو دون شك لم يبلغ رتبة الاثنين الأنصاريين فضلاً عن أن يطمع له في بلوغ رتبة الحسينين؟ فالنتيجة أن الحديث ساقط سندًا ومتناً.

المحاولة السادسة:

حذف جملة (وأبوهما خير منهما) بعد أن مرّ بنا في ثبوتها في أحاديث علي وابن مسعود وابن عمر ومالك بن الحويرث وقرة ابن أياس. وفي حديث حذيفة (وأبوهما أفضل منهما)، فهي جزء من الحديث لا شك فيه، وشطرة منه لا تنقصه عنه، ولكن بعض من لا حرية له في الدين

حذفها من بعض الأسانيد، وقد مررت بنا صور الحديث، فراجع.
وما دل على ثبوتها استدلال الحسن البصري - وهو من التابعين -
بتلك الفقرة على أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليهما، وأنه خير أهل البيت
الذين هم أفضل من جميع الأمة من الأولين والآخرين.

فقد روى ابن أبي الحديد، قال: وروى أبان بن عياش قال: سألت
الحسن البصري عن علي عليهما، فقال: ما أقول فيه؟ كانت له السابقة
والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي، والصحبة والنجدة والبقاء،
والزهد والقضاء والقرابة، إن علياً كان في أمره علياً، رحم الله علياً وصلى
عليه.

فقلت: يا أبا سعيد أنت تقول صلى الله عليه لغير النبي؟
قال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبي وآلها، وعلى
خير آلها.

فقلت: أهو خير من حمزة وعمر؟
قال: نعم.

قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟
قال: نعم والله، خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم، وقد
قال رسول الله عليهما: (أبوهما خير منها)، ولم يجر عليه اسم شرك ولا
شرب خمراً، وقد قال رسول الله عليهما لفاطمة عليها: (زوجتك خير
أمتي). فلو كان في أمته خير منه لاستثناء، ولقد أخى رسول الله عليهما بين

أصحابه فأخي بين علي ونفسه، فرسول الله ﷺ خير الناس نفساً وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد فما هذا الذي يقال عنك أنك قلت في علي؟
فقال: يا ابن أخي أحقن دمي من هولاء الجبارية، لو لا ذلك لسالت
بغي الخشب^(١).

قال ابن أبي الحديد: قال شيخنا أبو جعفر الإسکافي رحمه الله تعالى: ووُجده في كتاب الغارات لإبراهيم بن هلال التقي^(٢).

أقول: فانظر إلى استدلال الحسن البصري في قوّة حجّته على أن علياً طيّب^ه خير هذه الأمة، فهو أول ما استدل به جملة (وأبوهما خير منهما)، ولو لم تكن ثابتة ومعلومة الثبوت عند السامع لما استدل بها.

وللمفاكهـة نذكر للقارئ ما زعمـه بعضـهم من أن جملة (وأبوهما خير منهما) حجـة في تفضـيل الـخلفاء الـأربـعة على أـهل الـبيـت، ولكنـ لم يـبين وجـهـ الحـجـيةـ، فـهـلـمـ وـاقـرـأـ ماـ قـالـهـ (الـعـالـمـ النـحـرـيـ وـالـحـبـرـ الـكـبـيرـ ذـيـ التـحـقـيقـ الـفـيـسـ سـيـدـيـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ يـسـيـسـ)ـ كـمـاـ كـُـتبـ عـلـىـ ظـهـرـ كـابـهـ (لـوـامـعـ أـنـوارـ الـكـوـكـبـ الدـرـيـ فـيـ شـرـحـ هـمـزـيـةـ الـإـمـامـ الـبـوـصـيـرـيـ)،ـ فإـنـهـ قـالـ:

وـجـاءـ مـنـ طـرـقـ صـحـ بـعـضـهـاـ:ـ اـبـنـيـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ سـيـدـاـ شـبـابـ أـهـلـ الجـنـةـ،ـ وـأـبـوـهـماـ خـيرـ مـنـهـماـ.

(١) يعني لصلبت على الخشب، وسألت دمائي عليها.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٦٩/١ ط الأولى.

وفي قوله: (أبوهما خير منهما) حجّة لأهل السنة أن الأئمة الأربع
أفضل من أهل البيت علمًا وعملاً ومعرفة، نعم هما أفضل من جهة أنهما
بضعة من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم (١) (٢).

هذا ما ذكره العالم النحرير [٤] ونترك للقارئ حرية الرأي في قبوله
أورده، فهذا مبلغ علمه وجهده، وكان عليه بيان وجه الحجّة، ولكنه طوى
عنها كشحًا، ونحن أيضاً نضرب عنه صفحًا بما قاله ابن الجوزي - وهو عالم
حنبلي - في كتابه الموضوعات:

قد تعصّب قوم لا خلاق لهم يدعون التمسّك بالسنة، فوضعوا لأبي
بكر فضائل، وفيهم من قصد معارضه الرافضة بما وضعت لعلي عليه السلام،
وكلا الفريقين على الخطأ، وذانك السيدان غنيمان بالفضائل الصحيحة
الصريحة عن استعارة وتحرّص (٢).

ثم ذكر خمسة عشر حديثاً من الموضوعات في فضل أبي بكر،
وساقها بأسانيدها وأبان عوارها واعتبرها من الموضوعات، ثم قال:

وقد تركت أحاديث كثيرة يروونها في فضل أبي بكر، فمنها صحيح
المعنى لكنه لا يثبت منقولاً، ومنها ما ليس بشيء، وما أزال أسمع العوام
يقولون عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أنه قال: (ما صبَّ الله

(١) لوامع أنوار الكوكب الدرى في شرح همزة الإمام البوصيري (المطبوع بهامش شرح
الشمايل الترمذية لجسوس ٦٥/٢ ط محمد علي صبيح وأولاده بصرى.

(٢) كتاب الموضوعات ١/٣٠٣.

في صدرِي شيئاً إلا وصيّبته في صدر أبي بكر، وإذا اشتقت إلى الجنة قبلت شيئاً أبي بكر، وكانت أنا وأبو بكر كفرسي رهان، سبقته فائٌّعني، ولو سبقني لاتّبعته). في أشياء ما رأينا لها أثراً في الصحيح ولا في الموضوع، ولا فائدة في الإطالة بمثل هذه الأشياء^(١).

وهكذا ساق أحاديث في فضائل الشّيخين مجتمعين وما يخص كل واحد منها، وأعلّها إسناداً، وعدّها من الموضوعات، فراجع لترى العجب فيما ذكره ذلك العالم الحنفي، وهو غير متّهم في المقام، ولم يكن بدعاً في ذلك، فهذا الفيروز آبادي صاحب القاموس - وهو عالم شافعي - له كتاب (سفر السعادة) فانظر خاتمة كتابه هذا واقرأ قوله: باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلّى للناس عامة ولأبي بكر خاصة. وحديث: ما صبّ الله في صدرِي شيئاً إلا وصيّبَ في صدر أبي بكر. وحديث: كان صلّى الله عليه [وآله] وسلم إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيئاً أبي بكر. وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان. وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر، وأمثال هذه من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهية العقل^(٢).

ونعود إلى شطر الحديث (وأبواهما خير منهما) فنقول: لقد تبيّن أنه جزءٌ متممٌ لحديث (سيّدا شباب أهل الجنة)، ويعني ذلك أن يكون الإمام

(١) كتاب الموضوعات ٣١٩/١ ط الأولى بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٤٣٨هـ.

(٢) سفر السعادة، دار العصور للطبع والنشر بمصر.

أمير المؤمنين هو سيد شباب أهل الجنة، وهذا ما أراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانه للناس، فكثيّر قوله: (أبوهما خير منها)، ولم يقتصر على ذلك المعنى الكنائي، وإن كانت الكتابة أبلغ من التصريح أحياناً، بل صرّح بذلك فيما روى ابن عساكر في تاريخه، بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: يا علي أنت سيد شباب أهل الجنة^(١). وقد مرّ بنا قول الحاكم في تخریج الحديث عن ابن مسعود وفيه (أبوهما خير منها): هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم ينجزاه^(٢).

والى القارئ أسماء بعض المصادر الأخرى التي ذكرت الحديث بلفظ (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منها)، وأرسلته إرسال المسلمين مضافاً إلى ما سبق:

١- العقد الفريد ٣١٢/٤ تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مط العصر ١٣٦٣هـ.

٢- الفاضل للعبيرد، ص ١٠٣ تحقيق الميمني، ط دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ.

تعليق بلا تثريب:

لقد بدا لي وأنا أشرح أرجوزة سيدنا الأستاذ قدس سره ظاهرة ليست بغربيّة في موضوعها بقدر ما هي غربيّة في سعتها وتنوعها.

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام) ٢٦٠/٢.

(٢) المستدرك ١٦٧/٣.

وتلك الظاهرة هي التلاعب الرخيص الخسيس من رواة السوء بالأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل الإمام أو أحد من أهل بيته الكرام، وكأنهم هدف للانتقام، فصوّرت نحومهم السهام. فقلًّا أن تجد حديثاً يتضمن فضيلة لأحد هم إلا وتجد في مقابلها حديثاً موضوعاً ينسب تلك الفضيلة أو ما يشابهها إلى غيرهم، أو تجد التزيد في حديث الفضيلة يحشر ما هو غريب عنها إليها.

ولقد مرّت بنا شواهد كثيرة على ذلك التلاعب الرخيص الخسيس، فراجع حديث المنزلة وحديث مدينة العلم، وحديث سدّ الأبواب، وحديث المواхاة، وحديث (علي مني وأنا منه) كما سيأتي حديث الطير وغيره، وحتى حديث الكف والدواة لم يسلم من تشويش وتهويش. وإذا تلمّسنا صفحات التاريخ نبحث فيها عن بدء انتشار هذه الظاهرة السيئة، نجدها من أيام معاوية بن أبي سفيان وبأمر منه، فقد قال لابن عباس في حديث جري بينهما: فإنّا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكفّ لسانك يا ابن عباس وأربع على نفسك... إلى آخر المخاورة^(١).

وهذا هو معنى ما حكاه ابن أبي الحديد عن المدائني حيث ذكر ما كتبه معاوية إلى عماله، فقال: ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا

(١) أصل سليم بن قيس البلاي، ص ١٦١.

الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأنوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا أحب إلى وأقرّ لعيوني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روروه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشّهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله^(١).

وقد ذكر الطبرى في تاريخه، وابن الأثير في الكامل، أنَّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان: وإياك أن يلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل علي، فأننا أعلم بذلك منك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عييه للناس^(٢).

فمن ذلك العهد بدت ظاهرة الوضع والاقتعال، ونُخْت الفضائل لأولئك الرجال، الذين عنهم معاوية وعيّنهم، فاختلط الحابل والنابل، وراجت سوق الوضاعين التي نفق فيها كل باهر وخاسر.

ومن العجيب الغريب أن تأخذ تلك الموضوعات مكانها في دواوين

(١) شرح النهج ١٦/٣ ط مصر الأولى.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/٤٤ ط الاستقامة. الكامل في التاريخ ٤٣٠/٣.

ال الحديث، فتجدها محشورة - وهي خشاره - جنباً إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة، مع أنها لا تضارعها في صحة الإسناد، ولا في قوة المتن، بل ويُستبطن الكثير منها بطلانها.

ولست - وأيم الحق - في تعليقي هذا كساخر من تصرفات أصحاب الدواوين، بل كواصف لمارساتهم، كما أني لست في مقام النقض والإدانة، بل غرضي الأساس هو التفهم والإبانة عما جنته أقلام الخيانة، فخطّت ما شوّهت به حقيقة أولئك النفر الذين وضعوا لهم وفيهم ما هبّ ودبّ، بروايات هيّان بن بستان من مجاهيل الرواية، ومجروحي الثقات، فخلطوا الدقيق بالنخالة، فضاع ما صحّ لهم بين ركام المخالة، وزادوا ضغناً على إبالة^(١).

كما أني لست في كشفي هذه الظاهرة وحيداً، وليس عملي عملاً جديداً، بل هو في أبسط ما يوصف إعادة لما تناوله قبلي من الأعلام وذوي الاختصاص بالبحث والدراسة، وعندهم ما يُغنى ويقني.

ولكن، ولعل الجديد في هذا العرض هو الكشف عما يستبطنه نفس الحديث، سواء الصحيح منه حين يرفض عملية التغيير والتزوير، أو الموضوع حين تبدو منافاته ومجافاته، ويأتي نسبته إلى من هو أفعى من نطق بالضاد، بأنه قد قاله. وهذا الذي يعنينا أن يرى الناس الحق كما نراه بعيون

(١) مثل معروف، الإبالة: الحزمة من الحشيش، والضفت: قبضة من حشيش مختلط بالياس، ومعنى المثل بلية على أخرى، ويُضرب أيضاً مثلاً للرجل يُحمل صاحبه المكروه ثم يزيده منه (فرايد الأدب) المنجد، ص ٩٩٧

ليس عليها غشاوة، وقلوبٍ ليس فيها مرض، ولثلا يبقى الحديث الموضوع مثلاً بالتفسير غير المعقول وغير المقبول، وكأنه أسطورة يجب أن توشّح بما لا بد حتى يتهضمّه ذوو العقول على ما فيه.

كما يبقى الحديث الصحيح كالوردة، فإن ثمت حولها الأشواك، فلا بدَّ من تشذيب وتهذيب، ومن تلك الأحاديث الصحيحة التي التفتَّ فيها الشوك بالورد حديث (سيداً شباب أهل الجنة) الآنف الذكر، فقد بيناً كيف طالته سماسة الوضع بالمقابلة والزيادة، حتى شرَّقَ قومٍ وغرَّبَ آخرون في خلقٍ جوَّ من التنازع في سيادة أهل الجنة بين القرابة وبين الصحابة كما مرَّ، ولكن ظهر الحق ولو كره المبطلون.

وختاماً نذكر القارئ بما جاء في كتاب الأحداث للمدائني، قال: كتب معاوية إلى عمَّاله بعد عام الجمعة: أن برئت الذمة من روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته.

وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته والذي يروون فضائله ومناقبه فأدنو مجالسهم، وقربوهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

قال: ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطع، ويفيضه عليهم في العرب والموالي، وكثُر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فلبيتوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كفر في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء والأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيوني، وأدحض حجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وشيعته. فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى الديانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رواها ولا تدّينوا بها^(١).

(١) شرح النهج لابن أبي الحميد ٤٤/١١ عن كتاب الأحداث للمدائني.

حديث الطائر المشوي

١١١- وفي حديث الطائر المشوي ظهر تفضيله السامي على كل البشر

إشارة منه قدس سره إلى الحديث المشهور المعروف بحديث الطائر المشوي كما سماه قدس سره، ويُعرف أيضاً باختصار بحديث الطير، وهذا الحديث لكترة طرقه جاز حد التواتر، ومع وضوح دلالته كابر فيه المعاند المكابر، وقد جمع غير واحد طرقه في مصنفات خاصة، فذكره بأسانيد متعددة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر بعض من كان من أعلام محدثي العامة وحفاظهم، صدّاً لأهل الباطل في تركاصهم.

المؤلفون في حديث الطير:

١- الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، له مصنّف جمع فيه الحديث بأسانيده التي بلغت مائة وعشرين إسناداً كما ذكره الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين^(١).

(١) مقتل الحسين ٢٦/١ ط الزهراء ١٣٦٧هـ.

وعده ابن كثير في البداية والنهاية، وابن تيمية في منهاج السنة من ألف في الحديث^(١).

٢- الحافظ المفسّر الشهير والمؤرخ الخبير محمد بن جرير الطبرى، له مجلد جمع فيه طرق الحديث وألفاظه، وقد رأه ابن كثير كما قاله في البداية والنهاية^(٢).

٣- الحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، له كتاب في طرق الحديث كما ذكره الذهبي في ترجمته في تذكرة الحفاظ^(٣) والسيوطى في طبقات الحفاظ^(٤).

٤- الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد، له كتاب الطير كما في مناقب ابن شهرashوب^(٥).

٥- الحافظ أبو نعيم الأصفهانى، ذكره ابن تيمية في منهاج السنة، وعده فيمن ألف في الحديث^(٦)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد الخداد الأصفهانى، وأنه سمعه من مؤلفه أبي نعيم^(٧).

(١) البداية والنهاية ٣٥٣/٧ ط الأولى.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٣/٧.

(٣) تذكرة الحفاظ ١١١٢/٣.

(٤) طبقات الحفاظ ٤٢٦.

(٥) مناقب ابن شهرashوب ١١٥/٢ ط الحيدرية.

(٦) منهاج السنة ٩٩/٤.

(٧) سير أعلام النبلاء ٣٠٩/١٤، وقد ذكر السمعانى في كتاب التجبر ١٨٠/١ سماع الخداد

٦. **الحاكم أبو عبد الله النيسابوري** صاحب المستدرك على الصحيحين، له جزء ضخم جمع فيه طرق الحديث، وقد رأه بخطه ابن طاهر^(١).

٧. **الحافظ أبو عبد الله الذهبي**، فقد قال في ترجمة **الحاكم**: وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردت لها بمصنف، ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل^(٢).

وهذان الآخيران - **الحاكم والذهبـي** - من مرّ بـراحل الإنكار بالنسبة إلى هذا الحديث ثم الشك، إلا أن الأول انتهى إلى اليقين بصحة الحديث، أما الثاني - **الذهبـي** - فقد بقي محـتاراً في أمره، وسيأتي مزيد بيان عنـهما في مواقـف مضطـرـبة ومتـافقـة.

نماذج من رواية الحديث بالأسانيد الصحاح:
أولاً: رواية الترمذـي في جامـعـه: وهو مـعـدـودـ من الصحـاحـ الستـةـ عندـ أـهـلـ السـنـةـ.

فقد رواه في الحديث (٣٧٢١) من سنته، قال: حدثنا سفيان بن وكيـعـ، حدثـنا عـبـيدـ اللهـ بنـ مـوـسىـ عنـ عـيـسـىـ بنـ عـمـرـ عنـ السـدـيـ عنـ أـنـسـ بنـ

= المذكور بجملة من مؤلفات أبي نعيم، وعد منها كتاب (الخصائص في فضل علي رضي الله عنه)، ولعله هو الذي ذكره الذهبـي وابن تيمـيةـ في حـدـيـثـ الطـيرـ.

(١) طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٤ الطبعة الثانية.

(٢) تذكرة الحفاظ ١٠٤٢/٣ الطبعة الرابعة.

مالك، قال: كان عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم طير، فقال: اللهم اتنى بأحباب خلقك إليك ياكل معي من هذا الطير. فجاء علي فأكل منه. قال أبو عيسى - هو الترمذى -: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث السدى إلا من هذا الوجه. وقد روى من غير وجه عن أنس، وعيسى بن عمر هو كوفي، والسدى إسماعيل بن عبد الرحمن، وسمع من أنس بن مالك، ورأى الحسين بن علي، وثقة شعبة وسفيان الثورى وزائدة، ووثقه يحيى بن سعيد القطان^(١).

أقول: وسيأتي عن السبط ابن الجوزي بيان وجه توثيق الترمذى للسدى، بأن الذين جرحوه تعصباً عليه ليطبلوا هذا الحديث.

ثم إن الحديث رواه عن الترمذى جماعة ذكروه في مؤلفاتهم:

منهم: ابن كثير في البداية والنهاية، قال: رواه أبو يعلى عن الحسن ابن حماد عن مسهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به^(٢).

ومنهم: الحافظ الكنجي الشافعى في كفاية الطالب^(٣).

وأشار إليه البيشى في مجمع الزوائد بعد ذكره الحديث بأطول مما مرّ، ثم قال: قلت: عند الترمذى طرف منه^(٤).

(١) سنن الترمذى ٦٣٦/٥، وفي طبعة أخرى ٢٢٣/١٠ بشرح تحفة الأحوذى، نشر السلفية بالمدينة المنورة.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٠/٧

(٣) كفاية الطالب في الباب ٣٣.

(٤) مجمع الزوائد ١٢٥/٩

ومنهم: الحب الطبرى في ذخائره، قال: خرجه الترمذى، والبغوى في المصايح في الحسان، وأخرجه الحربي^(١).

أما نفس الحديث بسند عبيد الله بن موسى فقد أخرجه ابن عساكر في تاريخه^(٢)، وأخرجه الطبرانى في الأوسط والكبير باختصار كما في مجمع الزوائد وقال: في إسناد الكبير حماد بن المختار ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي أحد أسانيد الأوسط أحمد بن عياض بن أبي طيبة لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

أقول: إن أحمد بن عياض الذى لم يعرفه البهشمى قد عرفه الذهبي وابن حجر، وصرحـا بأنه صدوق كما في ترجمته من الميزان ولسان الميزان. وأخرجهـ غير من ذكرناه وجـلـهم وـتـقـوا رـجـالـ أـسـانـيـهـ، وـمـنـ لـمـ يـعـرـفـوـهـ هـمـ فـقـدـ عـرـفـهـ غـيـرـهـمـ وـوـثـقـهـ كـمـاـ مـرـفـيـ أـحـمـدـ بـنـ عـيـاضـ، فـالـحـدـيـثـ بـرـوـاـيـةـ التـرـمـذـىـ صـحـيـحـ عـلـىـ شـرـطـهـ أـوـ حـسـنـ كـمـاـ هـوـ عـنـدـ الـبـغـوـيـ.

ثانياً: رواية الحديث عند النسائي في الخصائص:

قال: أخبرنا زكريا بن يحيى قال: حدثنا الحسن بن حماد قال: أخبرنا مسهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر عن السدى عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان عنده طائر، فقال: اللهم اتنى بأحـبـ خـلـقـكـ إـلـيـكـ يـأـكـلـ مـعـيـ مـنـ هـذـاـ الطـيـرـ. فـجـاءـ أـبـوـ بـكـرـ فـرـدـهـ، ثـمـ جـاءـ عمرـ

(١) ذخائر العقبى، ص ٦١.

(٢) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١٢٤/٢

فرده، ثم جاء علي فأذن له^(١).

قال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: وقد جمع طرق الطير ابن مردويه والحاكم وجماعة، وأحسن شيء فيها طريق أخرجه النسائي في الخصائص^(٢).

أقول: وللنلق نظرة عابرة على رجال السنن وما قاله العلماء فيهم:

١- زكريا بن يحيى: هو الحافظ أبو عبد الرحمن السجزي المعروف بخياط السنة^(٣). قال النسائي: ثقة. وقال عبد الغني: حافظ ثقة، وقال الذهبي: ثقة^(٤).

٢- الحسن بن حماد: هو الضبي الكوفي الوراق، روى عنه أبو يعلى والسرّاج والنسائي بواسطة. قال ابن أبي حاتم: سألت موسى بن إسحاق عنه، فقال: ثقة مأمون. وقال السراج: كوفي ثقة. وقال الذهبي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات^(٥).

٣- مسهر بن عبد الملك: قال أبو يعلى: ثنا الحسن بن حماد الوراق، قال: حدثنا مسهر بن عبد الملك وكان ثقة.

وقال الأجري: سُئل أبو داود عن مسهر... قال: أما الحسن بن علي

(١) الخصائص، ص ٥ ط التقدم بمصر ١٣٤٨هـ.

(٢) لسان الميزان ٤٢/١ في آخر ترجمة إبراهيم بن ثابت القصار.

(٣) لقب بذلك لأنه يحيط أكفان أهل السنة (هامش الكاشف وتهذيب التهذيب).

(٤) الكاشف للذهبي ٣٢٤/١. تهذيب التهذيب ٣/٣٣٤.

(٥) الكاشف للذهبي ٢٢٠/١، تهذيب التهذيب ٢/٢٧٢ - ٢٧٣.

الخلال فرأيته يحسن الثناء عليه، وأما أصحابنا فرأيتهم لا يحمدونه.

قال البخاري: فيه بعض النظر^(١).

وذكره ابن حبان في الثقات^(٢).

٤ - عيسى بن عمر: هو أبو عمر القارئ الكوفي: قال العجلبي: كوفي ثقة رجل صالح، كان أحد قراء الكوفة رأساً في القرآن. وقال ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ثقة. وقال أحمد: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: ليس بحديثه بأس. وقال أيضاً: وكان ثقة. وقال الخطيب: كان ثقة^(٣).

٥ - السدي: يكفينا ما تقدم من توثيق الترمذى له، ففي تعديله الكفاية.

والآن بعد هذا العرض السريع لما قاله علماء الجرح والتعديل في رجال السندي، هل يبقى ريب في نقاوته لوثاقتهم؟ وسيأتي عن الذهبي وغيره

(١) قال ابن حجر: ذكره يعني مسحراً. ابن عدي في الضعفاء من أجل قول البخاري. وقال: ليس حديثه بالكثير.

أقول: إن قول ابن حجر لا يخلو من إيهام، فإن ابن عدي ذكره في كتابه الكامل ٤٥٧/٦ وذكر توثيق أبي يعلى له، ثم ذكر قول البخاري فيه، ثم ذكر له حديثين، ثالثهما: حديث الطير بسند هكذا: حدثنا الحسن بن الطيب بن الشجاع، حدثنا الحسن ابن حماد الضبي، ثنا مسهر بن عبد الملك، قال الشيخ: وهذا من هذا الطريق ما أعمله رواه غير مسهر. ولمسهر غير ما ذكرت، وليس بالكثير.

(٢) تهذيب التهذيب ١١٩/١٠.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٢٣/٨.

ما يتعلّق بالمقام أيضًا.

ثالثًا: روایة الحديث عند الحاكم في المستدرک:

قال: (حدّثني) أبو علي الحافظ، أباً أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أيوب الصفار وحميد بن يونس بن يعقوب الزيّات، قالا: ثنا محمد بن أحمد ابن عياض بن أبي طيبة، ثنا أبي، ثنا يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي، فقال: اللهم اثني بأحب خلقك إليك ياكل معي من هذا الطير. قال: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار. فجاء علي رضي الله عنه قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. ثم جاء قلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. فقال رسول الله ﷺ: افتح. فدخل فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك علي؟ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يرددني أنس، يزعم أنك على حاجة. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا رسول سمعت دعاءك، فأحجبت أن يكون رجلاً من قومي. فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل قد يحب قومه.

هذا حديث صحيح على شرط الشيّخين ولم ينجزه.

وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً، ثم صحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة، وفي حديث ثابت البّناني عن أنس زيادة ألفاظ. كما حدّثنا به الثقة المأمون أبو القاسم الحسن ابن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علية بن خالد

السكوني بالكوفة من أصل كتابه، ثنا عبيد بن كثير العامري، ثنا عبد الرحمن بن دبيس. وحدثنا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، ثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح، قالا: ثنا إبراهيم بن ثابت البصري القصار، ثنا ثابت الباني أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان شاكياً، فأناه محمد بن الحاج يعوده في أصحابه له، فجرى الحديث حتى ذكروا علياً رضي الله عنه، فتنقصه محمد بن الحاج، فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني. فأقعدوه فقال: يا ابن الحاج ألا أراك تنقص علي بن أبي طالب [!]، والذي بعث محمداً بِالْحَقِّ بالحق لقد كت خادم رسول الله بِالْحَقِّ بين يديه، وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله بِالْحَقِّ غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي، فجاءت أم أimin مولا رسول الله بِالْحَقِّ بطير، فوضعته بين يدي رسول الله بِالْحَقِّ، فقال رسول الله بِالْحَقِّ: يا أم أimin ما هذا الطائر؟ قالت: هذا الطائر أصبته، فصنعته لك. فقال رسول الله بِالْحَقِّ: اللهم جئني بأحباب خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر. وضرب الباب، فقال رسول الله بِالْحَقِّ: يا أنس انظر من على الباب؟ قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار. فذهبت فإذا على الباب، قلت: إن رسول الله بِالْحَقِّ على حاجة. فجئت حتى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: يا أنس انظر من على الباب؟ قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار. فذهبت فإذا على الباب، قلت: إن رسول الله بِالْحَقِّ على حاجة. فجئت حتى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال رسول الله بِالْحَقِّ: يا أنس اذهب فأدخله، فلست بأول رجل أحب قومه، ليس هو من

الأنصار. فذهبت فادخلته، فقال: يا أنس قرّب إليه الطير. قال: فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ: فأكلًا جميعًا.

قال محمد بن الحاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم. قال: أعطي بالله عهداً أن لا أنتقص علّيَّ بعد مقامي هذا، ولا أعلم أحداً ينتقصه إلا أشتت له وجهه^(١).

هذا ما أخرجه الحاكم في المستدرك، فعقب على الرواية الأولى موتفقاً لها بما مرّ من صحة السند على شرط الشيختين، ورواية أكثر من ثلاثين إنساناً عن أنس وحده، ثم ذكر صحة الحديث بروايته عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة، ثم ذكر الحديث عن أنس مرة ثانية بصورة أتمّ مما في الأولى، ولم يعقب عليها بشيء، مما دلّ على اعتبارها أيضاً عنده.

أما الذهبي في التلخيص فقد عقب على الرواية الأولى بقوله:

قلت: ابن عياض لا أعرفه. ولقد كنت زماناً طويلاً أظن أنّ حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه في مستدركه، فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التي فيه [١]، فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء.

ثم أعاد الذهبي ما قاله الحاكم في رواية أكثر من ثلاثين نفساً له عن أنس، وما ذكره من صحته عن رواية علي وأبي سعيد وسفينة، ولم يناقش في ذلك. مما دلّ على قبوله لما ذكره الحاكم.

أما تعقيبه على الرواية الثانية فقال بعد أن ذكرها بطولها: قلت:

إبراهيم بن ثابت ساقط.

أقول: سيبأتي تراجع الذهبي عن رأيه هذا في مواقف مضطربة ومتناقضة، كما سيبأتي في موقف الحافظ ابن حجر العسقلاني ما يتعلّق بإبراهيم بن ثابت، وأن البخاري ذكره في تاريخه ولم يذكر فيه جرحاً، كما ذكره ابن أبي حاتم وبيّض له. أي لم يذكره بجرح ولا توثيق.

رابعاً: رواية الحديث عند ابن المغازلي المالكي:

لقد أخرج الحافظ الخطيب أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلّابي المالكي الشهير بابن المغازلي المتوفى سنة ٤٨٣هـ هذا الحديث في كتاب المناقب بأكثر من عشرين طريقة، اختار منها واحداً صحيحاً بالإسناد، قال:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن طاوان السمساري^(١) بقراءتي عليه سنة تسع وأربعين وأربعين، قلت له: حدّثكم القاضي أبو الفرج أحمد بن علي بن جعفر بن محمد المعلى الخيوطي الحافظ الواسطي^(٢). وأخبرنا القاضي أبو علي إسماعيل بن محمد بن الطيب الفقيه

(١) في سوالات الحافظ السلفي لخميس الخوزي، ص ٧٩ - ٨٠ تحقيق مطاع الطرايishi، مط الحجاز بدمشق سنة ١٣٩٦هـ من مطبوعات جمع اللغة العربية بدمشق: يعرف بشارارة، كان يستعمل على الشيوخ قدّيماً بواسط.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٨: والواسطيون يقولون: كان حافظاً متقناً. وقد كان فيه، أي ذلك الاتقان.

الغرافي الواسطي^(١) بقراءتي عليه، فأقرّ به، قلت له: أخبركم أبو بكر أحمد ابن عبيد بن الفضل بن سهل بن بيري الواسطي^(٢).

وأخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل التحوي^(٣) سنة أربع وخمسين وأربعين، حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسن الجاذري الطحان^(٤)، قالوا:

حدثنا محمد بن عثمان بن سمعان المعدل الحافظ الواسطي^(٥)، حدثنا أسلم بن سهل بن أسلم الرزاز المعروف بيحشل الواسطي^(٦)، حدثنا وهب ابن بقية أبو محمد الواسطي^(٧)، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق وهو واسطي^(٨) عن عبد الملك بن أبي سليمان^(٩) عن أنس بن مالك، قال:

(١) نفس المصدر، ص ٣٣: كان يعرف بابن كما يرى حسن العقل والثبت.

(٢) نفس المصدر، ص ١٨: كان ثقة صدوقاً.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٢. يعرف بابن الخالة شهد عند إسماعيل قاضي واسط.

(٤) نفس المصدر، ص ٩٢: وكان ثقة ثبتاً مستقيم الرواية.

(٥) نفس المصدر، ص ٩١: كان يصاهي بخشل في الحفظ والإتقان.

(٦) نفس المصدر، ص ٩٠: ثقة ثبت إمام. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ، ص ٦٦٤: الحافظ الصدوق محدث واسط.

(٧) نفس المصدر، ص ٩١: لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان، وقال ابن حجر في التقريب ٣٣٧/٢: ثقة. وهو من رجال مسلم كما في الجمع بين رجال الصحيحين ٥٤٢/٢.

(٨) قال الذهبي في التذكرة، ص ٣٢٠: الحافظ الثقة، احتجوا كلهم به. وقال ابن حجر في التقريب ٦٣/١: ثقة.

(٩) قال الذهبي في التذكرة، ص ١٥٥: الحافظ الكبير، وثقة أحمد والنسائي. وهو من

دخلت على محمد بن الحاج فقال: يا أبا حمزة حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حدثنا ليس بينك وبينه فيه أحد. قلت: تحدثوا فإن الحديث شجون يغير بعضه ببعضًا.

فذكر أنس حدثنا عن علي بن أبي طالب، فقال له محمد بن الحاج: أعن أبي تراب تحدثنا؟ دعنا من أبي تراب. فغضب أنس وقال: أَعْلَمُ أَنْتَ بِهِ تَقُولُ هَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِذْ قَلْتَ هَذَا فَلَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا فِيهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ لِيْسَ بِيْنِي وَبَيْنِي أَحَدٌ:

أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يعاقيب، فأكل منها وفضلت فضلة وشيء من خبز، فلما أصبح أتيته به، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر. فجاء رجل فضرب الباب فرجوت أن يكون (رجلًا) من الأنصار، فإذا أنا بعلي.

[فقلت: النبي عنك مشغول. فرجع، فقال رسول الله ﷺ: اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر. فجاء رجل فضرب الباب، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له [إذا بعلي]، فلما رأه رسول الله ﷺ قال: اللهم والي، اللهم والي.

قال أسلم: روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يوسف بن إبراهيم الواسطي، وإسماعيل بن سليمان الأزرق، والزهري، وإسماعيل السدي،

واسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وثامة بن عبد الله بن أنس، وسعيد ابن زربي.

وقال ابن سمعان: سعيد بن زربي إنما حدث به [عن ثابت] عن أنس.

وقد روى جماعة عن أنس منهم: سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن عمير، ومسلم الملائني، وسليمان بن الحجاج الطافني، وابن أبي الرجال المدنبي، وأبو الهندي، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، ويفغم بن سالم بن قنبر وغيرهم.

أقول: إن رجال إسناد هذا الحديث كلهم من الحفاظ الثقات الأثبات كما أشرنا في الهاشم في أحوالهم، وهذا ما يشاركه فيه ما مرّ من صور الحديث، لكن الأهم من ذلك هو انفراده بميزة ليست لغيره، وتلك هي أن جميع رواته بداءً من المؤلف - وهو الحافظ ابن المغازلي المالكي الواسطي - وانتهاءً بوبه بن بقيّة كلهم من الواسطيين، وسيأتي في مواقف ناصية: أن أهل واسط كانوا معروفين بالتصب، حتى بلغ من نصبهم أنهم سمعوا مرةً حديث الطير من أحد شيوخ الحديث عندهم فأهانوه وأقاموه وغسلوا مكانه.

فرواية شيخ الواسطيين لهذا الحديث مع تعقيب أسلم وهو أحد أنتمهم بتوثيقه لدليل على منتهى عنايتهم بروايته، لصحته سندًا ومتناً، وناهيك بهذا توثيقاً وتصديقاً.

وسأكفي بهذه الصورة عن ذكر صور أخرى، فالصيد كل الصيد في جوف الفرا.

خامساً: رواية الحديث عند الذهبي في تاريخه.

لقد رواه فقال: وقال عبد الله بن موسى وغيره: عن عيسى بن عمر القاري عن السدي، قال: ثنا أنس بن مالك، قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أطياف فقسمها، وترك طيراً، فقال: اللهم اثنى بأحباب خلقك إليك يأكل معي. فجاء علي. قال الذهبي وقد ذكر حديث الطير: وله طرق كثيرة عن أنس متكلماً فيها، وبعضها على شرط السنن، من أجودها حديث قطن بن نسير شيخ مسلم، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا عبد الله بن المثنى عن عبد الله بن أنس بن مالك عن أنس، قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حَجَلَ مشوي، فقال: اللهم اثنى بأحباب خلقك إليك يأكل معي... وذكر الحديث^(١).

أقول: وهذا الذي رواه عن أجود الطرق للحديث، فقد رواه أيضاً في ميزان الاعتدال في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي، وسيأتي ذكره في مواقف مضطربة ومتناقضة.

ماذا قال الحفاظ في هذا الحديث؟

١- قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في

(١) تاريخ الذهبي في (ترجمة الإمام) وقد طبعت في ٦٤٢ من سير أعلام البلاط ط دار الفكر.

كتابه *كفاية الطالب* في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام: الباب الثالث والثلاثون في حديث الطائر... ثم ساقه بإسناده إلى أنس، وساقه مرة أخرى عن طريق الترمذى أيضاً عن أنس، ثم قال:

قلت: هكذا أخرجه الترمذى في جامعه وهو أحد الصّحاح الستة، وقد صحّح الترمذى سماع السدى من أنس، ووثقه أحمد بن حنبل وسفيان الثورى وشعبة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان، وقال الحاكم النيسابورى: حديث الطائر يلزم البخارى ومسلم إخراجه في صحيحهما، لأن رجاله ثقات^(١).

وقال الكنجى أيضاً: وحديث أنس الذي صدرته في أول الباب أخرجه الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابورى عن ستة وثمانين رجلاً^(٢)، كلهم رواه عن أنس. وهذا ترتيبهم على حروف المعجم...^(٣).

ثم ساق أسماءهم، إلى أن قال: ورواه عن أنس وسفينة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام... فذكر حديثه^(٤).

ثم قال: وروي من وجه آخر، وفيه رد الشمس عليه، ذكرته في فصل رد الشمس. ورواه عبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري ويعلى بن مرة

(١) *كفاية الطالب*، ص ١٤٧.

(٢) لا يوجد هذا الذي ذكره في المستدرك، ولعله في الجزء الذي جمع فيه طرق الحديث، أو أن يد الخيانة لعبت في نسخة المطبع من المستدرك فحذفته، وكم لهذا من نظر.

(٣) *كفاية الطالب*، ص ١٥٢.

(٤) نفس المصدر، ص ١٥٤.

الثقفي، كلهم عن النبي ﷺ. ومن الرواية عدة كثيرة من كبار التابعين المتفق على ثقتهم وعدالتهم، المخرج حديثهم في الصحاح، من لا ارتياط في واحد منهم، والحديث مشهور وبالصحة مذكور^(١).

٢- قال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص: حديث الطائر وقد أخرجه أحمد في الفضائل والترمذى في السنن.
فأما أحمد فأسنده إلى سفينة مولى رسول الله ﷺ، واسمه مهران...

ثم ساق الحديث كما مرّ نقله في نماذج من رواية الحديث بالأسانيد الصحاح، ثم قال: وأما الترمذى فقال: سفيان بن وكيع... وذكر الحديث كما نقلناه عنه أولاً، وذكر تعقّيب الترمذى على الحديث بتعديل السدى، ثم قال: قلت: إنما ذكر الترمذى هذا في تعديل السدى، لأن جماعة تعصّبوا عليه ليبطلوا هذا الحديث، فعدلّه الترمذى.

ثم ذكر قول الحاكم: حديث الطائر صحيح يلزم البخاري ومسلم بإخراجه في صحيحيهما، لأن رجاله ثقات وهو من شرطهما. وذكر تعصّب محمد بن طاهر المقدسي والدارقطنی على الحاكم، قال: وأخرج حديث الطائر طرقة ضعيفة، فإنه لما صنف الحاكم المستدرک بلغ الدارقطنی فقال: لعله يستدرك عليهما حديث الطائر. فتركه، ثم رموا الحاكم بالتشييع لأجل هذا. وكيف يُسمع قول محمد بن طاهر مع العلم بحاله وقول الدارقطنی في

عصبيته على الحاكم والترمذى وأحمد بن حنبل، خصوصاً مع شهادة من سلف بعدها السدى، فلا يلتفت إلى جرح غيرهم.

فإن قيل: فقد تكلم البخاري وأبن معين في السدي. قلنا: إنما تكلموا فيه لأنه كان يكثر الرواية كما فعلت الصحابة في أبي هريرة، لا لشيء آخر^(١).

٣- قال الحافظ ابن حجر البهتمي المكي - صاحب كتاب الصواعق المحرقة . في كتابه (المنح المكية في شرح الهمزة) قال تعليقاً على قول البيهقي:

وعلیٰ صَنُوُّ النَّبِیِّ وَمَنْ
ووزیرُ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِیِّ
لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغَطَاءِ يَقِینَا

تبنيه: ورد في مناقب علي حديث كثُر كلام الحفاظ فيه، فأردت أن
اللُّغَةَ المُعْتَمَدَ فِيهِ وَلَفْظَهُ:

عن أنس: كان عند النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم طير، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: اللهم اثنين بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير. فجاء على فأكل. رواه الترمذى.

والمعتمد عند محققى الحفاظ أنه ليس بموضع، بل له طرق كثيرة، قال الحاكم في المستدرك: رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً. انتهى. وحيثأن

(١) تذكرة الخواص، ص ٢٣ ط حجيجية سنة ١٢٨٥هـ.

فيتقوى كل من تلك الطرق بمنتهه ويصير سنته حسناً لغيره، والمحققون أيضاً على أن الحسن لغيره يُحتاج به كالحسن لذاته.

ومن جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات إلا واحداً، قال بعض الحفاظ: لم أر من وثقه ولا من جرمه. وله طريق آخر رواتها كلهم ثقات أيضاً إلا واحداً، قال النسائي فيه: ليس بالقوى. وهو معارض بأنَّ غير واحد وثقه.

وذكر الحاكم: أنه صَحَّ عن علي، وأبي سعيد، وسفينة، لكن تساهله في التصحيح معلوم. فالحق ما سبق أن كثرة طرقه صيرته حسناً يُحتاج به، ولكثرتها جداً، خرَّج الحافظ ابن مردويه فيها جزءاً.

وأما قول بعضهم: (إنه موضوع)، وقول ابن طاهر: (طريق كلها باطلة معلولة)، فهو الباطل، وابن طاهر معروف بالغلوّ الفاحش، وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر في كتابه (العلل المتافية) له طرفاً كثيرة واهية، ولذلك لم يذكره في موضوعاته، فالحق ما تقرَّر أولاً أنه حسن يُحتاج به^(١).

تحوير وتزوير في صور الحديث:

لقد ورد الحديث بلفاظ متفاوتة عن أنس، لكن ذلك التفاوت ليس مما يغير المعنى أو يمس جوهر القضية، لكن رواة السوء لما لم يمكنهم الخضوع والبخوع لصحته لمرض في قلوبهم، فقد عمدوا إلى اختراق جوهر

(١) شرح البهذية، ص ٣٠٦ ط بولاق ١٢٩٢هـ.

بتحويره، ثم التزوير فيه بما حسبوه يغضّ من فضيلة الإمام أمير المؤمنين عليهما، ولو باشراك غيره معه، وإلى القارئ بعض النماذج من ذلك.

النموذج الأول: حديث رواه ابن عساكر بسنده عن جابر، قال:

صنعت امرأة من الأنصار لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أربعة أرغفة، وذبحت له دجاجة فطبختها، فقدمته بين يدي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أبي بكر وعمر فأتياه، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يديه إلى السماء ثم قال: اللهم سق إلينا رجلاً رابعاً عبّاً لك ولرسولك، تحبّ اللهم أنت ورسولك، فيشركنا في طعامنا، وبارك لنا فيه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: اللهم اجعله علي بن أبي طالب. قال: فوالله ما كان بأوشك أن طلع علي بن أبي طالب، فكَبَرَ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وقال: الحمد لله الذي سرّى بكم جميعاً وجمعه وإياكم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: انظروا هل ترون بالباب أحداً؟ قال جابر: كنت وأبن مسعود (بالباب)، فأمر بنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فأدخلنا عليه فجلسنا معه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بتلك فكسرها بيده، ثم غرف عليها من تلك الدجاجة ودعا بالبركة، فأكلنا جميعاً حتى تملأنا شيئاً، وبقيت فضلة لأهل البيت.

قال ابن عساكر: هذا حديث غريب، والمشهور حديث أنس.

أقول: ولا أظن أنّا بحاجة إلى التنبّه على أوجه غرابةه، لأنّه مستبطن

لکذبه، ويکفي أن من أسنده إلى جابر لم يحكم صنعته، فقد جعل الراوي
- وهو جابر - خارج البيت وعلى الباب، ولم يدخل إلى أن أمر النبي ﷺ
يأدخال من كان على الباب، فدخل هو وابن مسعود، فكان الشك في
صحّة كل ما رواه قبل دخول البيت، فإنه لم يكن فيه فكيف رواه وكأنه
شاهد حال قد رأه؟

فهذا الحديث ساقط بالمرأة، ولسنا بحاجة إلى بيان التحوير والتزوير في
حديث الطير وقلبه إلى حديث الدجاجة.

النموذج الثاني: من نماذج التحوير والتزوير ما أخرجه ابن عساكر
في تاريخه^(١)، وابن كثير في البداية والنهاية^(٢)، بأسانيدهما إلى أنس بن
مالك، قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حجل
مشوي بخنزنة وضيافة، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: اللهم
اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام. فقالت عائشة: اللهم
اجعله أبي. وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي. قال أنس: قلت: اللهم
اجعله سعد بن عبادة. قال أنس: فسمعت حركة بالباب، فخرجت فإذا
علي[ؑ] بالباب، قلت: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على
حاجة. فانصرف، ثم سمعت حركة بالباب، فخرجت فإذا علي[ؑ] بالباب،
فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على حاجة. فانصرف ثم
سمعت حركة بالباب، فخرجت فإذا علي[ؑ] بالباب، فقلت: إن رسول الله

(١) في تاريخه ١١٢/٢ (ترجمة الإمام).

(٢) البداية والنهاية ٣٥٠/٧.

صلى الله عليه [وآلـهـ] وسلم على حاجة، فانصرف، ثم سمعت حركة بالباب فسلم عليّ، فسمع رسول الله صلـى اللهـ عليهـ [وآلـهـ] وسلم صوتهـ، فقالـ: انظرـ منـ هـذـاـ. فـخـرـجـتـ فإذاـ هوـ عـلـيـ، فـجـتـ إـلـىـ رسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عليهـ [وآلـهـ] وسلمـ فـأـخـبـرـتـهـ، فـقـالـ: اـئـذـنـ لـهـ. فـدـخـلـ عـلـيـ. قالـ رسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عليهـ [وآلـهـ] وسلمـ اللـهـمـ وـلـيـ، اللـهـمـ وـلـيـ.

أقولـ: لقدـ أـخـرـجـ هـذـاـ الحـدـيـثـ بـهـذـهـ الصـورـةـ الشـيـخـانـ مـؤـرـخـاـ الشـامـ، وـلـمـ يـعـقـبـاـ عـلـيـ بـشـيـءـ، وـكـأـنـهـماـ أـقـرـأـ بـصـحـتـهـ، وـلـيـسـ هـذـاـ بـغـرـبـ منـهـمـ، بلـ الـأـغـرـبـ وـالـأـعـجـبـ روـاـيـتـهـماـ لـنـمـوذـجـ آـخـرـ منـ نـمـاذـجـ التـطـوـيرـ وـالـتـحـوـيـرـ لـحـدـيـثـ الطـيـرـ، وـلـمـ يـعـقـبـاـ عـلـيـ بـشـيـءـ أـيـضاـ.

الـنـمـوذـجـ الثـالـثـ: هـوـ مـاـ أـخـرـجـاهـ مـعـاـ عنـ أـبـيـ يـعـلـىـ، قـالـاـ: وـقـالـ أـبـوـ يـعـلـىـ: حـدـثـنـاـ الحـسـنـ بـنـ حـمـادـ الـوـرـاقـ، ثـنـاـ مـسـهـرـ بـنـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ سـلـعـ. ثـقـةـ. ثـنـاـ عـيـسـىـ اـبـنـ عـمـرـ عـنـ إـسـمـاعـيـلـ السـدـيـ، أـنـ رسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـ [وآلـهـ] وسلمـ كـانـ عـنـدـ طـائـرـ فـقـالـ: اللـهـمـ اـتـنـيـ بـأـحـبـ خـلـقـكـ إـلـيـكـ يـأـكـلـ مـعـيـ مـنـ هـذـاـ الطـيـرـ، فـجـاءـ أـبـوـ بـكـرـ فـرـدـهـ، ثـمـ جـاءـ عـمـرـ فـرـدـهـ، ثـمـ جـاءـ عـثـمـانـ فـرـدـهـ، ثـمـ جـاءـ عـلـيـ فـأـذـنـ لـهـ (١).

فـانـظـرـ إـلـىـ التـفـاـوتـ بـيـنـ هـذـهـ الصـورـ، وـالـتـهـافـتـ بـيـنـهـاـ يـنـبـيـكـ عـماـ فـيـ الصـدـورـ مـنـ وـغـرـ، فـلـدـعـاءـ اـبـنـيـ الشـيـخـيـنـ لـأـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـدـعـاءـ أـنـسـ لـسـعـدـ اـبـنـ عـبـادـةـ، وـلـمـ يـسـتـجـبـ اللـهـ تـعـالـيـ دـعـاءـ أـحـدـ هـوـلـاءـ، وـلـمـ يـأـتـ مـنـ قـنـواـ

(١) الـبـادـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ٣٥١/٧، تـارـيـخـ اـبـنـ عـسـاـكـرـ (تـرـجـمـةـ إـلـيـمـامـ) ١٢٦/٢ - ١٢٧.

حضوره.

وإذا صحَّ عند ابن عساكر وابن كثير ما روياه في النموذجين الثاني والثالث فهو إدانة لهما ولكل من يأبى الإذعان بصحَّة حديث الطير، حيث ذكرَ أنه لم يحضر غير عليٍّ، على أنَّ في النموذج الثالث وردَ أنَّ الشيوخ الثلاثة جاؤوا فرَدَّهم النبي ﷺ، حتى إذا جاء عليٍّ أذن له، وهذا صريح في أنَّ الثلاثة ليسوا بآحبٍ إلى الله تعالى منه، فلاحظ.

ولقد مرَّ في حديث النسائي ذكر مجيء الشيوخين متعاقبين وردَ النبي ﷺ لهم، ثم جاء عليٍّ فأذن له.

مواقف مضطربة ومتناقضة:

من العجيب أن يجد الباحث عن أسانيد حديث الطير ورواية طرقه الكثيرة التي يحصل التواتر بدونها، مواقف مضطربة بل ومتناقضة عند بعض علماء الحديث، فبعضهم ينفيه أول أمره بضرس قاطع، ثم يتبدل رأيه وينتهي به الحال عند إعادة النظر إلى إثباته، بل وتنبيه عن طريق الحكم بصحته، وحتى التأليف بجمع طرقه. وهذا ما مرَّ به الحاكم النيسابوري.

وبعضهم يشبه الحاكم في موقفه الأول، لكنه لا ينتهي إلى ما انتهى إليه الحاكم من التصحيح في المسار الصحيح، وإن شابهه في جمع جزء خاص به، إلا أنه يقى في أرجوحة الهوى بين كثرة طرق الإسناد، وبين موروث الآباء والأجداد، فهو هائم في كل وادٍ. وهذا ما كان عليه الحافظ الذهبي. وبعضهم كان متوسطاً بينهما - الحاكم والذهبـي - فهو في أول موقفٍ

له يتبع الذهبي، ولكن لا ينتهي إلى ما انتهى إليه من الذبذبة والتارجح، بل انتهى إلى موقف ثابت، فهو يشبه الحكم في هذا، إلا أن الحكم اهتدى إلى تصحیح الحديث، وهذا ذهب إلى تحسینه. وهذا حال الحافظ ابن حجر العسقلاني.

والى القارئ عرض مواقفهم المتناقضة.

أولاً: مواقف الحكم أبي عبد الله النيسابوري: فقد ذكر الذهبي في ترجمته له في كتابه تذكرة الحفاظ^(١) وسير أعلام النبلاء^(٢) أنه سُئل في مجلس السيد أبي الحسن^(٣) عن حديث الطير، فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم. هذا عن موقفه الأول، أما عن موقفه الثاني - وهو الذين استقرّ عليه -

فقد قال الذهبي أيضاً في التذكرة: ثم تغيّر رأي الحكم وأخرج حديث الطير في مستدركه، ولا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك ياخراجها فيه. وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردت لها بمصنف، ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل^(٤).

(١) تذكرة الحفاظ ١٠٤٢/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠١/١٣.

(٣) من السادة آل زبارة بنисابور الذين لهم نهاية وشأن دنيا وديننا، فمنهم العلامة والنقباء والزعماء.

(٤) تذكرة الحفاظ ١٠٤٢/٣.

وقال في السير معقبًا على إنكار الحاكم صحة الحديث: فهذه حكاية قوية، فما باله أخرج حديث الطير؟ فكأنه اختلف اجتهاده. وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء، وطرق حديث (من كنت مولاه) وهو أصح، وأصح منها ما أخرجه مسلم عن علي قال: إنه لعهد النبي الأمي إلى (إنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يغضبك إلا منافق)، وهذا أشكال الثلاثة، فقد أحبه قوم لا خلاق لهم، وأبغضه بجهل قوم من التواصب، فالله أعلم^(١).
ونحن نقول له: وهذا حجّة عليك ولك ألم.

كما نقول للحاكم: وأنت على سعة فضلك وكثرة علمك بالحديث حتى سموك بالحاكم لمعرفتك بالحديث، فما بالك تنفي صحة حديث الطير بضرس قاطع؟ من دون بيان علة في إسناده أو متنه، من مخالفة كتاب أو سنة ثابتة، وإنما نفيته منكراً صحته لأنه لو صحّ لما كان أحد أفضل من علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ، وهذا أقصى ما لديك من علة، وهي ليست بنفسها علة بل هي تبريد غلة.

يا لله أي علة تلك في الصدور تمنع من الإخبار بصحته؟
وإذا كان علي أفضل من كل أحد بعد الرسول ﷺ فماذا يكون؟
أو ليس من كان نفس رسول الله ﷺ يكون هو الأفضل؟
أو ليس قد فضل الله سبحانه في حكم كتابه في آية المباهلة فجعله نفس رسوله؟

أو لم يفضله رسول الله ﷺ في حديث فتح مكة حين قال لقريش: والله يا معشر قريش لتقيمُنَ الصلاة ولتؤتُنَ الزكاة، أو لا بعثنَ عليكم رجلاً فيضرب أعناقكم على الدين. ثم قال: أنا أو خاصف النعل. قال علي: وأنا أخصف نعل رسول الله ﷺ. وهذا الحديث أنت أخرجه في المستدرك، وقلت: هذا حديث صحيح.

ومهما كان فذلك هو موقفك الأول، ثم قد اهتديت أخيراً إلى القول بصحة الحديث، فأذعنـت بصحـته، فأخرجهـت في المستدرـك، وجعلـته في كتابـك (معرفة عـلوم الـحـدـيـث) في النوعـ الثـالـث والعـشـرـين من مشـهـورـ الـحـدـيـثـ، حتى قـلتـ: ومن الطـوالـات المشـهـورـةـ التي لم تـخـرـجـ في الصـحـيـحـ حـدـيـثـ الطـيـرـ^(١).

ثم جمعـتـ طـرـقـهـ في جـزـءـ ضـخمـ رـأـهـ ابنـ طـاهـرـ فـتـحـامـلـ عـلـيـكـ^(٢)، كـماـ تـحـامـلـ الدـارـقـطـنـيـ^(٣) وـالـذـهـبـيـ بـسـبـبـ تـخـرـيـجـكـ الـحـدـيـثـ فيـ الـمـسـتـدـرـكـ، وـأـئـمـمـوكـ بـالـتـشـيـعـ منـ أـجـلـهـ، فـكـلـكـمـ مـجـزـيـ بـعـمـلـهـ وـعـلـىـ نـيـتـهـ، وـلـكـلـ اـمـرـيـ مـاـ نـوـيـ.

ثـانـيـاـ: مـوـقـفـ الـحـافـظـ الـذـهـبـيـ: فـلـقـدـ أـنـكـرـ عـلـىـ الـحـاـكـمـ تـخـرـيـجـهـ فيـ

(١) مـعـرـفـةـ عـلـمـ الـحـدـيـثـ، صـ ٩٣ دـارـ إـحـيـاءـ الـعـلـمـ، بـيـرـوـتـ سـنـةـ ١٤٠٦ـهـ.

(٢) طـبـقـاتـ الشـافـعـيـةـ ١٦٥/٤ طـ ٢. وـحـكـيـ ابنـ الجـوزـيـ فيـ المـتـظـمـ ٢٧٥/٧، وـالـعـلـلـ المـتـنـاهـيـةـ ٢٣٦/١ عـنـ اـبـنـ نـاـصـرـ عـنـ اـبـنـ طـاهـرـ، قـالـ: قـالـ اـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـحـاـكـمـ: حـدـيـثـ الطـاـئـرـ لـمـ يـخـرـجـ فيـ الصـحـيـحـ وـهـوـ صـحـيـحـ

(٣) تـذـكـرـةـ الـمـخـاطـرـ وـسـيـرـ أـعـلـامـ الـبـلـادـ (ـتـرـجـمـةـ الـحـاـكـمـ).

المستدرك لحديث الطير وقال: قد كنت زماناً طويلاً أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه في مستدركه، فلما علقت هذا الكتابرأيت الهول من الموضوعات التي فيه، فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء^(١).
وقال في سير أعلام النبلاء نحو ذلك أيضاً^(٢).

وذكر ابن كثير في تاریخه أن الذهبي قال في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحو ما ذكرنا: وبروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عاصم... ثم ساق بعدهما أسماءً كثيرة بلغت عدة المجموع خمسة وسبعين اسماءً، ثم قال ابن كثير:

ثم قال - الذهبي -: الجميع بضعة وتسعون نفساً، أقربها غرائب ضعيفة، وأردها طرق مختلفة مفتعلة، وغالبها طرق واهية^(٣).
وظهر موقفه في إنكار الحديث واضحأ في كتابه المتقد^(٤) الذي اختصر فيه منهاج السنة لابن تيمية، حيث تبعه في منهاجه، وشدة بجاجه، لكنه لم يكن ذلك موقفه الثابت، فقد حام حول الصواب ولم يقله.

وبقي في أرجوحة الهوى، تتجاذبه صحة الإسناد، وموروث الآباء والأجداد، فهو بينهما متافق الأقوال والأفعال، فمن يقرأ قوله: (وأما

(١) تلخيص المستدرك ١٣١/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء (ترجمة الحاكم).

(٣) البداية والنهاية ٣٥٢/٧.

(٤) المتقد، ص ٤٧٢.

حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردت لها بمصنف، ومجموعها هو يتوجب أن يكون الحديث له أصل) يراه قد قارب الصواب بعد أن جانبه بل وحاربه.

وحيثما يقرأ القارئ قوله - وقد مر في الحديث عن الحاكم - (وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء وطرق حديث (من كنت مولاه) وهو أصح، وأصح منها ما أخرجه مسلم...) إلى آخر قوله، فمن يقرأ هذا يراه قد أثبت بصحّة حديث الطير حين قرنه مع حديثين صحيحين، ومن خلال صيغة التفضيل (أصح) (وأصح منها) أثبت أن حديث الطير صحيح، وإنّه فلا معنى لقوله: (أصح) (وأصح منها).

ويؤكّد هذا التصور في صحّة موقفه تخرّيجه للحديث بسندٍ رجاله رجال الصحيح، إلا عبد الله بن أنس وتهّة ابن سعد، فقد أخرجه في ميزان الاعتدال عن قطن بن نسيير. وهذا من رجال مسلم^(١). عن جعفر بن سليمان الضبي - وهذا أيضاً من رجال مسلم^(٢). عن عبد الله بن المتن وهذا من رجال البخاري^(٣). عن عبد الله بن أنس - وهذا وتهّة ابن سعد في الطبقات الكبير. عن أنس^(٤).

ولكن ييدّد هذا التصور ما قاله في ترجمة أبي بكر بن أبي داود

(١) الجمع بين رجال الصحيحين ٤٢٥/٢.

(٢) نفس المصدر ٧١/١.

(٣) نفس المصدر ٢٦٧/١.

(٤) الطبقات الكبير ج ٧ ق ١٣١/١ ط ليدن (أفست).

السجستاني: وحدث الطير على ضعفه فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء، ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه^(١).

أفلا يدلّ جميع ما مرّ على التناقض الذي هو فيه؟ أو ليس قد صحّ ما قلناه عنه أنه يتّأرجح بين صحة الإسناد، وموروث الآباء والأجداد؟ فهو كلما قارب السداد، صدّه عنه العناد، فهو إذن من المأذرين.

ثالثاً: موقف الحافظ ابن حجر العسقلاني: قال في ترجمة إبراهيم ابن باب البصري القصار عن ثابت البناي: واه لا يكاد يعرف إلا بمحدث الطير.

وقال المؤلف في المغني: تالـفـ، لا أعلم بما سكتوا عن تضعيفه، قلتـ. والقائل هو ابن حجرـ: وقد ذكره البخاري فلم يذكر فيه جرحاً، وابن أبي حاتم وبيض، وضيقـه العقيليـ، لكنه سمّـ أباـ ثابتـاـ كما سـيـأـتـيـ، وأوردـ لهـ عنـ ثـابـتـ عنـ أـنـسـ: جاءـتـ أـمـ أـيـنـ بـطـائـرـ، فـقـالـ النـبـيـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ: اللـهـمـ اـتـنـيـ بـأـحـبـ خـلـقـكـ إـلـيـكـ يـأـكـلـ مـعـيـ. فـجـاءـ عـلـيـ. قـالـ عـقـيليـ: لـيـسـ لـهـ أـصـلـ، وـقـدـ رـوـاهـ مـعـلـىـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ عـنـ حـمـادـ، وـمـعـلـىـ يـكـذـبـ، وـلـمـ يـأـتـ بـهـ ثـقـةـ عـنـ حـمـادـ، وـفـيـ هـذـاـ الـبـابـ لـيـنـ، وـلـاـ أـعـلـمـ فـيـ شـيـئـاـ ثـابـتـاـ^(٢).

فـهـذـاـ عـنـ مـوـقـعـهـ النـافـيـ لـصـحـةـ الـحـدـيـثـ، لـكـنـهـ قـدـ تـبـدـلـ فـيـمـاـ يـدـوـ حـيـنـ قـالـ فـيـ آـخـرـ تـرـجـمـةـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ ثـابـتــ. وـهـوـ نـفـسـ الرـاوـيـ الـأـوـلـ وـقـدـ مـرـ بـاسـمـ

(١) سير أعلام النبلاء ٥٨٥/١٠ فما بعدها.

(٢) لسان الميزان ١/٣٧.

ابن باب مه وقد جمع طرق الطبراني^(١) ابن مردويه والحاكم وجماعة، وأحسن شيء فيها طريق أخرجه النسائي في (الخصائص).

ويؤكد هذا التبدل في الرأي ما أجاب به الخطيب التبريزي صاحب مشكاة المصايب، وقد سأله عن عدة أحاديث وردت في مصايب السنة للبغوي، جاء في آخر مسائله ما يلي:

وفي (باب مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) ثلاثة أحاديث موضوعة.

أحدها: قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (اللهم ائنني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير) فجاء علي وأكل معه. غريب. قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وقال الحاكم أبو عبد الله: إنه ليس بموضوع. ثم ذكر حديث: (أنا دار الحكمة وعلي بابها)، وحديث (يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك).

فأجاب ابن حجر عن تلك المسائل، نذكر للقارئ منها جوابه عن
حديث الطير، فقال: قلت: أخرجه الترمذى من طريق عيسى بن عمر عن
إسماعيل بن عبد الرحمن السدى عن أنس وقال: غريب لا نعرفه من
حديث السدى إلا من هذا الوجه، وقد روى من غيره عن أنس. وقال:
السدى اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن سمع من أنس.

قلت . ولا يزال القول لابن حجر : أخرج له مسلم ، ووثقه جماعة

(١) هكذا في المطبع، والصحيح: طرق الطير.

منهم شعبة وسفيان ويعنى القطان.

وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال عن بحبيش بن سعيد عن أنس: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقدم له فرخ مشوي... ثم ذكر الحديث إلى آخره.

ثم قال: وقال الحاكم: رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً...

ثم ذكر له شواهد عن جماعة من الصحابة، وفي الطبراني منها عن سفينة وابن عباس، وسند كل منها متقارب^(١).

انتهى ما قاله ابن حجر عن هذا الحديث، ومن جوابه ظهر ميله إلى إثبات الحديث، وتحسين إسناده، وهذا ما استفزَّ الألباني فعلق عليه في مقدمة مشكاة المصايِّح، وسيأتي عنِّه في مواقف ناصبية معلنَة بدون حياء.

مواقف ناصبية معلنَة بدون حياء:

قال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة الإمام: وروت طائفَة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال لعلي رضي الله عنه: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق^(٢).

وكان علي رضي الله عنه يقول: والله إنَّه لعهد النبي الأميَّ إلَيْ، إنَّه لا

(١) مشكاة المصايِّح ٣٠٢/٣ - ٣١٣ - ٣١٤ (الرسالة الملحقة بآخر الكتاب طبع المكتب الإسلامي).

(٢) الاستيعاب ٣٧/٣

يَجْبَنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغْضَنِي إِلَّا مَنَفِقٌ^(١).

وعن الثوري عن أبي قيس الأودي قال: أدركت الناس وهم ثلاثة طبقات: أهل دين يحبون علياً، وأهل دنيا يحبون معاوية، وخارج^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى **﴿وَلَتَعْرِفُهُمْ فِي لَحْنِ الْقُوْلِ﴾**^(٣) قال: بغضهم علي بن أبي طالب (ع).

والآن فلنقرأ لحن القول عند بعض التواصب الذين أعلنا بغضهم للإمام علي عليه السلام، من خلال ما قالوه في حديث الطير الذي نحن بصدده، ثم نترك الحكم عليهم إلى القارئ بما يحكم به إيمانه ووجданه.

أولاً: عبد الله بن سليمان بن الأشعث المعروف بأبي بكر بن أبي داود السجستاني: روى ابن عساكر في تاريخه في ترجمته بسنده عن علي بن عبد الله الرازي، يقول: سألت ابن أبي داود بالري عن حديث الطير؟ فقال: إن صحة حديث الطير فنبوة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم باطلة، لأنَّه يحكي عن حاجب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم حياته، وحاجب النبي لا يكون خائناً (!!!).

(١) صحيح مسلم ٦٤/٢. وانظر الترمذى ٣٠١/٢. سنن النسائي ٢٧١/٢. خصائص النسائي، ص ٦١. سنن ابن ماجة، ص ١٢. مسند أحمد ١/٨٤، ٩٥، ١٢٨. تاريخ بغداد ٨/٤١٧، ١٤/٤٢٦. الاستيعاب ٣٧/٣ وغيرها.

(٢) الاستيعاب ٥١/٣.

(٣) الاستيعاب ٣/٤٦-٤٧. المناقب لابن المغازى المالكى، ص ٣١٥. كفایة الطالب، ص ٢٣٥. الدر المثور ٦/٦٦. تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام).

أقول: فانظر بربك إلى هذه الملازمة التي استحدثها هذا الناصبي الخبيث، فجعل بزعمه الباطل تصحيح حديث الطير يستلزم بطلان النبوة، لدلالة الحديث على خيانة حاجب النبي عليه السلام، ولما كان عنده حاجب النبي لا يكون خائناً، فلا بدّ من القول بعدم صحة الحديث.

فاقرأ واضحك، وإن شئت فابك. فشر البلية ما يضحك، وشر الرزية ما يبكي. فكأن هذا الإنسان لم يقرأ كتاب الله تعالى وعمي عما جاء فيه في سورة التحريم من آيات تحكي خيانات أزواج الأنبياء، والأزواج أشد لصوصاً وأولى لحوقاً بأزواجهن، ولم يقل أحد بطلان نبوتهم لخيانة زوجاتهم، فهم واقرأ قوله تعالى «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيبَيَا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِهِ فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ»، وقوله تعالى «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرَ»، وقوله تعالى «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْكُنَّ أَنْ يُنْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ».

فهذه الآيات التي وبخت بعض أزواج النبي عليه السلام لافسادها ما أسر إليها، وإفشاء السر خيانة، وأي خيانة أعظم منها حتى ينزل الله سبحانه فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيمة، كما أنها أثبتت أشد تأنيب المرأتين اللتين تظاهرتا عليه بسبب تلك الخيانة.

كل ذلك جرى مع بعض أزواج النبي ﷺ، ولم يقل أحد ببطلان نبوته لخيانة بعض أزواجه.

كيف لم يقرأ ابن أبي داود. وهو صاحب كتاب المصاحف. ما مر وما بعده من قوله تعالى «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةً نُوحَ وَامْرَأَةً لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَنْدَنِينِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغِيْنِي عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ».

فهذه صريحة في خيانة المرأةين: امرأة نوح وامرأة لوط، ولم يُسمع من أحد قال ببطلان نبوة نوح أو لوط لخيانة المرأةين، مع أن المرأة أشد ارتباطاً بزوجها من حاجبه، وأكثر معاشرة له في حياته من صاحبه.

ثم ألم يعلم ابن أبي داود أن جماعة من الصحابة خانوا النبي ﷺ وأطلعوا الله على خياناتهم، فأعلن ذلك ولم تبطل نبوته لخياناتهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- أبو لبابة الأنباري: فقد ذكر أنه كان وأشار إلى حلفائه من بني قريظة أن الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ، وأشار إلى حلقه، فنزلت «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ»، ثم تاب فربط نفسه بسارية في المسجد، فسميت تلك الأسطوانة إلى اليوم بأسطوانة التوبة في المسجد النبوي الشريف^(١).

٢- حاطب ابن أبي بلتعة: فقد ورد في الصحيحين من حديث علي

(١) الإصابة والاستيعاب في ترجمته.

كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ إليهم، فنزلت فيه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلِيَاءِ»^(١).

٣- عبد الله بن سعد بن أبي سرح: وكان أخا عثمان من الرضاعة، وكان يكتب للنبي ﷺ فأزله الشيطان وحان في كتابته، وارتدى فلحق بالكفار، فأمر رسول الله ﷺ أن يقتل يوم فتح مكة^(٢).

٤- رجل آخر: كان يكتب للنبي ﷺ، وقد قرأ البقرة وأآل عمران، فكان رسول الله ﷺ ي ملي عليه (غفوراً رحيمًا)، فيكتب (عليماً حكيمًا)، فيقول له النبي ﷺ: أكتب كذا وكذا. فيقول أكتب كيف شئت، ويفلي عليه (عليماً حكيمًا)، فيكتب (سميناً بصيراً)، وقال: أنا أعلمكم بمحمد. فمات ذلك الرجل، فقال النبي ﷺ: الأرض لا تقبله. قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها الرجل، فوجده منبوذاً. فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض^(٣).

٥- الوليد بن عقبة بن أبي معيط: الذي سماه الله تعالى في كتابه فاسقاً، فقد خان رسول الله ﷺ حينما أرسله إلىبني المصطلق مصدقاً، فعاد وأخبر النبي ﷺ أنهم خرجوا لقتاله، وكاد النبي ﷺ يجهز جيشاً

(١) نفس المصادر في ترجمته.

(٢) نفس المصادر في ترجمته.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٧٠/٦. قال ابن كثير بعد ذكره لذلك: وهذا على شرط الشيغرين ولم ينر جوه (كذا) ..

لهم، فأنزل الله فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَيْأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

وما أصحاب مسجد ضرار بدون من ذكرنا خيانة الله ولرسوله، و كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين، وفيهم أنزل الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفُرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلُفُنَّ إِنْ أَرْدَنَا إِلَّا الْحَسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢).

٦ — فدعم: عبد أسود أهداه رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ عام خير أخذ شملة من المغامم قبل القسمة ومات، فقال ﷺ: والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها يوم خير من المغامم لم تصبها المقادس لتشتعل عليه ناراً... إلى آخر الحديث^(٣).

إلى غير هؤلاء من الذين خانوا الله ورسوله، وأنزل الله فيهم الآيات البينات، وفيها من الشواهد الخيانة التي صدرت من المنسوبين إلى الأنبياء صلى الله عليهم وسلم: أزواجاً وأصحاباً، حججاباً وكتاباً. فكل ما صدر من أحد هؤلاء، لا بل جميع ما صدر عنهم من الخيانة لم يبطل نبوة النبي، فما بال أنس بشبوب خيانته تبطل نبوة النبي ﷺ؟

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢١٢ و غيره.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٤١. تفسير ابن كثير ٢/٣٨٨.

(٣) تفسير القرطبي ٤/٢٥٨ نقلاً عن الموطأ، فليراجع.

إن دعوى هذا التلازم من الغرابة بمكان، ولغرابتها وسماجتها ووقاحة قائلها استعظامها واستففظعها الذهبي وهو أحد رواتها، فعقب عليها فقال: قلت: هذه عبارة . وحاجب النبي لا يكون خائناً . ردية، وكلام نحس، بل نبوة محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم حق قطعي إن صحَّ خبر الطير أو لم يصحَّ، وما وجه الارتباط؟ هذا أنس قد خدم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قبل أن يختلم وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة، فرضنا أنه [كان] مختلماً، ما هو بعصوم من الخيانة، بل فعل هذه الجنائية الخفيفة متأولاً^(١)، ثم إنه حبس علياً عن الدخول كما قيل فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستجيئت، فلو حبسه أو رده مرات، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل معه سواه. إلا اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قصد بقوله: (اتبني بأحب خلقك إليك يأكل معي) عدداً من الخيارات، يصدق على مجموعهم أنهم أحب الناس إلى الله، كما يصحُّ قولنا: أحبُّ الخلق إلى الله الصالحون، فيقال: فمن أحبّهم إلى الله؟ فنقول: الصديقون والأنبياء، فيقال: فمن أحبُّ الأنبياء كلهم إلى الله فنقول: محمد وإبراهيم وموسى . والخطب في ذلك يسير، وأبو لبابة . مع جلالته . بدت منه خيانة، حيث أشار لبني قريظة إلى حلقة وتاب الله عليه،

(١) هذا على مسلكهم لإيجاد المبررات الواهية لأفعال بعض الصحابة التي يخالفون فيها النص الصريح من النبي ﷺ، مع أنه لا يجوز لأحد أن يجتهد أو يتأنى بما خالف صريح كلامه ﷺ، لأن كل اجتهاد حيث ذهنه في مقابل النص وهو باطل مقطوع بالطبلان، لا عنده لأحد في الأخذ به أو العمل على مقتضاه .

وحاطب بدت منه خيانة، فكاتب قريشاً بأمر تخفى به النبي الله صلى الله عليه [وآله] وسلم من غزوهם، وغفر الله لحاطب مع عظم فعله (رض). وحديث الطير على ضعفه فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه، وقد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خطئه أجر واحد... إلى آخر كلامه في تبرير الخطأ^(١).

ولئن أحسن الذهبي الرد في الإدانة، على دعوى ابن أبي داود في زعمه أن حديث الطير لو صَح لَزِمَّ منه بطلان النبوة، لاستلزمَه أنساً بالخيانة، لكنه أساء وأسرف في اعتذاره وتبريره خطأ ابن أبي داود حتى بلغ به الإسراف والشطط إلى حدَّ الغلط، فجعله مجتهداً مخطأً مأجوراً بعد أن كان آثماً مازوراً.

وغرِبَ أمر هؤلاء النواصِب فهم حين يحيِّزُونَ على النبي ﷺ ما ينافي عصمتِه وهو المسدَّد بِوحيِ السماء، ويهتكون حرمته حين ينسبون إلى أخيه وابن عمِّه ومن هو نفسه بنصِّ الْوَحْيِ الْمُبِينَ في آية المباهلة، ما يندى له الجبين، كما صنَع ابن أبي داود الذي تهالك الذهبي في تبرير خطئه، فقد كان من شدة نشَّبة يروي الحديث الكاذب يتناول به الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام.

فاقرأ ما ذكره الذهبي وابن عدي وابن عساكر وابن حجر في ترجمته^(٢)

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٣٣.

(٢) راجع ميزان الاعتدال ٢/٤٣٣ - ٤٣٦. سير أعلام النبلاء ١٠/٥٨٢ فما بعدها. تذكرة الحفاظ للذهبي، ص ٧٧١ فما بعدها. الكامل لابن عدي ٤/٢٢٦ وما بعدها. لسان =

من أعاجيب الأكاذيب، وهذا من بعضها: عن محمد بن الصبحاك بن عمرو ابن أبي عاصم النبيل يقول: أشهد على محمد بن يحيى بن مندة بين يدي الله أنه قال لي: أشهد على أبي بكر بن أبي داود أنه قال لي: روى الزهري عن عروة قال: كانت قد حفت أظافير علي من كثرة ما كان يتسلق على أزواج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم.

أتريد وقاحة وصلفًا أكثر من هذا؟ فهو إذ يفار على أنس أن تنس
إليه خيانة، فينفي حدثًا صحيحًا في سبيله، ثم هو ينسب ما هو أشنع وأفظع
كذبًا وزورًا إلى أمير المؤمنين ابن عم الرسول وزوج البطل وأبي السبطين،
ولا يخفي لومة لائم.

وكان أصلف منه وأوقع النهبي الذي انبرى لهـ . كما مرـ . معقباً على
مقالته السببية في حق الرسول ﷺ ، ولم ينبع في المقام بنت شفة ، وكذلك
الذين ذكروا عنه هذه الطامة «فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْسِبُونَ» (١) .

والآن إلى بعض ما قاله فيه أبوه وغيره من شهادات بكتابه ونصبه
﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسَأَّلُونَ﴾^(٢):

١- قال ابن عدي: وقد تكلّم فيه أبوه وإبراهيم بن أورقة، ونسب في

= الميزان لابن حجر ٣/٢٩٣. تاريخ دمشق لابن عساكر في ترجمته، ففي هذه المصادر
تجد المضحك المكي من التناقض في أوصاف الرجال، ذكرنا بعضه في المتن.

٧٩) سورة البقرة، الآية (١)

١٩) سورة غافر ، الآية (٢)

الابتداء إلى شيء من التَّصْبِ، وفَنَاهُ ابنُ الْفَرَاتَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسْطَ، ثُمَّ رَدَّهُ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، فَحَدَّثَ وَأَظْهَرَ فَضَائِلَ عَلِيٍّ، ثُمَّ تَحْبَلَ فَصَارَ شِيخَهُ فِيهِمْ.

٢ - **وقال الذهبي:** سمعت ابن عبدان يقول: سمعت أبا داود يقول:
وَمِنَ الْبَلَاءِ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ يَطْلَبُ الْقَضَاءَ.

٣ - **وقال أيضاً:** وسمعت علي بن عبد الله الداهري، سمعت محمد ابن أحمد بن عمرو، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أبا داود يقول: أبني عبد الله كذاب.

٤ - **وقال ابن عدي:** وكان ابن صاعد يقول: كفانا أبوه بما قاله فيه.

٥ - **وقال محمد بن عبد الله القطان:** كنت عند ابن جرير فقال رجل:
ابن أبي داود يقرأ على الناس فضائل علي. فقال: تكبيرة من حارس.

٦ - **وقال إبراهيم الأصبهاني:** أبو بكر بن أبي داود كذاب.

٧ - **وقال أبو القاسم البغوي:** وقد كتب إليه أبو بكر بن أبي داود
يسأله عن لفظ حديث لجده: أنت والله عندي منسلخ من العلم.
وبحسب القارئ بهذا 『وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ』.

والآن إلى نموذج ثانٍ من أولئك النواصِبِ، وما قاله في حديث الطير
من مناقشة في السند والمعنى والدلالة، مما أظهر نصبه والعداوة للإمام علي بن
أبي طالب عليهما السلام.

ثانياً: ابن تيمية الحرّاني: قال في منهاج السنة ردأ على قول العلّامة الخلّي - وقد سماه بالرافضي - الثامن: خبر الطائر، روى الجمهور كافة أنّ النبي صلّى الله عليه [وآلّه] وسلّم أتى بطائر، فقال: اللهم اثنين بأحّب خلقك إلّيك وإلّي يأكل معي من هذا الطائر... وذكر الخبر بتمامه.

فقال ابن تيمية ردأ عليه: والجواب من وجوه:

أحدّها: المطالبة بتصحيح النقل، وقوله: (روى الجمهور كافة) كذب عليهم، فإنّ حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح، ولا صحّحه أنّة الحديث، ولكنّ هو مما رواه بعض الناس كما رووا أمثلة في فضل غير على.

الثاني: أنّ حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعروفة بحقائق النقل.

قال أبو موسى المديني: قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة، كالحاكم النسابوري وأبي نعيم وابن مردويه...

الثالث: أنّ أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحّب الخلق إلى الله ليأكل منه، فإنّ إطعام الطعام مشروع للبّر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا، فائيّ أمر عظيم هذا يناسب جعل أحّب الخلق إلى الله يفعله.

الرابع: أنّ هذا الحديث ينافي مذهب الرافضية، فإنّهم يقولون: إنّ النبي صلّى الله عليه [وآلّه] وسلّم كان يعلم أنّ علّيّاً أحّب الخلق إلى الله،

وأنه جعله خليفة من بعده، وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحبَّ
الخلق إلى الله.

الخامس: أن يقال: إما أن يكون النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
كان يعرف أن علَيْهِ أَحَبَّ الْخَلْقَ إِلَى اللهِ أو ما كان يعرف؟ فإن كان يعرف
ذلك كان يمكنه أن يرسل بطلبِه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة، أو
يقول: (اللَّهُمَّ اثْنِي بِعْلِيٍّ فَإِنَّهُ أَحَبُّ الْخَلْقَ إِلَيْكَ)، فأي حاجة إلى الدعاء
والإيهام في ذلك، ولو سُمِّيَ علَيْهِ لاستراح أنسٌ من الرجاء الباطل، ولم
يغلق الباب في وجهِه، وإن كان النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم
يعرف ذلك، بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك، ثم إن في لفظه
(أَحَبُّ الْخَلْقَ إِلَيْكَ وَإِلَيْيَّ) فكيف لا يعرف أَحَبُّ الْخَلْقَ إِلَيْهِ؟

السادس: أن الأحاديث الثابتة في الصَّحَاحِ التي أجمعَ أهلَ الحديث
على صحتها وتلقّيَها بالقبول تناقضُ هذا، فكيف تعارضُ بهذا الحديث
المكذوبُ الموضوعُ الذي لم يصحّحْوه...

ثم استمرَّ يذكر حديث البخاري (لو كنت متخدناً من أهل الأرض
خليلاً لاختذلت أبا بكر خليلاً)، واستدلَّ بأنَّ الخلة هي كمالُ الحبِّ، وهذا
لا يصحَّ إِلَّا للهِ، فإذا كانت ممكناً ولم يصلح لها إِلَّا أبو بكر، علمَ أنه أَحَبُّ
الناس إِلَيْهِ^(١).

ثم استدلَّ بحديث ابن العاص - وإن لم يسمَّه - لما سُئلَ رَبِّ الْجَنَّاتِ: أيَّ

الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قيل: من الرجال؟ قال: أبوها... إلى آخر ما نفث من غليان حقده.

والآن لنرجع إلى ما قاله في وجهه، فنقول باختصار: إن جميع وجوهه مشوهة ومردودة.

أما الوجه الأول: فمردود من جهة رواية الترمذى في جامعه والنسائى في الخصائص وكلاهما من أصحاب السنن، ومن جهة بتصحیح أئمۃ الحديث له، فقد صحّحه الحاکم النیسابوری في المستدرک على شرط الشیخین، كما صحّحه الذہبی وأقرّه في تعقبه على الحديث الأول، فقال: الكل ثقات إلا هذا - يعني محمدًا - فانا أتهمه به، ثم ظهر لي أنه صدوق... إلى أن قال: فاما أبوه فلا أعرفه.

ونحن نقول له: إذا كان الذہبی لا يعرفه فقد عرفه الحاکم قبله، وصحّح الحديث من طريقه على شرط الشیخین.

وقد مرّ في مواقف متناقضة، موقف الذہبی، وكيف استقر رأيه أخيراً على جمع طرق الحديث وأنّ له أصل، كما مرّ أنه صحّحه عملاً حين رواه في ميزانه في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعی، عن قطن بن نسیر. وهو من رجال مسلم أيضاً. عن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس. وهذا من رجال البخاری -. فالذہبی بروايته الحديث بهذا السند وهم من رجال الصحيحين مقرّ بصحته، وهذا أيضاً ملزم لابن تیمیة ويردّ عليه قوله: (ولا صحّحه أئمۃ الحديث) أو ليس الترمذی والنسائی والحاکم والذہبی من

أنمة الحديث؟

وأما الوجه الثاني: فنقول: إن الحديث الذي يرويه عن أنس فقط - سوى غيره من الصحابة - ما ينفي عن التسعين إنساناً وعنهم خلائق، هل يعقل أن يكون من المكذوبات الموضوعات؟

وهل الذين رواه وأخرجوه وجمعوا طرقه كلهم من غير أهل العلم والمعروفة بحقائق النقل كما يزعم ابن تيمية؟

لماذا لم يسمّ ابن تيمية واحداً من أهل العلم والمعرفة هؤلاء الذين أدعوا وضعه؟ أو ليس هو حكى قول المديني: قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير؟ وزعمه إنما ذلك للاعتبار والمعرفة، ينافيه تصحح الحاكم النيسابوري وقد صرّح بصحته على شرط الشيختين؟ والذهببي في روايته في ميزانه كما مرّ.

وما جمعه الطبرى^(١)، وابن عقدة^(٢)، والحاكم، والذهببي^(٣)، وأبو

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٣/٧: ورأيت مجلداً في جمع طرقه - حديث الطير - وألفاظه لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المفسر صاحب التاريخ، وكرره في

١٤٧/١١

(٢) ذكره له ابن شهرashوب في كتابه المناقب.

(٣) ذكره بنفسه في تذكرة الحفاظ ١٠٤٣ في ترجمة الحاكم فقال: وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل، وقال في سير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٣ وحديث الطير على ضعفه فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء.

نعميم^(١)، وابن مردویه^(٢)، وغيرهم من طرق الحديث، وفيهم من صحيح الحديث، لم يكن ذلك منهم للاعتبار والمعرفة.

فالحاكم يصرّح بتصحیحه في المستدرک، والذهبی يخرّجه بطريق صحیح في میزانه كما مرّ، وأبو نعیم يقول في الخلیة بعد روایته الحديث: رواه الجمّ الفقیر عن أنس، وابن مردویه یرویه بمائة وعشرين طریقاً^(٣).

وأخرجه ابن عساکر في تاریخه بأسانید كثیرة تبلغ الأربعین، وأخرجه ابن المغازلی في المناقب بأسانید بلغت أربعاً وعشرين طریقاً، وابن الجوزی في العلل بسبعة عشر طریقاً^(٤)، وابن كثیر في البداية والنهاية عن أكثر من ثلاثین طریقاً^(٥) وغيرهم.

فهل هذا كله لمجرد المعرفة والاعتبار؟ لا بل الصحيح أن الحديث صار محک اختبار، إما إلى جنة وإما إلى نار، فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فليكفر.

(١) ذکرہ السمعانی في التحییر/١، ١٨١/١، وابن تیعیة نفسه في منهاج السنة ٤/٩٩، والذهبی في سیر أعلام النبلاء ١٩/٣٠٦.

(٢) ذکرہ الحافظ الخوارزمی في کابه مقتل الحسین ١/٤٦ وقال: وأخرج الحافظ ابن مردویه هذا الحديث . حديث الطیر . بمائة وعشرين إسناداً و قال ابن حجر في لسان المیزان ٢/٤٤ وقد جمع طرق الطیر ابن مردویه والحاکم وجماعۃ وأحسن شيء فیها طریق أخرجه النسائی في الخصائص . كما ذکرہ ابن كثیر في البداية والنهاية ٧/٣٥٣ .

(٣) حلیة الأولیاء ٦/٣٢٩ .

(٤) العلل المتباھیة ١/٢٢٨ .

(٥) البداية والنهاية ٧/٣٥٠-٣٥٣ .

وأما الوجه الثالث: فهو من السخف بمكان، ويشهد بجهله بل نصبه، فإن دعاء النبي ﷺ إنما هو لتعريف الناس تعريفاً وجداً نياً محسوساً، وذلك أكذ من القول، وأبلغ في إقامة الحاجة.

وأما الوجه الرابع: في زعمه مناقضة الحديث لمذهب الرافضة، لأن الحديث يدل على أن النبي ما كان يعرف أحبَّ الخلق إلى الله، وهم يقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم أن علِيًّا أحبَّ الخلق إلى الله.

فهذا زعم عجيب غريب، فأين توجد الدلالة في الحديث على أن النبي ﷺ ما كان يعرف أحبَّ الخلق إلى الله؟ كيف وفي بعض صور الحديث: (اللهم انتني بأحبَّ الخلق إليك وإليَّ)، وفي بعضها قال: (يا علي ما حبسك؟) أو (ما أبطأ بك؟)، فهو ﷺ كان عارفاً به، لكنه إنما أبهم لبيان للناس أنَّ التعيين إنما حصل من قَبْلَ الله تعالى، فيعرف الناس بأن علِيًّا هو الأحبَّ إلى الله تعالى عن طريق استجابة الدعاء، ومن هذا يعرف زيف ما ذكره في الوجه الخامس.

وأما الوجه السادس: أنه مناقض للأحاديث الصحيحة، فهذه دعوى فارغة غير ملزمة لمن لا يرى صحة تلك الأحاديث.

ثم إن ما ذكره لا يثبت مدعاه، وسيأتي قريباً مزيد بيان في آخر النماذج من أمثاله عند مناقشة الألباني، فانتظر.

ثالثاً: العضد الإيجي: قال في (المواقف) مستشكلاً في دلالة الحديث،

وتابعه بعض شراح كتابه كأبي العلا بن مير أبي الفضل^(١)، والشريف الجرجاني في شرحه له في إشكاله، وخلاصة ما عندهم بأن الحديث لا يفيد أن علّيًّا أحب إلى الله في كل شيء، لصحّة التقسيم، وإدخال لفظ الكل والبعض، الا ترى أنه يصح أن يفسّر ويقال: أحب إلى الله في كل الأشياء أو في بعض الأشياء، جاز أن يكون أكثر ثواباً في شيء دون آخر، فالحديث لا يدل على الأفضلية مطلقاً.

أقول: وهذا من غرائب ما صدر عن صاحب المواقف ومن تابعه، وكم لهم من غرائب وعجائب، ألم يعلم أن الإطلاق مع عدم القرينة على التصوّص يفيد العموم في مثل المقام، فكلمة الشهادة إنما دلت على التوحيد ياطلاقها، وبناءً على ما ذكره يقتضي أن لا دلالة فيها، لإمكان الاستفسار أيضاً بأنه لا إله إلا هو في كل شيء؟ أو في السماء؟ أو في الأرض؟ فعليه لا تفيد نفي الشريك مطلقاً.

وهذا ما لا ي قوله أي موحد، كيف بالعارف بأساليب الكلام وفنون المعرفة.

ولو سلمنا جدلاً أنَّ الحديث لا يصح حمله على إرادة الأحب مطلقاً، لإمكان حمله على الأحب في بعض الأمور، فيكون علّيًّا هو الأحب إلى الله تعالى ولكن في بعض الأمور، وهناك غيره من هو أحب منه مطلقاً.

(١) المواقف، ص ٤٠٩ ط عالم الكتب بيروت. شرح المواقف، ص ٧٤١ ط الهند سنة

فهذا الطرح يعنينا منه أن الله تعالى لما استجاب دعاء نبيه ﷺ جاءه على وحده، ولو لم يكن هو الأحب مطلقاً جاء معه من هو أحب منه مطلقاً، لاستجابة دعاء النبي ﷺ فيه.

وهناك في بعض صور الحديث ما يؤيد ما قلناه، ويؤكد أن علياً هو الأحب إليه مطلقاً، وهو رد النبي ﷺ للشيوخين وقد أتياه متعاقبين كما في حديث رواه النسائي، وقد تقدمت الإشارة إليه، فعدم إذنه لهما يدل على أنهما ليسا بالأحب مطلقاً، كلا ولا من بعض الوجوه، فلاحظ.

رابعاً: أهل واسط: على ما ذكره الحافظ السلفي في سؤالاته لخميس الحوزي عن جماعة من أهل واسط، قال: وسألته عن أبي محمد السقاء، فقال: عبد الله بن محمد بن عثمان المزني - مزينة مصر - لم يكن سقاءاً، وإنما هذا لقب نُسبَّ به - من وجوه الواسطيين وذوي الثروة منهم والحفظ والإسناد والتقدم فيه...^(١)

إلى أن قال: واتفق أنه أملأى حديث الطائر فلم تتحمله أنفس العوام، فوثبوا به وأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته، وكان لا يحدث أحداً من الواسطيين، فلهذا قل حديثه عندهم، وإذا جاء الرجل الغريب أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما وضعك أحد من أهل واسط، ولا تعطِّ حديثي أحداً منهم، فإذا حلف له حدثه^(٢).

(١) سؤالات الحافظ السلفي، ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩ - ٨٨.

أقول: يا لله لماذا غسلوا مكانه؟ فهل كفر الرجل بتحديثه حديث الطير؟ أرأيت تعصباً أعمى كهذا؟ أو ليس هذا من أقبح التّصب - إن صح التعبير -؟^(١).

خامساً: ابن كثير الشامي في تاريخه: فقد كشف به عن باطن دخيلته وسوء طويته، قال: وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم أبو بكر بن مردويه، والحافظ الطبرى المفسر صاحب التاريخ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيقه سندًا ومتناً للقاضى أبي بكر الباقلانى المتكلم.

ثم قال ابن كثير: وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كررت طرقه، والله أعلم^(٢).

أقول: يا سبحان الله، بينما يسوق ابن كثير في كتابه^(٣) جملة من أسانيد الحديث تيّفت على الثلاثين، وهو ما أشار إليه بقوله: (وإن كثرت طرقه)، يقول: (ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر).

لماذا يبقى مجال للنظر؟ وهو بتكرر طرقه يبلغ حد التواتر، وما ذلك إلا لمرض فيه، ولقد صدق الله تعالى حيث يقول: **﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً**

(١) وثمة شواهد على نصب أهل واسط وتعصّبهم، من شاء الإطلاع عليها فليرجع إلى ترجمة إبراهيم بن سعيد بن الطيب في معجم الأدباء ١٥٤/١ - ١٥٦، والمصدر المذكور أعلاه.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٣/٧.

(٣) البداية والنهاية ٣٥١/٧ - ٣٥٣.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِّشُونَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَلَّوْهُمْ كَافِرُونَ ۝^(١).

سادساً: محمد ناصر الدين الألباني: قال في مقدمة الجزء الثالث من مشكاة الصابح ناقداً لابن حجر في جوابه على مسائل الخطيب التبريزى، ومنها عن حديث الطير حيث أخرجه من دائرة الوضع، وحكم بأنه حديث حسن، فقال الألباني: فانظر مثلاً إلى الحديث السادس عشر، وهو حديث الطير الذي أفاد أن علیاً رضي الله عنه أحبَّ الخلق إلى الله، فقد صرَّح الحافظ في التلخيص المشار إليه بأنه حديث حسن! مع أن الترمذى مع تساهله المعروف لما خرَّجه لم يحسَّنَ، بل ضعَّفَه بقوله: (حديث غريب)^(٢). وإذا عدنا إلى كلام الحافظ على رجال إسناده، وجدناه ينحصر حول من لا طعن فيه منهم كالسدي، فيتوهم القارئ الذي لا إطلاع له على إسناده، ولا معرفة عنده بحال رواته أن لا مغمس في واحد منهم، والواقع خلاف ذلك، وعلة الحديث فيمن دون الذي ذكره الحافظ، ألا وهو شيخ الترمذى نفسه، وهو (سفيان بن وكيع)، وقد وَهَّأه البخاري، فقال: (يتكلمون لأشياء لقنتوه فيها). وقال أبو زرعة: (يُتَهَمُ بالكذب). فمن كان هذا حاله، فهل يجوز طي الكلام عنه، وتعصيَّب التهمة بغيره، بل إيهام أن لا متهم هناك؟ وبعد معرفة هذا يتوجَّ أنَّ الحديث بهذا السند ضعيف جداً. فلننظر إذن في الطريق

(١) سورة التوبة، الآياتان ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) سنن الترمذى ٢٩٩/٢.

الأخرى التي أخرجها الحاكم هل يمكن أن يرتفع الحديث بها إلى الدرجة التي رفعه إليها الحافظ، ألا وهي الحسن! لقد سكت الحافظ عن هذه الطريق، فلم يتكلّم عليه إطلاقاً، بل أوهم بأسلوب سياقه إيهأن لا طعن فيه البتة، وذلك بأن سياقه من عند سليمان بن بلال (وهو ثقة)، عن يحيى بن سعيد (وهو ثقة أيضاً)، عن أنس. وقد جرى عمل المحدثين أنهم يدّوون بذكر السنّد من عند الراوي الذي يظن أن فيه شيئاً، ولم يجز البدء من عند غيره من الثقات، إلا إذا لم يكن هناك علة إطلاقاً، والواقع هنا أن الأمر ليس كذلك، فإن في الطريق إليه أحمد بن عياض بن أبي طيبة، قال الذهبي في الميزان والتلخيص: (لا أعرفه). قلت: ويرويه عنه ابنه محمد، وقد كان الذهبي صرّح في الميزان بأنه هو المتهم بهذا الحديث. أي بوضعه - ثم رجع عن ذلك لما تبيّن له أنه صدوق، وختّم ترجمته بقوله: (فاما أبوه فلا أعرفه) أي فهو المتهم به. وقد أقرَّ الحافظ في اللسان (٥٨ / ٥٥٨)^(١). ثم قال الذهبي في التلخيص: ولقد كنت زماناً طويلاً أظن أن حديث الطير لم يجسر

(١) أقول: لقد ذكر الحافظ في نفس المصدر في نفس الجزء والصفحة تعقيباً على قول الذهبي: فاما أبوه فلا أعرفه. قلت: ذكره ابن يونس في تاريخ مصر... إلى أن قال: ولم يذكر فيه جرحاً. ثم أستدله حديثاً وذكره بسنده إلى أنس عنه صلى الله عليه [والله] وسلم، قال: لا يلام الرجل على حبّ قومه. قال ابن حجر: وهذا طرف من حديث الطير، ثم ذكر عن ابنه محمد أنه مات في حبس ابن طولون لأنّه أتهم بسب الإمام وأحضرت البينة، فأمر به فجُرُودٌ وضرب نحو ثمانين سوطاً في الحبس، ومات بعد سبعة أيام... الخ. أقول: لماذا لم يذكر الألباني ما ذكره ابن حجر في حق الأب والابن، في تمشية حالهما في الرواية، لأنّ الابن صدوق، والأب لم يذكر فيه جرح؟

الحاكم أن يودعه في مستدركه، فلما علّقت على هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التي فيها، فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء! فقد تبين أن هذه الطريق فيها جهالة، والتي قبلها فيها متّهم بالكذب، فمثّلها لا يعطي قوة للطريق الأولى، لشدة ضعفها. فهذا حال الحديث من جهة الإسناد.

وأما حاله من جهة المتن، فكيف يمكن أن يكون هذا الحديث حسناً وهو يخالف صراحة الحديث الصحيح الذي أخرجه الشیخان عن عمرو بن العاص، أنه سأله النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ فقال: عائشة. قال: قلت: فمن الرجال؟ قال أبوها. قال ثم من؟ قال: عمر... فعد رجالاً. ومن البدھي أن أبا بكر رضي الله عنه إذا كان أحب الرجال إلى النبي ﷺ فهو أحبّهم أيضاً إلى الله تبارك وتعالى، لأن العكس مستحيل، وهو أن يكون أحب الخلق عند الله غير أبي بكر، ولیکن هو على مثلاً هنا، ويكون في الوقت نفسه أحب الخلق عند النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه، هذا مستحيل قطعاً. ولذلك فإني أرى أن الصواب مع القزويني في حكمه على الحديث بالوضع تبعاً لابن الجوزي، وتبعه أيضاً الذهبي وغيره^(١).

أقول: ماذا يصنع المرء مع الذي «يسمع آيات الله تُثْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكِبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا»^(٢) مثل هذا الألباني الذي يعتبر من أهل

(١) مشكاة المصایح ج ٣، المقدمة (و-ح).

(٢) سورة الجاثیة، الآية ٨١.

المعرفة بالحديث، وقرأناه في كتابه (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) و(سلسلة الأحاديث الصحيحة) وغيرها من كتبه، لديه بعض إنصاف في مناقشته فيما فيه اختلاف، ولكن يبدو أن الرجل لا يسعه التخلّي عن الرواسب الموروثة عنده، فهو ينقل قول الذهبي في التلخيص، ثم لا يذكر قوله الآخر في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحاكم، حيث قال: وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردها بمصنف، ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

ثم ما باله لم يذكر قول الذهبي في الميزان تعقيباً على قول الحاكم: هذا على شرط البخاري ومسلم.

قلت - والقاتل هو الذهبي -: الكل ثقات إلا هذا - محمد بن أحمد بن عياض - وإنما اتهمه به، ثم ظهر لي أنه صدوق.

إذن الحديث صحيح بهذا الإسناد^(١).

ثم إن الألباني ناقش الطريق الثاني عند الحاكم بجهالة بعض رواته عنه، فكيف له بسائر الطرق الكثيرة جداً التي أفردها الذهبي بمصنف، وأوجبت عنده أن يكون الحديث له أصل.

هل اطلع عليها فرآها جمِيعاً غير صالحة للاعتماد، فضمَّ رأيه إلى رأي الخطيب التبريزي في حكمه على الحديث بالوضع تبعاً لابن الجوزي

(١) راجع ميزان الاعتدال ٤٦٥/٣ في ترجمة محمد بن أحمد بن عياض. وقد نقل جميع كلام الذهبي الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٥٧/٥ ط حيدرآباد، فراجع.

ـ كما يقول. نعم ذكره في كتابه العلل المتناهية^(١) بستة عشر طریقاً، ثم ناقش بنظرهـ أسانیدها، فأعْلَمَها فيما زعم، وعلى الباحث مراجعتها ليجد عللها إنما هي علیلة ودفعاً بالصدر، ولو لا خوف الإطالة لبسطتها جمیعاً، وأوقفت القارئ على بعض ما في آراء ابن الجوزي من تهافت، وفي بعضها من مخالفة لما قاله أهل الجرح والتعديل في توثيق الرواية.

ثم لماذا لم يتبَّع الألباني الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي هو أعلم من الخطيب التبریزی قطعاً بدلالة سؤاله منه، والحافظ ابن حجر حجَّةٌ عنده وعند قوله؟

ولكن للهوى سلطان حاكم على عقول ضعاف الإيمان، ويفکینا في إثبات غلبة هواه على عقله ما استدل به من بيان حال المتن بمخالفته لما صحَّ عندهـ فيما يزعمـ من حديث عمرو بن العاص المتقدّمـ.

و قبل أن نناقشـه في ذلك نقول له: إنَّه لم يأتنا بشيءٍ جديدٍ من عندهـ وإنما هذا معنى ما قاله التوربشتی^(٢) وغيرهـ.

وعلى كل حال فما قاله موهون من جهات:

أولاً: في قبوله رواية ابن العاص الذي عُرِف بعدائِه للإمام أمير المؤمنين عليه السلامـ، وأنه كان من صنائع معاوية الذين يضعون له الأحاديث كما في حديث المدائني الذي نقله عنه ابن أبي الحديد، فهو متّهم في روايتهـ

(١) العلل المتناهية ١/٢٢٨ - ٢٣٧.

(٢) تحفة الأحوذی ١٠/٢٢٣ نشر السلفية بالمدينة المنورة.

فلا يمكن قبولها بحال.

وثانياً: ما رأيه في حديث النعمان بن بشير، وهو صحابي أنصاري، ومن الذين كانوا مع معاوية، ولم يكن متّهماً في روايته التي يقول فيها: استاذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: لقد علمتُ أن علياً أحب إليك (مني) من أبي (مرتين أو ثلاثاً)، قال: فاستاذن أبو بكر، فدخل فأهوى إليها ليلطمها، فقال: يا بنت فلانة - يعني أمّها - (لا أراك) لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم. فأمسكه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وخرج أبو بكر مغضباً. أخرجه النسائي في الخصائص^(١) - وما بين القوسين منه - والبيهقي في جمجم الزوائد: وقال: قلت رواه أبو داود غير ذكر محبة علي رضي الله عنه، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني بإسناد ضعيف^(٢).

أقول: ونحن يكفيانا رواية النسائي له، وهو من أصحاب السنن عند القوم، ورواية البزار، إذ لا خدشة في رجاله.

ثم ذكر البيهقي هذا الحديث مرة أخرى في جمجم الزوائد، وقال: رواه أحمد^(٣)، ورجاله رجال الصحيح^(٤).

(١) الخصائص، ص ٢٨.

(٢) جمجم الزوائد ١٢٧/٩.

(٣) مسند أحمد ٢٥٧/٤

(٤) رواه النسائي أيضاً في الخصائص، ص ٢٨.

فهل يقبل الشيخ الألباني بهذا الحديث الصحيح المتضمن شهادة عائشة أن علياً أحبَّ إلى النبي ﷺ منها ومن أبيها، وشهادتها حسْيَةٌ وليست حدسية؟ وكيف له أن يرفض ما صحَّحه بنفسه في سلسلة الأحاديث الصحيحة^(١).

وثالثاً: ما رأيه في حديث جمِيع بن عمير التميمي، قال: دخلت مع عمتي على عائشة، فسألتْ: عمَّتِي: أي الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟ قالتْ: عائشة: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالتْ: زوجها، إن كان ما علمت صواماً قواماً.

وهذا الحديث رواه الترمذى في سنته^(٢)، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٣). وأخرجه أيضاً الخطيب في تاريخ بغداد^(٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب^(٥)، والمتقي المندى في كنز العمال، وقال: أخرجه الخطيب البغدادي وابن التجار^(٦). ورواه الحباطبى في ذخائر العقى، وقال: خرجه ابن عبيد. وزاد بعد قولها (قواماً) الطبرى في ذخائر العقى، وقال: خرجه ابن عبيد. وزاد بعد قولها (قواماً)

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٦ ق ٢٩٤٥.

(٢) سنن الترمذى ٧٠١/٥ برقم ٣٨٧٤(٤) باب مناقب فاطمة. نفحة الأحوذى ٣٧٥/١٠ حديث رقم (٣٩٦٥).

(٣) المستدرك ١٥٧/٣.

(٤) تاريخ بغداد ٣٤٠/١١.

(٥) الاستيعاب ٧٥١/٢ ط حيدر آباد.

(٦) كنز العمال ٤٠٠/٦ ط حيدر آباد (الأولى).

كلمة (جديراً بقول الحق) ^(١).

فماذا يقول الشيخ الألباني في هذا؟ أوليس هذا هو الذي قال في تعليقه على مشكاة المصابيح: (وابن سناه حسن) ^(٢) بعد ذكره هذا الحديث؟ ورابعاً: ما رأيه في حديث آخر لجعيم بن عمير أيضاً، قال: دخلت مع أمي على عائشة، فسمعتها من رواه الحجاب وهي تسألاها عن علي، فقالت: تسأليني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم من امرأته - تعني امرأة علي.

آخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(٣).

وأخرجه النسائي في الخصائص ^(٤)، فهل يقبل الشيخ بذلك أم لا؟ وخامساً: ما رأيه في حديث ثالث لجعيم بن عمير، وقد دخل على عائشة هذه المرة مع أبيه، فقال: دخلت مع أبي على عائشة، يسألها من وراء الحجاب عن علي، فقالت: تسأليني عن رجل ما أعلم أحداً كان أحب

(١) ذخائر العقبى، ص ٣٥.

(٢) مشكاة المصابيح ٣/٢٥٨.

(٣) المستدرك ٣/١٥٤.

(٤) الخصائص، ص ٢٩، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (ترجمة الإمام) ٢/١٦٦ وقال: أحسب أن يكون عمه وأمه جمِيعاً سألاً عائشة، وهكذا رواه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ٩/١١٢.

إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم منه، ولا أحب إلية من امرأته. وهذا الحديث رواه النسائي أيضاً في الخصائص^(١)، فهل يقنع الشيخ بروايات جميع بن عمرو وهو يروي قول عائشة، وهي تشهد عن مبلغ علمها بأنه ليس أحد أحب إلى رسول الله ﷺ من علي وامرأته؟ وقلنا: إن شهادة عائشة حسية وليس حدسية، لعاشرتها النبي ﷺ طيلة تسع سنين. سادساً: ما رأيه في حديث عن بريدة يقول فيه: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي.

وهذا أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢). وصادقه الذهبي على التصحيف في تلخيصه. وأخرجه الترمذى في سنته^(٣)، والنسائي في الخصائص^(٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب^(٥)، فما رأى الألبانى في شهادة بريدة وهو من أصحاب بيعة الرضوان كما في ترجمته في الاستيعاب؟

وسابعاً: ما رأيه في حديث معاذة الغفارية، قالت: كت أنيساً برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، أخرج معه في الأسفار، وأقوم على المرضى، وأداوى الجرحي، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه [وآله]

(١) الخصائص، ص ٢٥.

(٢) المستدرك ١٥٥/٣.

(٣) صحيح الترمذى ٦٩٨/٥ برقم (٣٨٦٨). تحفة الأحوذى ٢٢٣/١٠ برقم (٣٨٠٥).

(٤) الخصائص، ص ٢٩ ط التقدم.

(٥) الاستيعاب ٧٥١/٢ ط حيدرآباد.

وسلم بيت عائشة وعليٌّ خارج من عنده، فسمعته يقول: يا عائشة، هذا أحب الرجال وأكرمهم عليٌّ، فاعرفني له حقه، وأكرمي مثواه.

وهذا الحديث ذكره ابن الأثير في أسد الغابة^(١)، وابن حجر في الإصابة^(٢)، والمحب الطبرى في الرياض النصرة، وقال: أخرجه الحججندى^(٣).

ورواه مرة أخرى بأطول مما مر، وفيه ذكر ما جرى لعائشة بعد حرب البصرة وسؤال الغفارية منها: كيف قلبها اليوم بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول لك فيه ما قاله؟؟... إلى آخر ما جرى بينهما^(٤)، فمن شاء الوقوف عليه فليراجعه.

واثمنا: ما رأيه في حديث أبي ذر الغفارى الذى هو أصدق ذى لهجة كما في تقريرض النبي ﷺ له بقوله: ما أظللت الخضراء ولا أقللت الغبراء أصدق ذى لهجة من أبي ذر.

فقد روى الحب الطبرى في الرياض النصرة^(٥)، وابن عساكر في تاريخه^(٦) بطريقين عن معاوية بن ثعلبة، قال: جاء رجل إلى أبي ذر وهو في

(١) أسد الغابة ٥/٤٧.

(٢) الإصابة ٨/١٨٣.

(٣) الرياض النصرة ٢/١٦١.

(٤) المصدر السابق ٢/٢١٩.

(٥) المصدر السابق ٢/١٦٢.

(٦) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ٢/١٧٠.

مسجد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: يا أباد ذر لا تخبرني بأحب الناس، فإني أعرف أن أحب الناس إليك أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟ فقال: إني ورب الكعبة، أحبّهم إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم هو ذاك الشيخ. وأشار إلى علي وهو يصلّي أمامه.

قال الحبّ الطبرى: خرجه الملا. أي في سيرته.

فما رأى الشيخ الألبانى في قول أبي ذر وشهادته؟ وقد تبلغ القحة حتى التشكيك بصدق أبي ذر في قوله!

وتاسعاً: ما رأيه في حديث أبي هاشم مولى رسول الله عليه السلام، قال: كانت أمي أمة لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، هو أعتق أبي وأمي: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم جاء في المسجد فوجد علياً وفاطمة مضطجعين وقد غشياهما الشمس، فقام عند رأسيهما وعليه كساء خبيري، فمده دونهما، ثم قال: قوماً أحبّ بادٍ وحاضر (ثلاث مرات).

وهذا ما أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة^(١)، وقال: أخرجه أبو موسى. فما رأيه في هذا؟

وعاشراً: ما رأيه في قول الحسن البصري في حديث له مع الحجاج وقد سأله: ما رأيك في أبي تراب؟ فقرأ قوله تعالى «إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى

الله)، ثم قال: وعلي منهم، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وختنه على ابنته، وأقرب الناس إليه، وأحّبّهم... الخ.

أخرجه الزمخشري في الكشاف^(١).

فما رأى الألباني في هذا العرض للشهادات العشر بأن علياً أحبَّ إلى رسول الله من غيره، وهل بعدهما تقدم كله يبقى لحديث عمرو بن العاص من قيمة؟ عمرو هو المعروف بعاداته للإمام عليه السلام وقد حاربه مع معاوية، وذلك مشهور ومذكور في التواريخ؟

ثم ألا مسائل من الألباني كيف اعتمد حديث عمرو مع ما يعرفه من عاداته ونسبة، وهو الذي روى كما في الصحيحين: أن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما ولـي الله وصالح المؤمنين.

قال ابن أبي الحميد: إن عمرو بن العاص رواه تقرباً إلى قلب معاوية^(٢).

وهلّا سلك الألباني مسلك الحافظ ابن حجر العسقلاني وقد ذكر في شرحه للحديث في فتح الباري طريقة للجمع بين حديثي ابن العاص والنعمان بن بشير الآفني الذكر، فقال: ويمكن الجمع باختلاف جهة المحبة، فيكون في حق أبي بكر على عمومه بخلاف علي، ويصبح حيـثـذا دخـولـه فيمن أبـهـمه عمـرو^(٣).

(١) الكشاف، في ذيل تفسير الآية من سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) شرح النهج ١٥/٣.

(٣) فتح الباري ٢٢/٨ - ٢٣.

وهذا الجمع وإن كان دفعاً بالصدر وتبرعياً لم يذكر عليه دليلاً، ولسنا في مقام مناقشته، إلا أنه اتّخذ سبيلاً وسطاً فيما رأه، بخلاف الألباني الذي اعتمد حديث ابن العاص وأعرض عن غيره.

وما دام قد اعتمد فهل لنا أن نسأله عن رجال إسناده وهو الخبرير بأحوال الرجال؟ فنقول: لقد رواه البخاري في فضل أبي بكر. وهو الحديث السابع - عن معلى بن أسد، عن عبد العزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان، عن عمرو بن العاص.

ونظرة خاطفة فيهم نجد أن منهم عبد العزيز بن المختار الذي قال فيه ابن معين: ليس بشيء^(١). وهو يرويه عن خالد الحذاء. وهو خالد بن مهران - الذي قال فيه أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتاج به^(٢).

وهو يرويه عن - أبي عثمان النهدي - وقد قال فيه عبد الله بن أحمد ابن حنبل في كتاب العلل عن أبيه: لم يسمع خالد الحذاء من أبي عثمان النهدي شيئاً. وكان قد استعمل على العشور بالبصرة^(٣)، وكان شرطياً لبني أمية بالبصرة، رأه أبو طالوت عبد السلام يجيء فياخذ من أصحاب الكمة كما في طبقات ابن سعد^(٤)، وكان عريف قومه^(٥)، وقال عباد بن عباد: أراد

(١) تهذيب التهذيب ٣٥٦/٦.

(٢) نفس المصدر ١٢١/٣.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٢/٣.

(٤) الطبقات الكبير ٩٨/٧ ط صادر بيروت.

(٥) الجرج والتتعديل ٢٨٣/٥ - ٢٨٤.

شعبة أن يقع في خالد فأتيته أنا وحماد بن زياد، فقلنا له: مالك أجبت؟! وتهَدَّدَناه، فسكت.

وحكى العقيلي من طريق أحمد بن حنبل، قيل لابن علية في حديث كان خالد يرويه، فلم يلتفت إليه ابن علية، وضَعَّفَ أمر خالد^(١).

والحديث يرويه عمرو بن العاص الذي هو من أشد المناوئين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلماذا إذن احتج الألباني بهذا الحديث وإسناده كما رأيت [!] .

أليس احتجاجه به وإعراضه عما تقدم ذكره من العشرة أحاديث التي أثبتت أن علياً أحب إلى رسول الله عليه السلام من كل أحد، أليس ذلك من التَّنصُّب المقيت؟ لأنَّه لا شك فيمن وعى فقه الحديث - حديث الطير - مع كثرة طرقه التي جازت حدَّ التواتر، ثم لم يذعن لصحته فغلبه هواه فقد ارتكب شططاً، وزعم غلطاً، وكان في أمره فرطاً، وكان من ذمَّة الله سبحانه بقوله «يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا»^(٢) .

وبقوله «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَيْنَسَ فِي جَهَنَّمَ مُثْوَرَ لِلْكَافِرِينَ»^(٣) .

(١) تهذيب التهذيب ١٢٢/٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٨.

(٣) سورة الزمر، الآية ٣٢.

ماذا يعني فقه الحديث؟

أتدرؤن لماذا كثر الصخب والشغب حول حديث الطير؟

إنه بفقهه كحديث الم الولا، يثبت أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام على سائر الخلق بعد النبي ﷺ، وهذا ما يأبه النواصب الذين ابتدعوا نظرية المفاضلة على أساس الترتيب في الخلافة، لذلك بذلوا جهداً كبيراً في تضييع معالم الدلالة فيه على نحو ما صنعوا في حديث الم الولا حين أعجزهم تواتره، فتسللوا نحو الدلالة، فذكروا معانٍ المولى اللغوية، متعامين عن المعنى الحقيقي المراد للرسول ﷺ، متتجاهلين القرائن الحالية والمقالية.

وهنا - في حديث الطير - أوسعوا الحملة، وزادوا في الطين بلة، فخحدث بعضهم في بعض رجال السنن، فهربوا بما عرفوا وما لم يعرفوا، متغابين عن أن حديث الطير الذي يرويه حافظ واحد منهم بمائة وعشرين طریقاً كما مرّ بنا عن أبي بكر ابن مروديه، لا يعقل أن تكون جميع تلك الطريق ليس فيها طريق صحيح. وحتى لو فرضنا فيها بعض الطرق ضعيفة الإسناد، ففي كثرة طرقه ما يصيّره حسناً يتحجّج به، كما مرّ عن ابن حجر المكي الهيتمي، بل بعض طرقه على شرط السنن، بل بنفسه صحيح كما في رواية الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين، ورواية الذهبي في الميزان في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي، ورجاله رجال الصحيحين، ورواية النسائي له في الخصائص، فلماذا المكابرة؟ إنما ذلك كله لفقهه.

وماذا يعني الحديث في فقهه؟

الجواب نقرأه فيما قاله المأمون العباسي في احتجاجه (على الفقهاء في فضائل علي)، فقد روى ابن عبد ربه الأندلسي^(١) في العقد الفريد ذلك الاحتجاج، وفيه قال المأمون لإسحاق بن إبراهيم: يا إسحاق أتروي الحديث؟ قلت: نعم.

قال: فهل تروي حديث الطير؟ قلت: نعم.

قال: يا إسحاق إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فاما الآن فقد بان لي عنادك، إنك تومن أن الحديث صحيح؟ قلت: نعم رواه من لا يكفي رده.

قال: أفرأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحداً أفضل من علي، لا يخلو من إحدى ثلث: من أن تكون دعوة رسول الله عليه السلام عنده مردودة عليه.

أو أن يقول: إن الله عز وجل عرف الفاضل من خلقه، وكان المفضول أحب إليه.

(١) ابن عبد ربه الأندلسي غير متهم في نقله هذا، بل هو معدود من النواصي، لأنه نظم أرجوزة في الخلفاء، ولم يذكر الإمام علي عليه السلام فيها. وقد ذكرها في كتابه العقد الفريد ٤/٥٢٧ - ٥٠١، فجعل معاوية رابع الخلفاء، وقد كتب القاضي منذر بن سعيد عليه:

أوَ مَا عَلَيَّ لَا بَرَحْتَ مُلْئَنَا يَا أَبْنَى الْخَيْثَةِ عَنْدَكُمْ يَامَامٌ
رَبُّ الْكِسَاءِ وَخَيْرُ آلِ مُحَمَّدٍ دَانِي السَّوَالَاءِ مَقْدِمُ الْإِسْلَامِ

أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول.

فأي الثالثة أحب إلينك أن تقول؟

قال إسحاق: فأطربت. ثم قال: يا إسحاق لا تقل منها شيئاً، فإنك إن قلت منها شيئاً استتببتك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثالثة الأوجه فقله.

قلت: لا أعلم^(١).

وعلى وفق تلك الاستفادة من فقه الحديث كان أبو علي الجبائي من شيوخ المعتزلة البصريين يقول بالتفصيل، فقد حكى أنه قال في كثير من تصانيفه: إن صحَّ خبر الطائر فعلي أفضل^(٢).

إيقاظ وتنبيه:

هكذا عنون الحافظ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٤هـ في كتابه (مطالب المسؤول في مناقب آل الرسول)^(٣) تعقيباً على ما ذكره في الفصل الخامس من كتابه في محبة الله تعالى ورسوله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

اعلم أيَّدك الله بروح منه أن إخبار النبي ﷺ صدق وأقواله حق،

(١) العقد الفريد ١٠١ - ٩٢/٥ ط محققة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مصر.

(٢) شرح النهج ٧/١ ط مصر المحققة. الإمام وأهل البيت للدكتور محمد بيومي طهران ١٦٢/١.

(٣) مطالب المسؤول، ص ١٥ ط حجرية سنة ١٢٨٧هـ.

فإذا أخبر عن شيء فهو محقق لا يرتاب في صحته ذوو الإيمان ولا أحد من المهتدين، وكان إليه قد أطلع بنور النبوة على أن علياً عليه من يحبه الله تعالى، وأراد أن يتحقق الناس بثبوت هذه المنقبة السنّة والصفة العلية التي هي أعلى درجات المتقين لعلي عليه، وكان بين الصحابة يومئذ منهم حديثو عهد بالإسلام، ومنهم سمعاعون لأهل الكتاب، ومن فيهم شيء من النفاق، فأحّب رسول الله إليه أن يثبت ذلك لعلي عليه في نفوس الجميع، فلا يتوقف فيه أحد، فقرن إليه في خبره بثبوت هذه الصفة، وهي الحبّة الموصوفة من الجانين لعلي، التي هي صفة معنوية لا تدرك بالعيان، بصفة محسوسة تدرك بالأبصار أثبّتها له، وهي فتح خير على يديه، فجمع في قوله إليه في وصف علي بين الحبّة والفتح، بحيث يظهر لكل ناظر سورة الفتح ويدرك بحاسته، فلا يبقى عنده توقف في ثبوت الصفة الأخرى المترنة بهذه الصفة المحسوسة، فيترشح في نفوس الجميع ثبوت هذه الصفة الشريفة العظيمة لعلي عليه.

وهكذا في حديث الطير جعل إتيانه وأكله معه . وهو أمر محسوس مرئي . مثبت عند كل من علم أن علياً متّصف بهذه الصفة العظيمة، وزيادة الأحبيّة على أصل الحبّة، وفي ذلك دلالة واضحة على علوّ مكانه عليه، وارتفاع درجته، وسمّو منزلته، واتصافه بكون الله تعالى يحبّه، وأنه عليه أحبّ خلقه إليه، وكانت حقيقة هذه الحبّة قد ظهرت عليه آثارها، وانتشرت لديه أنوارها، فإنه كان قد أزلفه الله تعالى من مقرّ التقديس، فإنه نقل

الترمذى في سنته أن رسول الله ﷺ دعا عليه يوم الطائف فاتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه. فقال رسول الله ﷺ: ما انتجته ولكن الله اتجاه.

القائلون بتفضيل علي عليه السلام:

قال أبو عمرو في الاستيعاب: روى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخطاب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من أسلم، وفضله هولاء على غيره^(١).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ليس تفضيل علي برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين^(٢).

وقال الشهري في الملل والنحل: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فُوِّضَت إلى أبي بكر لصلحة رأوها^(٣).

وقال ابن حزم في الفصل: اختلف المسلمون في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء، فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وبجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. وقد رويانا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعن جماعة من التابعين والفقهاء^(٤).

(١) الاستيعاب ١٩٧/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٧/١٦.

(٣) الملل والنحل (بها مش الفصل) ١٦٠/١ ط محمد علي صبيح بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٩٠/٤.

قال: وروينا عن نحو عشرين من الصحابة: أن أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علي ابن أبي طالب والزبير بن العوّام^(١).

وروى أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بسنده عن ابن مسعود، قال: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب^(٢).

وقال ابن أبي الحميد المعتزلي الحنفي: والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة: عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر بن عبد الله، وأبي بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيلي عامر بن وائلة، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة، وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع، وكان من بنى أمية قوم يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز... ثم ذكر حديث الرجلين المتنازعين في التفضيل، وقد بعث بهما ميمون بن مهران عامل عمر بن عبد العزيز إليه، والخبر طويل فمن أراده فليرجع إليه^(٣).

ثم قال ابن أبي الحميد: فأما من قال بفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير، كأويس القرني، وزيد بن صوحان، وصعصعة أخيه،

(١) المصدر السابق ٩٠/٤.

(٢) فضائل الصحابة ٦٤٦/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤/٥٢٠ ط مصر الأولى، ٢٢١/٢٠ - ٢٢٢ ط دار الفكر بيروت.

وجندب الخير، وعبيدة السلماني، وغيرهم من لا يحصى كثرة. ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا ممن قال بفضيله.

وقال التوخي: ومن ذهب في زماننا إلى أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم من المعتزلة أبو الحسن الرمانى^(١)، الله دره^(٢).

أقول: وهذه الأقوال من هؤلاء تبني ما زعمه ابن تيمية في منهاجه في غير موضع منه من غير سند له عن رواة، ولا إسناده عن كتاب، فقال: فروي عنه - يعني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - أنه كان يقول: لا أؤتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى^(٣).

وهذا ما لم نسمع به ولم نقرأ عمن سمع أن الإمام جلد أحداً من أولئك الصحابة أو التابعين الذين كانوا يفضلونه.

(١) لقد مات الرمانى سنة ٣٨٤هـ ، وكذلك مات التوخي سنة ٣٨٤هـ ، فهما متعاصران.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٤٢/١٢.

(٣) منهاج السنة ١٣٨/٦ ط محققة.

حديث الماء والمنديل

١١٢- وفي حديث الماء والمنديل ما يُعْظِمُهُ أَكْرَمُ بِهِ وَأَنْعَمَا
إشارة منه قدس سره إلى الكرامة الجليلة التي خص الله تعالى بها
ولي الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، ولم ينحصر بها أحداً سواه من الأمة، وقد
استدل الحافظ الكنجي الشافعي بهذه الفضيلة على أفضلية الإمام عليهما السلام
على غيره، وإليك الحديث بلفظه:

قال: الباب الثاني والسبعون في تخصيص علي عليهما السلام، بأن بعث له ماء
من الفردوس حتى توضأ:

أخبرنا بقية السلف محمد بن سعيد بن الموفق المعروف بابن الخازن
قراءة عليه وأنا أسمع غير مرة في منزله بدرب الخازن في بغداد، قال أخبرنا
أبوزرعة طاهر بن محمد، أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن ملك،
حدثنا محمد بن علي حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك. قال: صلى لنا

رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر، فأبطن في الركعة الأولى حتى ظننا أنه قد سها أو غفل، ثم رفع رأسه فقال: سمع الله لمن حمده، ثم أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا بوجهه كأنه القمر ليلة البدر، ثم قال: مالي لا أرى أخي وابن عمّي علي بن أبي طالب؟ فقلنا: ما رأيناه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ بأعلى صوته: يا علي يا بن عم. فأجا به علي عليه السلام من آخر الصفوف: ليك يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: ادْنُ مني.

قال أنس: فما زال يتخطى أعناق المهاجرين والأنصار حتى دنا المرتضى من المصطفى. فقال النبي ﷺ: ما الذي خلفك عن الصف الأول؟ قال: شككت أني على غير وضوء، فأتت إلى منزل فاطمة فناديت: (يا حسن يا حسين) فلم يجربني أحد، فإذا بها تف يهتف بي من ورائي وهو ينادي: يا أبا الحسن التفت وراءك. فالتفت فإذا بسطت فيه سطل وفيه ماء وعليه منديل، فوضعت المنديل وتوضأت، فوجدت في الماء لين الزبد، وطعم الشهد، ورائحة المسك، ثم التفت فلا أدرى من وضع السطل والمنديل ولا من أخذه.

فتبسم النبي ﷺ في وجهه، وضمه إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، ثم قال: ألا أبشرك؟ إن السطل من الجنة، وإن الماء من الفردوس الأعلى، والذي هيأك للصلوة جبرائيل، والذي مندلك ميكائيل، والذي نفس محمد بيده ما زال إسرافيل قابضاً على منكبي حتى لحقت معي بالصلوة، وقال: أصبر لنفسك وابن عمك.

قلت . والقائل هو الحافظ الكنجي :- هذا حديث حسن عالٍ، وغالب رواته الفقهاء الثقات، ورواه ابن سويدة التكريتي في كتاب (الإشراف على مناقب الأشراف) في ترجمة علي عليهما السلام .

ثم قال الحافظ الكنجي: ومن المعلوم أنه يمتنع أن تكون نفس علي عليهما السلام هي نفس النبي عليهما السلام، ولا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين، وهذا يتضمن أن كل ما حصل لمحمد عليهما السلام من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلي عليهما السلام، ترك العمل بهذا النص في فضيلة النبوة، فوجب أن تحصل المساواة بينها فيما وراء ذلك.

ثم لا شك أن ممدوحاً عليهما السلام كان أفضل الخلق بسائر الفضائل، فلما كان علي عليهما السلام مساوياً في تلك الصفات يجب أن يكون أفضل، ولم أر الأصوليين أجابوا عن هذا بشيء^(١).

وهذه الكرامة رواها الحافظ موفق الدين أخطب خوارزم أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي البكري الخوارزمي الحنفي في كتابه المناقب^(٢)، بصورة مختلف يسيراً في بعض ألفاظها، وباسناد رجاله فيهم من الحفاظ الآثار، وهم إلى محمد بن علي . وهو الكفرثوثي . غير رجال الكنجي، فلاحظ.

كما أن ابن المغازلي المالكي أخرج في مناقبه حديثاً آخر مشابهاً لما مرَّ،

(١) كفاية الطالب، ص ٢٩١ ط الحيدرية (الثانية).

(٢) كتاب المناقب، ص ٢١٦ - ٢١٥ ط الحيدرية.

وبسند آخر يشعر بتعدد الواقع، وإليك الحديث عنه بلفظه، قال:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر بن أحمد العطار الفقيه الشافعى رحمة الله بقراءتى عليه، فأقرّ به، قلت: أخبركم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عثمان الملقب بابن السقاء الحافظ الواسطي، حدثنا أبو الحسن أحمد ابن عيسى الرازى بالبصرة، حدثنا محمد بن مندة الأصفهانى، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازى، حدثنا جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: امضيا إلى عليٍّ يحدثكم ما كان منه في ليلته وأنا على أثركم. قال أنس: فمضيا ومضيت معهم، فاستأذن أبو بكر وعمر على عليٍّ، فخرج إليهما، فقال: يا أبا بكر حدث شيء؟ قال: لا، وما حدث إلا خير، قال لي النبي ﷺ ولعمر: امضيا إلى عليٍّ يحدثكم ما كان منه في ليلته. وجاء النبي ﷺ وقال: يا عليٍّ حدثهما ما كان منك في ليلتك. فقال: أستحي يا رسول الله. فقال: حدثهما إن الله لا يستحي من الحق. فقال عليٍّ: أردت الماء للطهارة وأصبحت، وخفت أن تفوتني الصلاة، فوجّهت الحسن في طريق والحسين في طريق في طلب الماء، فأبطنَا عليٍّ، فاحزني ذلك، فرأيت السقف قد انشق ونزل عليٍّ منه سطل مغطى بمنديل، فلما صار في الأرض نحّيَت المنديل عنه، وإذا فيه ماء، فتطهّرت للصلاحة واغسلت وصلّيت، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف.

فقال النبي ﷺ لعليٍّ: أما السطل فمن الجنة، وأما الماء فمن نهر

الكثير، وأما المندليل فمن استبرق الجنة، من مثلك يا علي في ليلته وجبريل يخدمه^(١).

نظرة في رجال الإسناد:

إذا نظرنا إلى رجال الإسناد في هذا الحديث نجد رجاله كلهم من أئمة الحديث الذي ذكروا بكل تجلة واحترام، وقيل فيهم من جمل الإطراء والثناء ما يحمل على التصديق بروايتهم، وإلى القارئ بعض ما قيل فيهم: فأولهم: مؤلف كتاب المناقب - ابن المغازلي المالكي المعروف بابن الجلابي، قال فيه معاصره السمعاني في أنسابه: كان فاضلاً عارفاً برجالات واسط وحديثهم، وكان حريصاً على سماع الحديث وطلبه.

وهذا يروي الحديث المذكور عن:

ثانيهم: وهو أبو الحسن أحمد بن المظفر بن أحمد العطار، ثالثى عليه خميس الحوزي كما في سؤالات الحافظ السلفي، قال: هو أحمد بن المظفر ابن أحمد بن يزداد الشافعى، صاحب أبي محمد بن السقاء الحافظ، روى عنه مسنداً مسداً، وحدث به عنه أبو نعيم الجماري، وكان عنده الأصل بخطه، والسماع عليه بخط مسعود بن ناصر السجزي الحافظ أضوا من الشمس، وسماع أبي الحسن من أبي محمد صحيح محقق عند أصحابنا الواسطيين^(٢).

(١) المناقب، ص ٩٤.

(٢) سؤالات الحافظ السلفي، ص ٦٣ - ٦٤.

وهذا يروي الحديث عن:

ثالثهم: وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بابن السقاء، الحافظ الواسطي الذي قال فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الإمام الحافظ الثقة الرحّال محدث واسط، وحکى قول الجلابي ابن المغازلي فيه: ابن السقاء من أئمة الحفاظ المتقنين.

وهذا يرويه عن:

رابعهم: وهو أبو الحسن أحمد بن عيسى الرازى، سمعه منه بالبصرة، ولم أقف فعلاً على شيء عنه، إلا أن رواية ابن السقاء الإمام الحافظ الثقة الرحّال المتقن تكفي في قبول روايته والاعتماد عليه في حديثه.

وهذا يرويه عن:

خامسهم: وهو محمد بن مندة الأصفهانى، وهذا قال فيه الذهبي: الحافظ الإمام الرحّال... وحکى قول الحافظ أبي الشيخ الأصفهانى فيه: هو أستاذ شيوخنا وإمامهم^(١).

وهذا يروي الحديث المذكور عن:

سادسهم: وهو محمد بن حميد الرازى، الذي قال فيه أحمد بن حنبل: لا يزال بالري علم مadam محمد بن حميد حيّاً. ووصفه الذهبي في أول ترجمته بقوله: هو من بحور العلم، لكنه غير معتمد، يأتي بمناقير كثيرة، حدث عنه أبو داود والترمذى وابن ماجة والباغندي ومحمد بن جرير

والبغوي وخلق^(١).

أقول: ومن العجيب أمر الذهبي، فهو يصف الرجل بأنه من بحور العلم، ثم يغمز قناته بقوله: (لكته غير معتمد يأتي بمناكيير كثيرة). ثم يقول: حدث عنه... ويدرك أسماء ستة، ثلاثة منهم من أصحاب السنن عند قومه، وهم أبو داود الترمذى وابن ماجة، وثلاثة من أعلام الحفاظ والمحدثين، وهم الbaghndi وابن جرير والبغوي، سوى غيرهم من قال: وخلق.

لماذا هذا التهافت؟ فهو من بحور العلم، وهو غير معتمد، ثم هو يروي عنه من أصحاب الصحاح وأئمة الحديث ستة وخلق، ثم ما هذه المناكيير الكثيرة؟ لماذا لم يذكر واحدة منها؟ وأحسبها روايته لفضائل الإمام، فسمّاها الذهبي بمناكيير.

وهذا الرجل يروي الحديث المذكور عن:

سابعهم: وهو جرير بن عبد الحميد، الذي قال فيه ابن حجر في تعریفه: ثقة صحيح الكتاب^(٢).

وهذا يروي الحديث عن:

ثامنهم: وهو الأعمش، الذي وصفه الذهبي في التذكرة بقوله: الحافظ الثقة شيخ الإسلام^(٣).

(١) تذكرة الحفاظ، ص ٤٩١.

(٢) تعریف التهذیب ١/١٢٧.

(٣) تذكرة الحفاظ، ص ١٥٤.

وهذا يروي الحديث عن:

تاسعهم: وهو أبو سفيان، واسمه طلحة بن نافع القرشي مولاهم الواسطي، وكان الأعمش راويته^(١): ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البزار: هو في نفسه ثقة. وقال أحمد والنسائي: ليس به بأس. وروى له البخاري مقررناً بغيره، فهو من رجال الصحيح، ومن روى له البخاري فقد جاز القنطرة.

وهذا يروي الحديث عن:

عاشرهم: وهو أنس بن مالك، وهذا هو خادم النبي ﷺ، وهو غير متهם في هذا المقام.

فيتین للقارئ سلامة السند، ويكفينا هذا مستند في رد قول ابن أبي الحديد المعتزلي الآتي.

إتهام باطل:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في أصحابهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، نحو حديث السطبل، وحديث الرمانة، وحديث غزوة البير...

فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو (لو كنت متخدناً خليلاً)، فإنهم وضعوا في

مقابلة حديث الإخاء، ونحو سد الأبواب، فإنه كان لعلي فقلبته البكرية إلى أبي بكر، ونحو (انتوني بدوة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً...).^(١) إلى آخر ما ذكره من أحاديث وضعتها البكرية في مقابلة أحاديث وردت في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أقول: نحن لا نبدأ أحداً باتهام، ولكن لا نرضى لنا أن نسكت على اتهام، فهذا ابن أبي الحديد قد أتهم الشيعة بأنهم وضعوا أحاديث الفضائل للإمام الذي كنّى عنه ب أصحابهم، وكفاهم فخرًا وشرفًا أن يكون هو أصحابهم وهم أصحابه، فقد رضوا به إماماً، ورضيهم له شيعة يوم يُدعى كل أناس بآمامهم.

ونحن إذا رجعنا إلى كتب الشيعة التي روت كرامة السطل والماء والمنديل نجد مؤلفيها رووها إما نقلًا عن ابن المغازلي المالكي الذي مرّ ذكر حديثه وبينًا حال رجال إسناده، ولم يكن بينهم شيعي واحد كما فعل ذلك ابن طاووس في كتابه (الطرائف)، وابن الطريق في كتابه (العمدة)، وإما يأسنادهم المتنهي إلى ابن مندة، وهو من رجال ابن المغازلي، كما عند الشيخ الصدوق ابن بابويه، فقد روى الحديث في كتابه الأمالي في المجلس الأربعين الحديث الثالث بسنده إلى صالح بن عيسى العجلبي عن محمد بن علي بن علي بن محمد بن مندة الأصفهاني... إلى آخر السنده، وبتفاوت يسير في المتن، وجاء في آخره قوله عليه السلام: كذا أخبرني جبرائيل، كذا أخبرني

جبرئيل، كذا أخبرني جبرئيل.

أو بإسناد يتهمي إلى الأعمش كما عند القطب الرواوندي في كتابه (الخرايج) على ما حكاه عنه في (بخار الأنوار).

فهو لاءً أربعة من أعلام الشيعة رواوا الحديث من نفس الطريق الذي رواه ابن المغازلي المالكي، وصنفوا في ذلك صنيعاً متأخرين من أهل السنة، الذين رواوا الحديث أخذوا له من كتاب المناقب لابن المغازلي وكتاب المناقب للخوارزمي الحنفي^(١)، فما ذنب الشيعة يا ترى؟

الليس قول ابن أبي الحديد محضر افتراء وهراء؟ ثم هو في اتهامه هذا كان كالأعور، فلا هو أعمى ولا هو مبصر، فما دام هو بقصد المقارنة بين ما وضعته الشيعة وما وضعته البكرية، وذكر أن الشيعة وضعت حديث السطل، وهو مثال ذكره لما وضعاوه، لماذا يذكر ما وضعته البكرية في مقابلته، وهو حديث القدر الذهبي والماء والتدليل؟

ولعله كان يرى رأي ابن الجوزي حين روى الحديث في فضل أبي بكر في كتابه الموضوعات، وعقبه بقوله: وقد قلبا هذا فجعلوه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ذكر الحديث بإسناده.

وإلى القارئ ما ذكره ابن الجوزي، قال: الحديث الثاني في فضل أبي بكر... أبنانا سعيد بن البناء، قال: أبناانا أبو نصر محمد بن محمد الزيني، قال:

(١) راجع بنایع المودة، الباب ٤٩، ص ١٦٧ - ١٦٨ ط الحیدریة، تجد الشیخ سلیمان القندوزی الحنفی المتوفی ١٢٩٤ھ تقل الحديث المذکور عن المصادر المذکورین.

أنبأنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الوراق، قال: أنبأنا محمد بن السدي التمار، قال: حدثنا جعفر بن محمد الطيالسي...^(١) إلى آخر ما سيأتي عن السيوطي في ثالبه^(٢)، ولفظه:

أخرج السيوطي في الثالبي، قال: أبو الحسين بن المهتمي بالله في فوائده، أنبأنا أبو حنيفة الصوفي واسمه علي بن الحسين، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن القطان، حدثنا جعفر ابن محمد، حدثنا علي بن داود الدمشقي عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن المسيب بن عبد الرحمن عن حذيفة بن اليمان، قال: صلّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلما انتهى من صلاته قال: أين أبو بكر الصديق؟ فأجابه أبو بكر من آخر الصفوف: ليك ليك يا رسول الله، كنت معك في الصف الأول، فكبّرت وكبّرت، فاستفتحت بالحمد فقرأتها، فوسوس إلى شيء من الطهور، فخرجت إلى باب المسجد، فإذا أنا بهائف يهتف بي وهو يقول: وراءك. فالتفت فإذا أنا بقدح (بقدس كما في الموضوعات) من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج، وأعذب من الشهد، وألين من الزبد، عليه منديل أخضر، مكتوب عليه: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق)، فأخذت المنديل فوضعته على منكبي، وتوضأت للصلوة، وأسبغت الوضوء، ورددت المنديل على القدح، ولحقتك وأنت راكع الركعة الأولى، فتممت صلاتي معك يا رسول الله.

(١) الموضوعات ٣٠٨/١.

(٢) الثالبي المصنوعة ١٤٩/١.

قال النبي ﷺ: ابشر يا أبا بكر، الذي وضأك جبريل، والذي من ذلك ميكائيل، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث موضوع بلا شك، والتهم به محمد بن زياد، قال أحمد بن حنبل: هو كذاب خبيث يضع الحديث. وقال يحيى: كذاب خبيث. وقال السعدي والدارقطني: كذاب. وقال النسائي والبخاري والفالاس وأبو حاتم الرازي والدارقطني: كذاب. وقد قلبووا هذا فجعلوه على بن أبي طالب رضي الله عنه^(١).

أقول: وقال السيوطي في الثاني في آخر الحديث: موضوع، محمد بن زياد كذاب. قلت: الظاهر أن الآفة من غيره.

قال في الميزان: أتى علي بن داود عن محمد بن زياد الميموني، وعن جعفر بن أبي عثمان الطيالي بخبر منكر، والله أعلم.

هذا ما يتعلّق بجرح رجال السنّد، وبقي أن نتّبع على خلل في المتن، فقد ورد فيه (إذا أنا بقدح من ذهب) كما في نسخة الثاني للسيوطى، وفي نسخة ابن الجوزى في الموضوعات (إذا أنا بقدس من ذهب)، والقدس قدح صغير، وسواء كان الصحيح ما في نسخة ابن الجوزى أو ما في نسخة السيوطي، فإنّ القدح إنّاء يشرب فيه، ويستعمل للكبير والصغير منه، ولا يقال قدح إلا إذا كان فارغاً، فإذا كان فيه شراب قيل له كأس. ومنه قولهم: (لا تجعلوني كقدح الراكب) أي لا تجعلوني آخرأ، لأنّ الراكب يعلق قدحه

في آخرة الرحل بعد فراغه من استصحاب الأهة.

فكيف يصح أن يقول ذلك أبو بكر وهو عربي صليبة؟!

ثم إنه ورد في وصف القدح بأنه من ذهب، فكيف جاز له أن يتوضأ
من آنية الذهب وقد حرم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه استعماله على المسلمين كما حرم
لبسه على خاصة ذكور أمته؟

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	برز الإيمان كله إلى الشرك كله
٤٢	- مصادر حديث (لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين)
٤٦	سد الأبواب إلا باب علي عليهما السلام
٧٣	- مصادر حديث سد الأبواب إلا باب علي عليهما السلام
٨٠	علي مني وأنا من علي
٨٩	- بعض مصادر الحديث
٩٦	أنا مدينة العلم وعلى بابها
١١٧	- بعض مصادر الحديث
١٢٥	من آذى علياً فقد آذاني
١٣٤	- بعض مصادر الحديث
١٣٩	رحيل الناظم آية الله العظمى السيد الخوئي إلى جوار ربه
١٤١	زواج علي عليهما السلام، من فاطمة الزهراء عليها السلام

١٦١	- بعض مصادر حديث تزويع علي عليهما السلام بفاطمة عليها السلام
١٦٨	فريدة خطبة أمير المؤمنين عليهما السلام، بنت أبي جهل
٢٢٤	- لماذا وضع هذا الحديث؟
٢٣١	فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين
٢٣١	- الفضيلة الأولى: أفضليتها عليها السلام على سائر البشر
٢٣٦	- الفضيلة الثانية: أنها عليها السلام سيدة نساء العالمين
٢٧٨	- الفضيلة الثالثة: أنها عليها السلام صديقة
٢٨٣	- الفضيلة الرابعة والخامسة: أنها عليها السلام طاهرة ومعصومة
٢٩٤	الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة
٣٠٨	- محاولات بائسة يائسة
٣٠٩	- المحاولة الأولى: إلحاد (إلا أبني الخالة عيسى ويحيى)
٣١٥	- المحاولة الثانية: وضع حديث (سيداً كهول أهل الجنة)
٣٦٢	- المحاولة الثالثة: بيان معنى الكهولة بما يتلاءم وجوه صدور الحديث
٣٦٣	- المحاولة الرابعة: إضافة الشباب إلى الكهول
٣٦٦	- المحاولة الخامسة: حذف السيادة، والشباب في الجنة لخمسة
٣٦٨	- المحاولة السادسة: حذف (وأبوهما خير منهما)
٣٧٣	- تعقيب بلا ترثي
٣٧٩	حديث الطائر المشوي
٣٧٩	- المؤلفون في حديث الطير
٣٨١	- غمازج من رواية الحديث بالأسانيد الصحاح

٣٩٣	ماذا قال الحفاظ في هذا الحديث؟
٣٩٧	تحوير وتزوير في صور الحديث
٤٠١	مواقف مضطربة ومتناقضة
٤٠٩	مواقف ناصبية معلنـة بدون حياء
٤٤٢	ماذا يعني فقهـة الحديث؟
٤٤٤	إيقاظ وتبـيه
٤٤٦	القائلون بـتفضـيل عـلـي عـلـيـهـ
٤٤٩	حديث المـدـيـل وـالـمـاء
٤٥٣	نظـرةـ فيـ رـجـالـ الإـسـنـادـ
٤٥٦	اتهـامـ باـطـلـ
٤٦٣	الفـهـرـسـ

